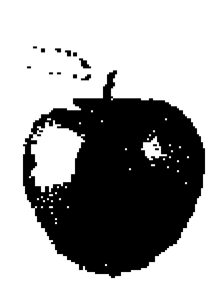
أكاذيب تصدقها المرأة

والحق الذي يحررها

نانسي لي دي موس



أكاذيب تصدقها المرأة

أكاذيب تصدقها المرأة

والحق الذي يحررها

نانسي لي دي موس

ترجمة

راعوث وديع جندي

دار الإخوة للنشر

٢٠١١

أكاذيب تصدقها المرأة والحق الذي يحررها

Lies Women Believe and the Truth that Sets Them Free

المؤلف : نانسي لي دي موس

ترجمة : راعوث وديع

تحرير : عصام خليل

الغلاف : مورنينج ستار - ت ٢٦٢٣٦٩٥٧

الناشر : دار الإخوة للنشر

يُطلب من : مكتبة الإخوة ٣ش أنجه هانم - شبرا - مصر ت: ٢٥٧٩٢٢٨٤

BrethrenPub@gmail.com

وفروعها: مصر الجديدة	٥٦ش نخلة المطيعي - تريومف	ت: ٢٢٩٠٤٠٠٣
الاسكندرية	٦ش الفسطاط - كليوباترا	ت:٥٤٦٥٣٦٦
المنيا	٦ش الجيش	ت:٢٦٤٤٠٦
اسيوط	٢١ش عبدالخالق ثروت	ت: ٣٤٢٠٢٨

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

طبع بمطبعة الاخوة بجزيرة بدران

Printed in Egypt

معلومات الفهرسة أثناء النشر

دي موس، نانسي لي

أكاذيب تصدقها المرأة / ترجمة راعوث وديع.- ط١.-

القاهرة: دار الإخوة للنشر، ٢٠١٠

٣٦٨ ص؛ ٢١ سم.

تدمك : ٥- ٢٣٠ - ٣٢١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١- المرأة

أ . وديع، راعوث

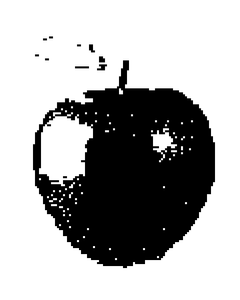
ب. العنوان

٣٠١,٤١٢

رقم الإيداع : ٢٣٥١٧ / ٢٠١٠

الترقيم الدولي: *ISBN 978-977-321-230-5*

قصص وشهادات السيدات المذكورة في هذا الكتاب حقيقية. وحيثما لم يذكر الاسم بالكامل فإن الأسماء الحقيقية وبعض التفاصيل الثانوية قد تم تغييرها للحفاظ على خصوصياتهن.



إلى أمي

التى علمتني أن أميّز
الكثير من الأكاذيب التي تصدِّقها المرأة
والتي تعرف أهمية وقوة الحق

المحتويات

شكر

كمـا هـو الحال في أي مشـروع ضخـم، كان هذا الكتـاب مجهود فريـق من العمل. وإني مدينة للكثير من الأصدقاء والزملاء الأعزاء الذين شاركوني العمل حتى يولد هذا الكتاب. ومن بينهم، أقدِّم شكرًا خاصًا لكل من:

فريق مطابع مودى للنشر - إنه من دواعي سروري حقًّا أن نعمل معًا. كنتم أول من امتلك رؤية نشـر هذه الرسـالة. بدون تحفيزكم وتشـجيعكم ربما لم يكن هذا الكتاب قد كُتب. وشـكرًا لكِ "آن شـيرش"، لأجل مسـاعدتك بوضع اللمسـات النهائية.

لِيلا جيلبرت - أنتِ شقيقة الروح. أشكرك لكونك مثالاً يُحتذى به في التزامك الجريء بالسـلوك في الحق، ولأجل مسـاعدتك لي في التفكير والتعبير عن بعض هذه الموضوعات الصعبة التي كانت على قلبينا كلينا.

د. بـروس ويـر - محبتُـكَ للحق مُعدية. شـكرًا من أجـل المسـاندة والحماية الروحيـة التي منحنـي الله إياها من خلال مراجعتك الكتابيـة المتأنية، واقتراحاتك القيّمة الوافرة.

بِـكا كريفـن، ديل ودبرا فيسـنفلد، سـاندرا هوكينز، جانيت جونسـون، مونيكا فـووت - أشـكركم لمسـاندتكم ليـديَّ بطرق كثيرة جـدًا، بما في ذلـك تذويدكم لي بدراسـات مسـاعدة، وتقديم اقتراحـات في مراحل الكتابـة الأولى. لقد كانت مساعدتكم شيئًا جوهريًا.

زوجـات العاملين فى خدمة "لايف أكشـن"- لا أسـتطيع حصـر عدد المرات التـى بعثتن فيها بمذكرات تشـجيعية أو رسـائل إلكترونية، أو حضور كُن للسـؤال عن سـير الأمور، أو إرسـالكن وجبات مجهزة بالمنزل بينما كنتُ أكتب فى مكان منعزل. حياتكن أظهرت حلاوة الإنجيل وعَكَسَت جمال الحق.

أعزائي "أصدقاء الصلاة" كم أنا سـعيدة أن تكونوا "سـاهرين دائمًا" من أجل نفسـي. أشكركم لأجل إحاطتكم بي وتدعيمكم لي فى قلب المعركة. صلواتكم منحتني الشجاعة وأعانتني لأظلّ أمينة للحق.

أخيرًا – لن تكفيني الأبدية بطولها لكي أُعبِّر عن شـكرى لكَ أيها الرب يسـوع. أنت هو الحق الذي حرَّرني، وأنا أحبك بكل قلبي!

* * *

وبصدد إنجاز هذه الطبعة العربية لا يفوت الناشر أن يشكر كلاً من:

سامح ورهام عبيد – صاحبي رؤية ترجمته للعربية، فبدون تشجيعكما ودعمكما ما كان لينقل هذا الكتاب القيم لقارئي العربية.

راعـوث وديع – تفانيـكِ في إنجاز ترجمة هذا الكتاب مثال يُحتذى به. شـكرًا على وقتك ومجهودك الذي يعلم مداه الرب وحده.

باسـم شـكري، نانسـي نظير، سـلوى صموئيـل – لأجـل إسـهامكم بمراجعة مسودات هذا الكتاب باللغة العربية.

مونا هلال – أتعاب محبتك في المراجعة النهائية لهذا الكتاب لا يمكن إغفالها في إنجاز هذا العمل.

مـرة أخـرى نعود بالشـكر لربنا الكريم الـذي لولاه ما اسـتطعنا أن ننجز شـيئًا. كما نستودع هذا العمل بين يديه لبركة نفوس كثيرة، تعرف الحق والحق يحررها.

تقديم

نانسي لي دي موس، إمرأة تمتلئ بالشفقة والبصيرة الحادة، كان لها الجراءة أن تثبر غور خداع النساء وأوهامهن، وآمالهن، ومخاوفهن، وإحباطاتهن، وأحزانهن، والكثير جدًا مما كان يمكن تجنبه منذ أكثر من ثلاثين عامًا مضت لو لم تكن هذه الأكاذيب قد انتشرت – أكاذيب مثل "يمكنك الحصول على أي شيء"، "لا تسقطي فى مصيدة الشفقة"، "أي شيء يفعله الرجال نستطيع أن نفعل أفضل منه"... إلخ.

بالطبع بدأت الأكاذيب قبل هذا بوقت طويل. المرأة التي أعطاها الله للرجل الأول، آدم، أصغت إلى همس مروِّج الإشاعات: «أحقًا قال الله؟» أصغت حواء إلى الحية فى الجنة. وبعد ذلك، بدلاً من أن يحميها زوجها من الأكاذيب التى بدأت بذلك تنتشر، بدا وكأنه يقول: "إن كان هذا ما تريدينه يا أميرتى العزيزة، فلا بد أن تحصلي عليه". وترتب على ذلك، دخول الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت. رفضت حواء ما قُدِّم، واغتصبت ما لم يُقدَّم، وكأنها تقول: "لتكن إرادتى".

شكرًا لله، يوجد فداء. فتاة قروية متضعة فى الناصرة زارها ملاك، حاملاً لها رسالة مذهلة. كانت مريم ستصبح أُمًا لهذا الشخص العجيب. وبرغم أنها انزعجت كثيرًا، إلا أنها قَبِلَت الرسالة. وأجابت: «أنا أَمَة الرب... ليكن لي كقولك».

صلاتى أن الروح القدس يقودكِ وأنتِ تقرأين هذا الكتاب الهام جدًا. وأختم بكلمات الكاتبة: "إن جوهر الخلاص ليس هو مسألة إعلان، أو أداء شيء ما، بل هو تحول كلي:

«إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا»".

إليزابيث إيليوت

ونحن بدورنا يسعدنا أن نقدِّم النسخة العربية من هذا الكتاب القيِّم. فموضوعه جدير بالاهتمام، ووصوله لفائدة نساء كثيرات هو أمر يستحق أن يُبذل فيه الجهد الكبير. فليس أروع من أن تُنزع قيود الضلال والخداع والأكاذيب من حول أيادينا، وننطلق لنعيش في حرية الحق. وليس أعظم من تتحرر المرأة بصفة خاصة وتتمتع بقوة الحق؛ فدورها كزوجة وأم وأخت سيعمِّم الفائدة والبركة على الكثيرين، ولأجيال.

وكما أفاد هذا الكتاب الكثيرات ممن قرأنه بالإنجليزية (تجاوز توزيعه في الإنجليزية النصف مليون نسخة في وقت نشر الكتاب بالعربية) فنحن نقدِّم هذا الكتاب مصّلين أن يستخدمه الرب لبركة قارئات (وقرّاء) العربية، لتنفضح أمامهم أكاذيب طالما صدَّقوها، ويجدوا شخص المسيح، الحق، والحق يحرر. وما أعظمها بركة!

الناشر بالعربية

مقدمة

مطرودة من جنة عدن، ترتدي ملابس من جلود الحيوانات، زوجها متألم بسببها، وفي طريقها لتكون أم أول طفل يُقتل، وأمًّا لقاتله في الوقت ذاته؛ لا بد أن حواء كانت تشعر بصغر النفس الشديد.

وحيدة.

مغلوبة.

فاشلة.

كم كان صعبًا للغاية أن تسير مع آدم شرقي عدن إلى عالم يحتاج مجرد البقاء فيه على قيد الحياة إلى كفاحٍ مضنٍ. كم كان صعبًا جدًا أن تعرف تلك الجنة ثم يقال لها أن تتركها.

ماذا كان احتياج حواء الأكثر إلحاحًا في تلك اللحظة؟

ما هو احتياجك أنت لو كنت مكانها؟

أعتقد أن حواء كانت تتَمنى من كل قلبها أن ترجع ثانية إلى تلك اللحظة التي سبقت مباشرة القضم من الشجرة المحرَّمة - عندما كانت ذراعها ما تزال ممدودة في اتجاه أغصان شجرة معرفة الخير والشر، وكان الهروب ما زال ممكنًا.

كانت تود متألمة أن تُعيد فعل الأشياء من جديد، أو لو أنها كانت قد فعلت تلك

الأشياء بطريقة صحيحة في المرة الأولى.

نحن نشبه حواء.

لقد اختبرنا جميعنا الهزيمة والفشل، المتاعب والاضطرابات.

جميعنا اختبرنا القلب الأناني، الروح الماكرة، الغضب، الحسد، والمرارة.

ربما لم يكن بعض من فشلنا شديدًا كما كانت غلطة حواء، ولم يكن كارثة كبرى، أو حدثًا عامًا مشهورًا. ربما كانت أخطاؤنا مجرد هفوات "صغيرة". لكنها ما تزال تعلن وتكشف كم تبتعد قلوبنا عن المكان الذي ينبغي أن توجد فيه. وكم نتمنى أن نعيد فعل الأشياء، ليكون لنا حياة مليئة بالانسجام والسلام.

أينما كنت أقوم بقيادة مؤتمر للسيدات، كنت أطلب من كل سيدة أن تملأ بطاقة صلاة، حيث تستطيع المجموعة الخاصة بالصلاة أن تصلي لأجلهن أثناء عطلة نهاية الأسبوع. ثم بعد انتهاء المؤتمر، آخذ هذه البطاقات معي إلى المنزل وأتصفحها بنفسي. وفي كثير من المرات، كنت أجد نفسي أبكي وأنا أقرأ هذه البطاقات، وقلبي حزين من أجل الكثير من السيدات المسيحيات اللواتي حياتهن مُهانة وممزقة.

نساء زواجهن متعلق بشعرة...

نساء تتألم قلوبهن من أجل أولادهن...

نساء يغرقن في إحباطات وجروح الماضي...

نساء يعشن في صراعات شخصية قاسية...

نساء يمتلئن بالشكوك والارتباك من جهة حياتهن الروحية...

أولئك النساء هن نساء حقيقيات، وقصصهن واقعية. كثيرات منهن في الكنائس طوال حياتهن. البعض منهن يحضرن في كنيستك. ربما تكون إحداهن مُدرِّسة مدارس الأحد لطفلك. بعضهن يذهبن كل أسبوع إلى درس الكتاب - بل ربما يَقُدن اجتماعًا

لدرس الكتاب. في معظم الأحوال، لم تخمنى مطلقًا ما يجري في أعماق أولئك النسوة. وعندما تسألين عن حالهن، فسوف يُجبن بابتسامة: "حسنًا".

إن قصص هؤلاء النسوة هي التي أعطتني القوة الدافعة لكتابة هذا الكتاب.

أرجو ملاحظة أن هذه ليست اختبارات منعزلة عن الواقع؛ فأنا لا أتكلم عن قلة من النساء متطرفة وغير فعالة. لقد قرأت وسمعت مثل هذه الروايات ما يكفى لملء هذا الكتاب.

تعاني ثقافتنا من "أمراض نفسية" وبائية، ليس فقط بين النساء البعيدات هناك في العالم، لكن بيننا نحن اللواتي بداخل الكنيسة.

في الواقع، إذا أردت أن أصف نسبة كبيرة من السيدات المسيحيات اللواتي تقابلت معهن وتكلمت معهن في السنوات القريبة، فسوف اختار واحدة أو أكثر من الكلمات التالية:

منهكة	مغلوبة	مرتبكة	عصبية المزاج
مستنزفة	مكتئبة	غاضبة	تشعر بعدم الأمان
تحترق	مُحْبطة	وحيدة	تشعر بالخزي
غارقة	واهنة العزيمة	خائفة	غير مستقرة عاطفيًا

نعم و.. تفكر في الانتحار

ربما تندهشين إذا علمتِ أنه في أيّة جماعة من السيدات المسيحيات هناك الكثيرات ممن فكرن في إنهاء حياتهن - بعض منهن في الأسابيع أو الشهور القريبة. ليس عندي شك في أن واحدة تقرأ هذه الفقرة، ربما وصلت إلى قمة الإحباط. ربما تكونين أنت. ربما تشعرين أن لا شيء يستحق المواصلة. دَعيني أقول لكِ، يا عزيزتي، "يوجد أملًا". قراءة هذا الكتاب لن تُبعد عنك مشكلاتك، لكن أؤمن أنها سوف تشير لكِ في اتجاه الشخص الذي يقدر أن يعين. أرجوكِ، من فضلك، استمري في القراءة.

"العبودية" كلمة أخرى تحضُرني عندما أفكر في المرأة المسيحية في الوقت

الحاضر. الغالبية العظمي من النسـاء اللاتي أتقابل معهن هن في عبودية- لسنَ حرات، أحيانًا، باعترافهن الشخصي. على سبيل المثال، كثير من النساء يعشن تحت سحابة من الشعور بالذنب وإدانة النفس. هن لسنَ حرات ليتمتعن بنعمة ومحبة الله.

كثيرات مسـتعبدات لماضيهن، سـواء كان ناتجًا عن إخفاقهـن أو إخفاق الآخرين، فماضيهن يتعلق حول رقابهن كَحِملٍ ثقيل - يحمِلنِه أينما ذهبنَ، كادحات كل الحياة.

البعـض فـي عبوديـة لما يسـميه الكتاب المقـدس "الخوف مـن الناس"؛ فهن مُمسـكات بالخـوف مـن الرفض، الخوف ممـا يعتقده الناس عنهن والتطلع إلـى مصادقة الآخرين. بينما يزال البعض سجينات عاطفيًا، مستعبدات للقلق، والخوف، الغضب، الكآبة، والرثاء للنفس.

واحـدة مـن أعظم القيـود التي تعبِّر عنها النسـاء هي تلـك التي ترتبـط بالطعام. لقد سَـمعتها من سـيدات من مختلف الأحجام والأشـكال. البعض لا يستطيع التوقف عن الأكل، والبعض لا يستطيع أن يأكل. كل منهما في عبودية.

أنا لا أريد أن أقول إن كل النساء "مستعبدات"، بالرغم من أننا جميعًا نمر بلحظات يمكن أن نصف أنفسنا هكذا. لكنني أقول، بوجه عام، إن المرأة المسيحية في اضطراب - اضطـراب عميق - هذا النوع من الاضطراب الذي يتطلب أكثر جدًا من مجرد حلول أو مداواة سطحية.

عندمـا نرجـع إلى الكتاب المقـدس، نتذكر أن الله لم يقصد أن تكـون الحياة هكذا. نحن نقرأ كلمات الرب يسوع في إنجيل يوحنا فنعلم أن الله قصد شيئًا أفضل لنا:

أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ
وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ.

يوحنا ١٠: ١٠

إذا نظـرتِ إلى حياتكِ، هل يمكنك أن تقولي إنـك تختبرين الحياة الفضلى التي أتى المسـيح لكي يعطيها؟ أم أنكِ تجدين نفسـك بالكاد موجـودة، تواجهين، وتصارعين، لتبقي على قيد الحياة؟

أنا لا أسأل إذا كانت حياتكِ تخلو من الاضطرابات. في الحقيقة، فإن بعضًا من أكثر النساء اللواتـي أعرفهـن ممتلآت فرحًا وابتهاجًا، هن نسـاء يعشـن حياة زوجية تمتلـئ بالصعوبات والألـم، نسـاء بكيـن عند قبر ابن أو ابنة، نسـاء أصابهن مرض السـرطان، أو يُقمن برعاية أب أو أم يعانون من الزهايمر. لكن بكيفية ما، وفي وسـط تلك المشـكلات والآلام، فقد وجدن مصدر الحياة الذي يعينهن ليسرن وسط الوادي وهن ممتلآت بالسلام، والثقة، والكمال.

ماذا عنكِ؟ هل تتشـابهين مع النسـوة اللواتي ذكرتُ قصصهن سابقًا؟ هل يوجد أي نوع من العبودية في حياتك؟ ماذا لو قلتُ لكِ إنك بدلاً من أن تكوني محطَّمة ومحبطة ومقيَّدة، يمكنك أن تكوني:

حرة	واثقة	فرحة
لطيفة	راضية	في سلام
مُحبة	مستقرة	مبتهجة

هل هذه الكلمات تصف نوعية المرأة التي تريدين أن تكوني عليها؟

ربمـا أنك الآن تتمتعين فعلاً بنعمة الله وسـلامِه في حياتـك. والأرجح إنك تعرفين نساء أخريات يعشن في عبودية، بالرغم ادعائهن أن لهن علاقة مع المسيح. هل تريدين أن تتعلمي كيف ترشدينهن إلى طريق الحرية؟

أنـا لا أتكلم عن وصفة سـحرية سـوف تجعل المشـكلات تختفي، ولا أقـدم طريقًا مختصـرة إلـى حياة سـهلة، ولا أعد بغياب الألـم والصعوبات. الحيـاة صعبة، ولا مفر من ذلك. لكنني أتكلـم عن السـير في واقع الحياة (رغـم أشـياء مثل الرفض، والخسارة، وخيبة الأمل، والجروح، وحتى الموت) في حرية وفرح حقيقيين.

أسـمعك تقولين: "هذا ما أريده! أريده لنفسـي، أريده لنساء أخريات أعرفهن؛ فمن أين نبدأ؟"

في خلال سنوات طويلة من المعاناة مع سـيدات بخصوص أحمالهن ومشكلاتهن، والبحـث في كلمة اللـه لإيجاد حلول حقيقية، توصلت إلى نتيجة بسـيطة، لكن عميقة، عن السبب الجذري لغالبية صراعاتنا:

أنت وأنا كُذِب علينا
وأصبحنا مضلَّلين

في الصفحات التالية، أدعوكِ للتمشـي معي عودةً إلى حيث بدأت جميع مشـكلاتنا: جنة عدن، البيت الأول لآدم وحواء، تلك البيئة الصحيحة النموذجية. ما حدث في ذلك المشهد له تأثير لا يمكن الفرار منه على حياتنا كسيدات حتى هذا اليوم.

أريـدُك أن ترَي كيف كانت أكذوبة واحدة هي نقطة البداية لجميع الاضطرابات عبر تاريخ هذا الكون. لقد أصغَت حواء إلى تلك الأكذوبة، وصدقت الأكذوبة، وتصرفت بناءً على الأكذوبة. إن كل مشكلة، كل حرب، كل جرح، كل علاقة محطمة، كل وجع للقلب؛ كلها تعود إلى أكذوبة واحدة صغيرة.

وكما هو معتاد في الكذب، فإن الأكذوبة الأولى قد كَبُرت وأفرخت أكاذيب أكثر. لقد صدَّقـت حواء الأكذوبة، ونحن، بنات حواء، تتبَّعنا خطواتها: نصغي، نصدق، ثم نتصرف طبقًا لأكذوبة تلو الأخرى. (في داخل هذا الكتاب، ستجدين كتابات تخيلية من "مذكرات حـواء". والمقصـود منها افتـراض بعض من الأكاذيـب التي ربما تعرضـت لها حواء في أوقات مختلفة في حياتها. وقد تشبه مذكراتها مذكراتك أنتِ، في بعض النقاط.)

الأكاذيـب التـي واجهت النسـاء في كل العصـور لا تُحصى ولا تُعَـد. لكن يبدو أن بضعة أكاذيب قد أُبتليَت بها النسـاء المسـيحيات على وجه الخصـوص في أيامنا هذه. وهدفـي من هذا الكتاب أن أكشـف تلك الأكاذيب علـى حقيقتها. بعض من الأكاذيب

التي سنتكلم عنها مصدَّقة بدرجة كبيرة حتى أنه من الصعوبة بمكانٍ أن تدركي أنها أكاذيب. لكن "أفضل" الأكاذيب هي تلك التي تبدو قريبة الشبه جدًا من الحقيقة، و"أحدث" الأكاذيب هي أقدمها.

وبالإضافة إلى التعرض لبعض الأكاذيب الأكثر تصديقًا من النساء المسيحيات، أريد أن أمزق القناع عن ذاك الذي يقول لنا هذه الأكاذيب. فالشيطان يأخذ شكل "ملاك نور" (٢كورنثوس ١١ : ١٤). إنه يَعِد بالسعادة ويدّعي أنه يملك أعز ما تشتهيه قلوبنا. لكنه كذاب ومهلك، وهو مصَمِّم على سلب الله عرشه بأن يأخذنا إلى جانبه ضد الله. أريدك أن تري كيف أن إبليس ربما استخدم بعضًا من الأكاذيب الأكثر مراوغة (أو أنصاف الحقائق) لكي يخدعك ويحطمك أنتِ ومن تحبين.

لكن يجب علينا أن نفعل أكثر من مجرد معرفة المُضل وأكاذيبه. فأنا أود أن أعرِّفكن بقوة الحق، وأريكن كيف أن تصديق الحق والسلوك بموجبه هو وسيلتنا إلى الحرية - لا لمجرد أن نظل أحياء، أو لنجد فقط مهربًا - بل حرية حقيقية، مجيدة، في قلب هذا العالم الساقط، الفاسد والمؤلم.

في بداية هذا الأسبوع، بينما كنت أتمشى وأتأمل في بضعة أعداد من الكتاب المقدس، ألمع الرب لقلبي العددين الأخيرين من الرسالة إلى يعقوب:

أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنْ ضَلَّ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ عَنِ الْحَقِّ
فَرَدَّهُ أَحَدٌ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ رَدَّ خَاطِئًا عَنْ
ضَلاَلِ طَرِيقِهِ، يُخَلِّصُ نَفْسًا مِنَ الْمَوْتِ،
وَيَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا.

(يعقوب ٥: ١٩-٢٠)

شعرت فورًا أن الرب قد أعطاني، في هذا الجزء، الغرض والرسالة من كتابة هذا الكتاب. ملايين من النساء المسيحيات خُدعنَ وضلَلْن عن الحق. لقد طلبت من الرب أن يستخدم هذا الكتاب لكي يرد بعضًا من أولئك النسوة، لينقذهن من العبودية، وليحررهن ليسلكن في نعمته، وغفرانه، وفي الحياة الأفضل.

بعض مما يجب أن أقول سيكون مزعجًا. لكنني لم أعزم أن أكون لبقة أو أن أكتب فقط بعض الأفكار اللطيفة التي يوافق عليها الجميع. أن اعتقادي هو إن الجراحة الجذرية فقط – والتي هي، الإصلاح الجذري في أسلوب تفكيرنا – سوف تصل إلى جذور قلوبنا المريضة وتجعلنا أصحاء. أحيانًا يكون الحق مؤلمًا، ونادرًا ما يكون محبوبًا. لكنني لن أكون مخلصة ومُحِبَّة إذا فشلت في مشاركتكن الحق الذي يستطيع أن يحرركن.

وهنا قصتان تشهدان عن قوة الحق:

> أنا الآن حرّة! لقد فقدتُ الأمل أن يكون هذا ممكنًا، لكن الله حررني تمامًا من عبودية دامت لسنوات طويلة.

هذه كانت كلمات زوجة صغيرة سنًا، عند ما بدأت تحكي لي ما كان يفعله الله في حياتها. لقد أخبرتني كيف كانت مستعبدة لعادة أخلاقية معينة منذ أن كانت في الثالثة عشر من عمرها:

> حاولتُ كثيرًا أن أتوقف، فعلت كل ما كنت أعرف أن أفعله– بما في ذلك دراسة الكتاب المقدس، والصلاة، ومساعدة صديقة – لكن إخفاقي كان مستمرًا. وعندما أفعل تلك العادة كنت أعترف للرب بخطيتي وأطلب منه أن يغفر لي، لكن في أعماق قلبي، كنت أعرف أنني سأسقط مرة أخرى، لم أقدر أن أتوقف.

هذه السيدة كانت مؤمنة لسنوات كثيرة، وكانت هي وزوجها عاملين بنشاط في خدمة مسيحية، كان لها قلب مخلص وجوع إلى الرب، وكانت دائمًا تشارك إيمانها وتعظ الآخرين. لكنها لم تستطع أبدًا أن تطرد بعيدًا هذا الإحباط والشعور بالذنب الذي في داخلها.

كانت تمتلىء بالحيوية وهي تصف الخطوات التي قادتها إلى الحرية التي كانت تشتاق أن تختبرها:

> أخيرًا، وجدت الشجاعة لأطلب مساعدة من سيدة مؤمنة تقية كانت تكبرني سنًا. شجَّعتني أن أسأل الله ما هي الأكاذيب التي كنت قد صدقتها. وللأمانة، لم أكن أفكر أني أصدق أي أكاذيب، لكن عندما بدأت أصلي من أجل ذلك، فتح الله عينيَّ وأراني منطقتين أساسيتين في حياتي كنت مضلَّلة فيهما. تلك الأكاذيب جعلتني في عبودية لأكثر من عشر سنوات! وبمجرد أن رأيت الحق، تُبتُ عن تصديق الأكاذيب، وسألت الله أن يسترد الأرض التي سَمحتُ للشيطان أن يأخذها في تلك المنطقة من حياتي.

كانت ملامح وجهها تحكي ما حدث بعد ذلك. قالت: "منذ ذلك الوقت، تحرَّرت بالكامل من هذه الخطية التي كان لها هذا النفوذ الكبير على حياتي. بالإضافة إلى ذلك، فإن الله يعطيني نصرة على أشياء أخري كثيرة كنتُ ضعيفة أمامها في الماضي. لا أستطيع أن أعبِّر لكم عن الفرح والحرية اللذان اختبرهما الآن. **إن الحق له قوة لا توصف!**"

شهدت عيانًا قوة الحق في موقف آخر، عندما كنت أتحدث إلى سيدة كانت منخرطة عاطفيًا مع أحد الرعاة في الكنيسة. وعندما علمتُ بهذا، اتصلتُ بها في عملها لأنني لم أكن أعلم ماذا كان يعرف زوجها عن هذا الأمر. ولأنها كانت تعمل كموظفة في الاستقبال في شركتها، أدركت أن مكالمتنا لن تطول؛ لذا بعد أن عرفتها بنفسي بدأتُ مباشرة في التكلم في الموضوع والذي قدَّمته في صورة تشبيهية:

"إذا نظرتُ من نافذتي في منتصف الليل، ولاحظت أن منزل جيراني يحترق، فسوف أجري إلى الباب المجاور، وأعمل ما بوسعي أن أفعله لألفت انتباههم وأخرجهم بعيدًا عن الخطر. وإن لزم الأمر فسوف أصرخ وأدق على بابهم. لن يهُمني إذا ما كنت مزعجة لهم لأني أيقظتهم في منتصف الليل، ولن أعتبر كثيرًا ما إذا كنت قد آذيت مشاعرهم".

ثم قلتُ بعد ذلك لهذه السيدة: "لا بد أن أقول لك إنك بداخل منزل يحترق، أنتِ في خطر عظيم. لأن هذا الموقف محفوف بالمخاطر، لن أقلق من جهة ما ستعتقدينه فيَّ، أو إذا كنتُ قد آذيتُ مشاعركِ. سوف أفعل كل ما أستطيع لأحذِّرك من الخطر المحدق بكِ، وأساعدك على الخروج من هذا المنزل الذي يحترق قبل فوات الأوان".

توسلت إلى هذه السيدة، بدموع، لتدرك حقيقة ما كان يحدث في حياتها. ناشدتها أن تأخذ خطوات فورية صارمة، لكي تُنقذ نفسها من الموقف الخطير الذي سمحت لنفسها أن تنزلق إليه. ولما تكلمنا، أشرق الله بنور في قلب هذه السيدة. لا يمكن أن أُرجع لنفسي أي فضل في ما حدث في الأيام التي تلت ذلك «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة» (فيلبي ٢: ١٣). لكن يا له من فرح أن تُرى هذه السيدة الغالية تقبل الحق في اختياراتها وفي مشيئة الله لحياتها، في زواجها، وعلاقاتها. وعندما بدأت تخطو خطوة صعبة تلو الأخرى، كانت نعمة الله تمكِّنها أن تستمر متخطية عواطفها، متخطية عاداتها، متخطية طرق التفكير التي كانت قد ترسخت داخلها (رغم زيفها). لقد بدأت تسلك في النور. وفي النور وجدت طريقًا جديدًا تمامًا للحياة - طريق الحرية والبركة.

هذا هو الحق. وهذا ما أريده لك عزيزتي القارئة.

الرحلة التي نحن، أنا وأنت، على وشك أن نبدأها معًا ربما لا تكون سهلة. قد تكون صعبة - أو حتى مؤلمة - لكي نتعرف على، ونصل إلى جذور تلك المناطق من الخداع

التـي أوجدتـك في العبودية. لكنني أعرف "الراعي الصالـح" الذي يُحبك كثيرًا، الذي بذل حياته لأجلك، والذي سيمسك بيدك ويقودك إلى مراعٍ خضراء وإلى مياه راحة؛ إذا كنت فقط تسمحين له.

فَاثْبُتُوا إِذًا فِي الْحُرِّيَّةِ الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا، وَلاَ تَرْتَبِكُوا أَيْضًا بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ.

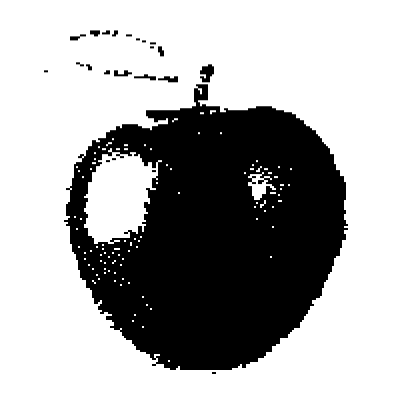
(غلاطية ٥: ١)

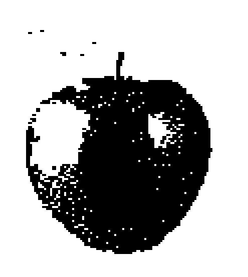
تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ.

(متى ١١: ٢٨-٣٠)

الجزء الأول

أساسيات





تمهيد

مذكراتي العزيزة

إن رأسي تدور. بالكاد أعرف من أين أبدأ. بدأ هذا اليوم في غاية الروعة - تمامًا مثل كل الأيام الأخرى التي عشـــناها. وكما اعتدنا أن نفعل، استيقظتُ أنا وآدم مبكرًا لنتمشى مع الله. هذه النزهات كانت دائمًا أجمل وأروع ما في يومنا.

هذا الصباح، لم يَقُل أيٌّ منا أي شـــيء للحظات، كنا فقط نســـتمتع بوجودنا معًا. ثم بدأ الله فـــي الترنم، وكانت ترنيمة حـــب. وعندما وصل إلى "القرار"، بدأنا نرنم معه - آدم كان أولاً بصوته العميق، ثم شاركتُ أنا. ظللنا نرنم ونرنم ونرنم - ترانيم عن الحب وعن النجوم وعن الفرح وعن الله. وأخيرًا جلسنا جميعًا تحت ظل شجرة كبيرة بالقرب من وسط الجنة. شـــكرنا الله لكونه صالحًا جـــدًا، وقلنا له إن كل ما نريد أن نعمله هو أن نســـعده وأن نجد ســـعادتنا فيه. كان وقتًا جميلاً ممتعًا - لقد كان هكذا دائمًا كلما اجتمعنا نحن الثلاثة معًا.

لســـت أعرف كيف أفســـر ما حدث بعد ذلك. فجأة، سمعنا صوتًا لم نسمعه من قبل. فتحولـــت بســـرعة، وإذا بأجمل ما رأيتُ مـــن المخلوقات، ينظر إليَّ. تكلم إليَّ مباشـــرة. جعلني أشعر بأهميتي، ووجدت نفسي أريد أن أسمع ما ينوي أن يقوله.

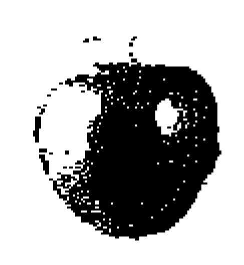
لا أعلم تمامًا ماذا حدث مع الله وقتها . لا أعتقد أنه كان قد مضى وتركنا . أظن أني كما لو كنت نسيت أنه موجود . في الواقع نسيتُ أن آدم كان موجودًا . كنت أشعر أني بمفردي مع هذا المخلوق الغامض، والمبهر البصر .

كان الحديث الذي جرى بعد ذلك قد حُفر في عقلي ولن يمّحى. سألني بعض الأسئلة - أسئلة لم أفكر فيها أبدًا من قبل. ثم عرض عليّ بعض الأشياء لم أكن حصلتُ عليها أبدًا من قبل؛ أشياء لم أفكر يومًا أنني أحتاج إليها : الاستقلال - عن الله وعن آدم. المركز - كنت دائمة التطلع إليه في الله وفي آدم، هذا المخلوق قال لي إنهم سوف يتطلعون إلى المعرفة - للأمور الغامضة التي لا يعرفها إلا الله. التصريح - بالأكل من ثمر الشجرة التي في وسط الجنة.

في بادئ الأمر أصغيت ونظرت فقط. ثم تفكرت في قلبي، وتساءلت وجادلت. كان آدم قد ذكرني مرارًا كثيرة أن الله قال إننا لا يجب أن نأكل من ثمرة تلك الشجرة. وهذا المخلوق ظلّ ينظر إلى عينيّ ويتكلم بذلك الصوت الناعم. وجدت نفسي أصدقه. بدأ كل شيء صحيحًا. أخيرًا، استسلمت. مددت يدي؛ بحذر أولاً، ثم بأكثر شجاعة. أخذتُ. أكلت. ناولتها إلى آدم. أكل. أكلنا معًا - أنا أولاً ثم هو .

كانت اللحظات التالية غائمة غير واضحة المعالم. إحساس داخلي عميق لم أختبره من قبل. وعي جديد - كأنني أعرف سرًا لم يكن من المفروض أن أعرفه. نشوة واكتئاب - في نفس الوقت. تحرر . سجن. أرتفع. أسقط. واثقة. خائفة. أشعر بالخزي. متسخة. أختبئ- لن أدعه يراني هكذا .

وحيدة. وحيدة جدًا جدًا . ضائعة. مضلّلة.



الفصل الأول

حق... أم نتيجة

"يمكنك أن تصبح عازف كمان عالميًا في لحظات".

"كيف تعزف على البيانو... في الحال!"

"صحة فورية، بمجرد أن تضغط على المفتاح الكهربائي!" (إعلان عن أجهزة منزلية).

"يمكنك التخلص من ٥ كيلوجرامات في عشر دقائق! عمل في غاية السهولة، يمكنك القيام به وأنتِ بملابس النوم!".

"تمتع براحة البال، ويمكن تغطيتها ببوليصة التأمين الصحي" (إعلان عن سيارة شعبية).

"تبدو أفضل وتشعر بشباب في مجرد دقائق كل يوم... المفتاح لحياة أكثر صحة، وأكثر سعادة." (إعلان خاص بغرفة أكسجين. والثمن ٤٠٠٠ دولارًا).

إن مجتمعاتنا مشوّهة بسبب التضليل. فهو في كل مكان، كما هو مصوّر في هذه الادعاءات الإعلانية الغريبة. أحيانًا كثيرة يكون من السهل أن نرى ونميز من خلال الكذب (كما في الادعاء أن واحدًا يمكنه أن يصبح عازف الكمان العالمي في لحظات). لكن للأسف، فإن معظم الكذب ليس اكتشافه بهذه السهولة.

إن التضليل في الإعلانات يروق لرغباتنا الإنسانية الطبيعية. فنحن نريد أن نصدق أنه بطريقة ما، غير معروفة، يمكن لهذه الكيلوجرامات الزائدة في الوزن أن تذوب في مجرد عشر دقائق - بدون عَـرَق، ولا ضبط نفس، ولا تكلفة، ولا مجهود، ولا ألم. ولهذا السبب نحن نشتري الحبوب، ومشروبات التخسيس، وأجهزة التمارين التي تُعرض في البرامج التسويقية.

مروج للإعلانات، بارع وداهية، هدفه تغيير فكر آدم وحواء عن الله وعن طرقه، كان هو المصمم لأول حملة إعلانية. كان قصد إبليس أن يفرق بين الله وخليقته. افترض، بحق، أنه ليس من المحتمل أن يؤيد الرجل والمرأة أي شيء يمكن أن يكون معاديًا بالتمام لله. وعرف أنه، بدلاً من ذلك، كان عليه أن يخدعهما بمكر، ويضللهما، ويغريهما بعرض يبدو منطقيًا ومرغوبًا وليس "ضد الله" بالكلية.

خدع الشيطان حواء من خلال مزيج ماكر من أكاذيب بكل ما في الكلمة من معنى، وأنصاف حقائق، وأكاذيب مقنعة متخفية في صورة حقيقة. بدأ يزرع بذور الشك في عقلها عن ما قاله الله فعلاً «أحقًا قال الله...؟» (تكوين ٣: ١).

بعد ذلك قادها أن تتعامل بلا اكتراث مع كلمة الله. وأوحى إليها أن الله قال شيئًا في الحقيقة هو لم يقله. قال الله. «لا تأكل من ثمر الشجرة»، لكن حواء نسبت الكلام إلى الله كأنه قال: «لا تمساه» (ع ٣).

خدع الشيطان حواء بأن جعلها تشك في صلاح الله ومحبته ومقاصده. فسأل «أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟». والمعنى المقصود هنا هو "هل وضع الله قيودًا على حريتكما؟ يبدو كأنه لا يريد سعادتكما".

الحق أن الله قال "أنتم أحرار لتأكلوا من أيٍّ من شجر الجنة ما عدا واحدة" (٢: ١٦).

الحق أن الله إله كريم وسخي.

في هذه الجنة الواسعة الفسيحة، وضع الله لافتة واحدة فقط تقول: "ابتعد.. لا تأكل من شجرة معرفة الخير والشر". علاوة على ذلك، فإن القيد الوحيد الذي فرضه الله

كان في صالح الزوجين وكان الهدف منه بركتهما وسعادتهما إلى أجل طويل. كان الله يعلم أنهما إذا أكلا فسوف يموتان، وعلاقتهما معه ستنقطع، وسوف يصبحان عبدين: للشيطان، وللخطية، ولنفسيهما.

أكثر من ذلك فقد خدعت الحية حواء بالكذب عليها فيما يتعلق بنتائج اختيارها بعدم طاعة الله. قال الله: «يوم تأكل منها موتًا تموت» (٢: ١٧). رد الشيطان بالضد: «لن تموتا» (٣: ٤).

لقد أغوى الشيطان حواء بتقديمه لها كل أنواع الفوائد إذا هي فقط أكلت من الشجرة المحرمة (٣: ٥). ووعدها بعالم متسع من المعرفة والخبرة سوف ينفتح أمامها «تنفتح أعينكما». وأكد لها أنها ستصبح مساوية لله - وهذا يعني، أنها يمكنها أن تكون إله نفسها «وتكونان كالله».

وأخيرًا وعدها بأنها ستكون قادرة على أن تقرِّر لنفسها ما هو الصواب وما هو الخطأ («معرفة الخير والشر»). كان الله قد أعلم آدم وحواء ما هو الصواب وما هو الخطأ. لكن الشيطان قال، "هذا هو رأى الله، لكن أنتِ مؤهلة أن يكون لكِ رأيك الخاص - لكِ أن تتخذي قراراتك الخاصة بشأن ما هو صواب أو خطأ".

خدع الشيطان حواء بأن دفعها لاتخاذ قراراتها على أساس ما يمكن أن تراه هي، أو على أساس مشاعرها، أو بناء على منطقها الشخصي، حتى عندما كان هذا مضادًا لما أخبر الله به الزوجين:

فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ

(تكوين ٣: ٦).

أكلــت حواء. لكن بدلاً من المكافآت الموعودة، وجدت نفســها وفمها يمتلئ بكل هــذه الطفيليات: خزي، شــعور بالذنب، خوف، وشــعور بالاغتراب. قــد كُذِبَ عليها، لقد انخدعت.

وكما وصفها القس توماس برووك:

> إن الشــيطان يعِد بأفضل شــيء، لكنه يمنح الأســوأ؛ يعد بالكرامة فيعطي الخـزي، يعـد بالمتعة فيعطي الألــم، يعد بالربـح فيعطي الخســارة، يعد بالحياة فيعطي الموت[١].

منذ تلك اللحظة إلى هذه، والشــيطان يستخدم الخداع ليكسب عواطفنا، ويؤثر على اختياراتنا، ويدمِّر حياتنا. بطريقة أو بأخرى، فإن كل مشكلة نواجهها في هذا العالم هي ثمرة خداع - نتيجة تصديق شيء هو ببساطة ليس حقيقة.

يعرض الشــيطان وعوده البراقة "للحياة الحقيقية"، ومن ناحية أخرى هو يعرف، أن أولئك الذين يقبلون عروضه سيموتون حتمًا (أمثال ١٤: ١٢).

فلماذا إذًا نســقط في خداعه؟ ولماذا نذهب إلى الطُعم؟ أحد الأســباب أن الشيطان لا يظهــر عــادة في صورة الحيــة - بل بدلاً من ذلك، يأتي متخفيًــا في صورة أحد الكتب الأكثر مبيعًا، أو في مجلة مشــهورة، أو في فيلم، أو في عرض تليفزيوني، أو في الأغاني الأكثر شــعبية. أو ربما يظهر في مشــورة مخلصة يقدمها قريب أو صديق، أو معالج، أو حتى كاتب مسيحي، أو واعظ، أو مرشد.

لكن بصرف النظر عن المصدر المباشــر، ففي كل وقت نحصل على معطيات لا تتوافق مع كلمة الله، لنتيقن أن الشيطان يحاول أن يخدعنا ويحطمنا. ما نقرأه أو نسمعه ربما يترك انطباعًا صحيحًــا، أو نشــعر أنه صحيح أو ربما يبدو أنه صحيح - لكــن إذا كان مخالفًا لكلمة الله، فهو ليس صحيحًا. لو كنا فقط نستطيع أن نرى أن الثمرة المحرمة - تلك الثمرة التي تبدو شهية جدًا وحلوة المذاق جدًا من اللحظة الأولى - هي دائمًا تقود في النهاية إلى الموت والهلاك.

استراتيجية الخداع

كان الخداع – ولا يزال – أساسيًا لاستراتيجية الشيطان. وطبقًا لما قاله المسيح، فجوهر طبيعة الشيطان هو أن يخدع:

ذَاكَ (إبليس) كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَق. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ.

(يوحنا ٨: ٤٤).

لأسباب لا ندركها تمامًا، اختار الشيطان أن يستهدف المرأة ليتمم استراتيجيته من الخداع. مرتين في العهد الجديد يشير الرسول بولس إلى أن المرأة هي التي أغويت: «خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا» (٢كورنثوس ١١: ٣)، «وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ، لكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ» (١تيموثاوس ٢: ١٤).

يعتقد بعض اللاهوتيين أن شيئًا ما في الكيفية التي خُلِقت عليها حواء جعلها أكثر عرضة للخداع – حتى إنها في صُلبها، أكثر انخداعًا أو انغواء. وآخرون يعتقدون أنه بسبب أن الله جعل زوجها رأسًا لها، فبمجرد أن خرجت من تحت هذا الغطاء والحماية الروحية، أصبحت أكثر سهولة أن تغوى.

وبصرف النظر، فإن المقصود هنا أننا كنساء الجنس البشري الساقط، فنحن بالأخص عُرضة للسقوط فريسة لأكاذيب الشيطان. لنتذكر أنه لم يقترب أولاً من

الرجـل، لكنـه متعمِّدًا اقترب من المـرأة وخدعها. كانت المرأة هـي التي قادت زوجها إلى الخطية، ومعًا قادا كل الجنس البشـري إلى الخطية (مع ذلك فآدم، كالرأس، هو في النهاية المسـؤول). أعتقد أن لهذا مغـزى خاصًا، كما أنه من اللافت للنظر أنه، إلى هذا اليوم، بشـكل خاص يسـتهدف الشـيطان المرأة ليغويها. هذا جزء من استراتيجيته. هو يعرف أنه إذا كنا نحن كنساء نصدق كذبه وخداعه، فسوف نؤثر على الرجال من حولنا ليخطئوا، وأن اختياراتنا الخاطئة سوف تضع نموذجًا لأجيال لاحقة.

أحيانًـا، كما كان الحال مع حواء، يخدعنا الشـيطان مباشـرة، لكنه أحيانًا، يسـتخدم الناس كآلات للخداع.

فـي أفسـس٥ : ٦، بولس يحـذر «لاَ يَغُرَّكُمْ (يخدعكـم) أَحَدٌ بِكَلاَمٍ بَاطِـلٍ». ومرارًا وتكـرارًا، يشـجِّع شـعب اللـه ليتكلمـوا بالحـق بعضهـم مع البعـض. عندمـا لا نكون مخلصيـن أحدنا مع الآخـر، فنحن في الحقيقة نؤدي للشيطان عمله، نتصرف كعملاء له، خادعين ومهلكين أحدنا للآخر.

وطبقًا للكتاب المقدس، يمكن أن ننخدع بواسطة قادة روحيين – هؤلاء الذين اؤتمنوا على مسؤولية رعاية قطيع الرب وتوصيل الحق إلى شعبه. وبكل أسف، فإن كثيرين من القادة أسـاءوا اسـتخدام دعوتهم وأساءوا إلى أتباعهم عندما أخفقوا أن يتكلموا بالحق. في نبوة حزقيال، يخاطب الله هؤلاء القادة الذين يخدعون الشعب قائلاً:

لأَنَّكُنَّ أَحْزَنْتُنَّ قَلْبَ الصِّدِّيقِ كَذِبًا...
وَشَدَّدْتُنَّ أَيْدِي الشِّرِّيرِ حَتَّى لاَ يَرْجِعَ عَنْ
طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ فَيَحْيَا

(حزقيال ١٣ : ٢٢).

أعتقد أن هذا وصف دقيق لكثير مما يحدث في العالم المسيحي اليوم. فإذا دخلتِ - تقريبًا - إلى أيّة مكتبة للكتب المسيحية، أو تصفحتِ الكثير من المجلات المسيحية، إذا استمعتِ إلى راديو أو تليفزيون مسيحي، أو إذا أصغيتِ إلى الكثير من المتخصصين النفسانيين المسيحيين، فسوف تجدين "قادة مسيحيين" مرموقين، يخدعون أتباعهم. وفي أغلب الأحوال، لا أظن، أن قصدهم أن يخدعوا الناس - في الحقيقة، ربما هم حتى لا يدركون أنهم يخادعون. ولكن، هذا هو ما يحدث تمامًا.

في كثير من الأحيان، هم "يشددون أيدي الشرير" عندما يقولون إنه لا حاجة لهم أن يتوبوا. هم يَعدون ببركة الله ونعمته لأناس غير مؤهلين لذلك بسبب عدم طاعتهم المتعمدة وقلوبهم غير التائبة. فتعاليمهم تساعد الناس أن يبرروا:

- الغضب ("هو تعبير صحي عن حقيقة مشاعرك")،
- الأنانية ("يجب أن تضعي حدودًا بينك وبين الذين يطالبون")،
- عدم تحمل المسؤولية ("أنتِ غير فعالة لأنكِ مجروحة من الآخرين")، ثم
- الخيانة الزوجية («أنتِ حرة أن تطلقي شريكك وتتزوجي بآخر، لأن الله هو إله الفرصة الثانية»).

وفي نفس الوقت، هم يجعلون "البار" يشعر أنه "حزين" أو "مذنب"...

- من تتحمل مسؤوليتها الشخصية ("أنتِ لست وحدكِ المسؤولة")،
- من تظهر قلب خادمة («لا يجب أن تدعي الآخرين يستغلونكِ»)، ثم
- لمن تخلص في تعهداتها الزوجية ("الله لا يتوقع منكِ أن تستمري في هذا الزواج").

افتحي عينيكِ

للأسـف، فـإن الغالبية – حتى المؤمنين – عرَّضوا أنفسـهم، بـدون تفكير، لكثير من الخـداع إلـى الدرجة التـي لا يدركون معهـا أنهم مخدوعـون. وهذا هـو جوهر طبيعة الخداع – أن نُعمى عن الحقيقة أننا مخدوعون.

أحد أهدافي في هذا الكتاب أن أحث المسـيحيات ليفتحَن عيونهن ويبدأن في تقييم كل مـا يحـدث حولهن – ليسـتيقظن للتضليل والخداع المنتشـر في كل مـن المجتمع والوسـط المسـيحي. كثير من أسـاليب حياتنا متأصلة في الكيفية التـي نفكر بها، وهي بكل بسـاطة ليسـت صحيحة. والنتيجة هي بيت مبني على الرمل. فأكذوبة واحدة تقود إلى أخرى، وأخرى إلى أخرى.

وممـا يؤسـف له، فـإن الكثيرين يقبلَون بـدون وعي كل ما يسـمعونه أو يرونه. نحن نسـتمع إلى موسـيقى، نقرأ كتبًا ومجلات، نشاهد أفلامًا، نستمع إلى نصيحة، وننجذب إلى إعلان؛ دون أن نسأل أنفسنا أسئلة هامة مثل:

- "ما هي الرسالة هنا"؟
- "هل هي فعلاً حقيقية"؟
- "هل أنا مضلَّله بطريقة تفكير مضادة للحق؟"

لقد كان وعد الشـيطان لحـواء جذَّابًا: «تنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَـانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ» (تكوين ٣: ٥). فمن يستطيع أن يقاوم مثل هذا العرض غير العادي؟

والثمـرة المحرَّمة كانت «جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ... بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ... شَـهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ» (ع ٦). فهل إذا لم تكن جذابة جدًا، كنتِ تعتقدين أن حواء كانت ستسقط في هذا العرض؟ وهل لو كانت هذه الثمرة متعفنة ومليئة بالحشرات، فهل كانت ستفكر في عصيان الله؟ بالطبع لا. فالذي يجعل عروض الشيطان جذابة جدًا وخادعة جدًا أنها تبدو صحيحة جدًا.

المشكلة هي أن حواء لم تتوقف لكي تقَيِّم ما كان يحدث حولها. لم تأخذ وقتًا لكي تميِّز بين الحقيقة والضلال. لم تتوقف لتحسب كُلفة ونتائج ما كانت على وشك أن تفعله. لو كانت حواء تصوَّرت نتائج اختيارها الشنيعة، المؤلمة، المميتة - في حياتها، في علاقاتها مع الله، في زواجها، في أولادها، في أولاد أولادها و(من خلال خطية زوجها، الذي تبعها) في كل إنسان عاش فوق وجه البسيطة - هل تعتقدين أنها كانت قد أصغت إلى كذب الشيطان وعصت الله؟ أشك في هذا.

ونحن عندنا المشكلة ذاتها بالضبط. لقد اكتشفت أن أقلية من المسيحيات يعطين اهتمامًا لنتائج اختياراتهن. فنحن ببساطة نعيش حياتنا، نتجاوب مع الناس، والظروف والمؤثرات من حولنا - نأكل ما نشتهيه في هذه اللحظة، نشتري أحدث الأدوات الإلكترونية المعروضة على شاشات التلفاز، نتبنى أخر الموضات، ونعتنق أساليب حياة أصدقائنا وقيمهم وأولوياتهم. كلها تبدو جيدة جدًا، نشعر أنها صحيحة جدًا، وتبدو في غاية البراءة وغير مؤذية. لكننا ننتهي إلى علاقات مؤذية، نغرق في الديون، نمتلئ بالغضب، محبطين، مقيدين، غارقين. لقد انخدعنا. سقطنا بسبب أكذوبة.

وفي مثال لا يُنسي لهذا النوع من التضليل، كانت هناك أم صغيرة السن لسبعة أطفال، أخبرتني أنها انخرطت في علاقة مع رجل تعرفت عليه عن طريق الإنترنت، وكانت تفكر في أن تترك زوجها لأجل هذا الرجل الآخر. وعندما تقابلتُ معها ذات ليلة، اعترفت أن ما كانت تفعله لم يكن صحيحًا. "لكن" قالت السيدة، "هو طيبُ جدًا معي ومع أولادي".

ولمدة ساعتين، كنت أتوسل إليها لترى أن هذا الرجل لا يهتم فعلاً بها ولا بأولادها - فلو كان - لما هدم زواجها، ولو كان بالفعل يحبها، لما قادها لتتعدى شريعة الله. حذَّرتها أن الطريق التي تسلكها، والتي ظنت أنها تبدو صحيحة، لا بد أنها تقود إلى الموت والدمار. حاولت كثيرًا أن أساعدها لكي ترى أنها مخدوعة وأن أملها الوحيد هو أن تصدق الحق وتتمسك به.

الانحدار المتوالي من الخداع إلى العبودية

في الفصول المقبلة، سوف ندرس بعضًا من أكثر الأكاذيب شيوعًا وتدميرًا والتي تصدقها النساء، لكن أولاً، دعونا نلقي نظرة على كيفية أن نصبح مضلَّلين، وكيف يقودنا التضليل إلى العبودية.

في الغالب، لا يسقط الناس في العبودية بين ليلة وضحاها. فهم لا يستيقظون ذات صباح ليكتشفوا أنهم مُدمنون للطعام، أو أن لهم طبعًا حادًا لا يعرفون أن يتحكموا فيه. فهناك تسلسل يقود إلى العبودية، وهو يبدأ دائمًا عندما...

نصغي إلى أكذوبة

هكذا بدأ كل شيء في جنة عدن. استمعت حواء إلى الأكاذيب عن طريق الشيطان. وإني على يقين أنها لم تكن تعرف بالمرة إلى أين كانت تلك الأكاذيب سوف تقودها هي وعائلتها في النهاية. ربما لم يبدو لها أن هناك خطورة فعلية في مجرد الاستماع إلى الحية، أو في أن تصغي إليها لترى ما كانت تريد أن تقوله. الاستماع في حد ذاته لم يكن عصيانًا. لكن - وهنا مفتاح الأمر - الاستماع إلى وجهة نظر تخالف كلمة الله وضع حواء على منحدر زلق قادها إلى العصيان، والعصيان قادها في النهاية إلى موت جسدي وروحي.

الاستماع إلى أشياء ليست حقيقية هو الخطوة الأولى في اتجاه العبودية والموت المحتَّم. لذلك أؤمن أنه من المهم جدًا أن ننتبه بدقة إلى كل ما نسمح به أن يدخل إلى أذهاننا وقلوبنا.

أنا الكبرى بين سبعة، وإني أشكر الرب الذي أعطي والديَّ الاقتناع بالتحكم في المؤثرات المسموح بها في بيتنا في مراحل نمونا المختلفة.

كان والداي هما الجيل الأول المسيحي في عائلتيهما؛ فهما لم يعرفا الرب حتى صارا شبابًا مدركين. وعندما كانا يقومان بتربية أفراد أسرتنا، لم يكن متاحًا لديهما

الكثيـر من المصادر التعليميـة الرائعة أو المحاضرات المتاحة للوالدين اليوم. لكن الله أعطاهمـا الحكمة والشـجاعة ليربيا أولادهمـا في داخل هذا الإطـار الروحي الصحي. لقد بذلا جهودًا واعية لحمايتنا من كل المؤثرات الضارة لنا، ولإحاطتنا بالمؤثرات التي تغـذي حياتنـا روحيًا. والنتيجة لذلك، أننا كبرنا، بقلوب مُصانة تمامًا. في سـن مبكرة، كانت قلوبنا حساسة للخطية وتعلمنا أن نميز بين الصواب والخطإ.

هـذه الطريقـة في تربيتنا كأطفال لـم تكن دائمًا مفهومة لدينا عندمـا كنا صغارًا، لكن كم أشـكر الرب اليوم من أجل والديَّ اللذين كان لهما الشـجاعة أن يقولا: "لن نسـمح لأولادنـا، بمعرفتنـا، أن يكونوا تحـت تأثير الأكاذيب المروَّجَة في هـذا العالم". كانت رغبـة قلبيهمـا بكل غيرة أننا ننمو في محبة لكلمة الله وطرقه، وقلوبنا تسـرع إلى الحق، وأن نقبله بسـرور لأنفسـنا. وبمجرد أن أطلقانا من هذا المُناخ النقي الدافئ إلى العالم، كانت رغبتهما أن نسـتمر في السـلوك فـي الحق، وأن ندرك ونرفـض كل ما هو مخادع وليس من الحق.

وكسـيّدة بالغـة، لا زلتُ أجد أنه أمـر مصيري أن أحرس عقلـي - أن أختار بعناية ما أسـمح بـه للدخول في حياتي وأرفض كل ما ينشـئ أفكارًا غير نقيَـة. طريق العالم التي تخـدع الفكـر تأتي إلينـا من خلال مداخل رئيسـية كثيـرة: التلفاز، المجـلات، الأفلام، الموسـيقي، الأصدقـاء، المحـلات التجاريـة، الكتالوجـات؛ هـذا قليـل من كثيـر. إن الانضبـاط المسـتمر في التعامـل مع هذه التأثيرات العالمية سـوف يشـكِّل رؤيتنا لما له قيمة، وما هو جميل، وما هو هام في الحياة.

لا توجد أكاذيب غير مؤذية، نحن لا نسـتطيع أن نعرِّض أنفسـنا لزيف العالم، وطرق التفكيـر الغاشـة ونخرج منها بـدون ضرر. لـم تكن غلطة حواء الأولـى هي أكل الثمرة، كانت غلطتها الأولى هي الإصغاء للحية.

الاسـتماع إلى مشـورة أو طريقة تفكير ليسـت موافقة للحق هو أول خطوة في إنشاء معتقـدات خاطئـة سـوف تضعنا فـي النهاية فـي عبودية. ومتـى أصغينا إلـى الأكذوبة،

فالخطوة التالية في اتجاه العبودية هي أننا:

نطيل الفكر بالأكذوبة

فنحن نصغي إليها أولاً، ثم نفكر فيها طويلاً. ونبدأ في إعطاء اهتمام لما قاله العدو. "نديرها في عقولنا". ونشـرك العدو في المحادثة. ثم نفكر مليًا أنه ربما يكون على صـواب في النهاية. هذه العملية قد تشـبه الفِلاحَة أو زراعة حديقـة. أولاً التربة حُرثت - عندمـا نعـرِّض أنفسـنا لمعطيات ضـد كلمة الله. ثـم زُرعت البذرة - إذ نسـتمع إلى الأكذوبة. بعد ذلك سُقيت البذرة وخُصِّبت - عندما نفكر طويلاً في الأكذوبة.

إذا سمحنا لعقولنا وقلوبنا أن تفكر في أشياء ليست حقيقية، فعاجلاً أو آجلاً سوف:

نصدِّق الأكذوبة

عنـد هذه النقطة، فإن البذرة التي زُرعت تبدأ جذورها تتأصل فتنمو. أولاً اسـتمعت حـواء إلـى إعلان عن مبيعـات الحية. ثم فكرت فيها باهتمام وأشـركتها في مناقشـات أخرى بخصوصها. ولم يمضِ وقت طويل، حتى صدقت أن ما أخبرتها به كان حقيقيًا. علـى الرغـم من أنـه كان من الواضح كونه إنـكارًا للحق الذي كان الله قـد قاله بالفعل. وحالمـا صدقـت الأكذوبة، فإن الخطوة التالية كانت صغيرة. الاسـتماع إلى الأكذوبة، التفكير فيها طويلاً، تصديقها، وآجلا أو عاجلاً فسوف:

نسلك بموجب الأكذوبة

والآن فالبـذرة التـي زُرعـت، وسُـقيت، وخُصِّبـت، وضربت جذورها، بـدأت تنتج ثمرًا - ثمر الخداع. التصديق ينتج سـلوكًا. تصديق أشـياء ليسـت حقيقية ينتج سلوكًا فـي الخطيـة. إن ما نصدقه سـوف يرُى في الكيفية التي نحيا بهـا. وبالعكس، فإن كيفية سلوكنا تكون ثابتة علي أساس ما نعتقد أنه صحيح - لا ما نقول إننا نؤمن به، بل ما نؤمن

به فعليًا. «لأَنَّهُ كَمَا شَعَرَ (إنسان) فِي نَفْسِهِ هكَذَا هُوَ» (أمثال ٢٣: ٧).

من المهم أن نذكر أن كل تصرف خاطيء في حياتنا يبدأ بأكذوبة. نحن نستمع إلى أكذوبة، نفكر بها طويلاً إلى أن نصدقها، وأخيرًا نسلك بموجبها.

والآن لنشاهد ما سيحدث بعد ذلك. نحن نرفض الحق، ونتعدى على كلمة الله، مرة واحدة فيما يبدو وكأنه مجرد "شيء صغير". وفي المرة التالية عندما نتعرض للتجربة، يكون أكثر سهولة أن نخطئ، والمرة التي تلي ذلك، هي أكثر سهولة.

فنحن لا نخطئ مرة واحدة، بل مرة ومرتين وثلاث مرات، إلى أن تُحفر في قلوبنا عادة أو نمط حياة يتسم بالخطية. وقبل أن ندرك ما حدث، نكون في عبودية بالفعل، إذ تكوَّن معقل للخطية. ألقي الشيطان بالطُعم السام، فأخذناه، وهو الآن لف الحبل علينا وقد جعلنا صيدًا له.

لا تنسي كيف بدأ هذا التدرج:

كل منطقة من العبودية في حياتنا
يمكن إرجاعها إلى أكذوبة.

زُرعت البذرة، سُقيت، وخُصِّبت، ضربت جذورها، أنتجت ثمرًا – ليست ثمرة واحدة بمفردها، بل حصادًا كاملاً – حصادًا من العبودية، والدمار، والموت.

الانتقال من العبودية إلى الحرية

يوجد في حياة أغلبنا مناطق نحن فيها في عبودية؛ لأننا أصغينا إلى، وصدقنا، وتصرفنا وفقًا لأكاذيب. كيف يمكن أن نهرب من العبودية، ونبدأ في التحرك باتجاه الحرية في تلك الأمور العملية في حياتنا؟ هنا ثلاث خطوات لنضعها في أذهاننا ونحن نبدأ في التعامل بأكثر تحديد مع الأكاذيب التي وضعتنا في العبودية والحق الذي يحررنا.

١ - حدِّدي منطقة (أو مناطق) العبودية أو السلوك الخطأ. والاحتمالات هي أنـكِ تعرفيـن بالفعل بعضًا من هذه القيود. لكن ربما توجد قيود أخرى ليسـت واضحة بهذا الوضوح. اطلبي من الله أن يكشف لكِ هذه المناطق التي لا تتمتعين بالحرية فيها. يقول الكتاب المقدس، «لأَنَّ مَا انْغَلَبَ مِنْهُ أَحَدٌ، فَهُوَ لَهُ مُسْتَعْبَدٌ أَيْضًا» (٢بطرس ٢: ١٩). ما هي القضايا التي في حياتك التي لا تعيشين فيها في حرية كابنه لله؟

هـل أنـتِ في عبودية جسـدية (إفراط فـي الأكل، الأكل بأسـلوب فوضوي، إسـاءة اسـتخدام المواد)؟ هل أنتِ في عبودية مشـاعر (توتر، خـوف، اكتئاب، اضطراب حاد في العواطف)؟ أو عبودية جنسـية (العادة السـرية، مشـاهدة صور إباحية، شـهوة، زنى، مثلية جنسـية)؟ أو عبودية مالية (إنفاق أكثر من اللازم، طمع، بخُل)؟ هل عندك عادات خاطئـة تمرض حياتك (الغضب، الكذب)؟ هل أنتِ فـي عبودية الحاجة إلى الإطراء، الخجـل الشـديد، التحدث كثيرًا، أو إدمـان للتليفزيون، أو القصص الرومانسـية؟ ربما يستحضر الله إلى ذهنك مناطق أخرى من العبودية في حياتك.

بمجـرد أن تتعرفي على تلك المناطـق، لا تحاولي فقط أن تتخلصي منها. في الواقع، ربما حاولتِ بالفعل أن تتعاملي مع هذه السلوكيات، وفشلتِ، وأوشكتِ على الاستسلام. إذا أردت أن تقضي على بعض التوت السام الذي ينمو في حديقتكِ، فلا يكفي أن تلتقطي كل التوت من فوق الشـجرة. فسـوف ينمو المزيد بدلاً منه. لكن الطريقة القاطعة للقضاء على الثمرة السامة أن تقتلعي الشجرة من جذورها. ولهذا السبب فإن الخطوة التالية في غاية الأهمية.

٢- تعرفي على الأكذوبة (أو الأكاذيب) في جذور هذه العبودية أو السلوك. مـا هي الأكاذيب اسـتمعتِ إليهـا، وصدقتيها، وسـلكتِ بموجبها، فوضعتـكِ في هذه القيـود؟ الإجابة عن هذا السـؤال ربمـا لا تكون واضحة على الفـور - الجذور عادةً ما تختبئ، والكذب، في حقيقة طبيعته، هو خادع. نحن نحتاج إلى معونة الرب ليسـاعدنا أن نرى ما صرنا نصدِّقه وهو ليس حقًا.

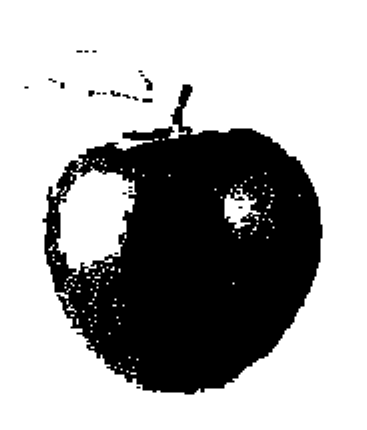
فـي الصفحـات التالية، سـوف نتعرف علـي أربعين أكذوبة، كثيرات من السـيدات المسـيحيات سمحنَ أن تُمد جذورها وتُنتج ثمرها في حياتهن. اطلبي من الله ليكشف لـكِ أيًا مـن أكاذيب العدو قـد صدقتِ - سـواء ما ذُكر في هـذا الكتـاب أو غيرها مما يذكِّـرك اللـه بهـا - واطلبي أن يسـاعدِك لتتوبي عن تصديـق تلك الأكاذيـب. وبعد أن تتعرفي على الأكاذيب التي صدقتيها بصورة محدده، ماذا بعد ذلك؟

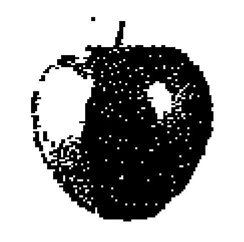
٣- **اسـتبدلي الكذب بالحق.** الشيطان عدو قوي، وسلاحه الأساسي هو الخداع. أكاذيبه قوية، لكن يوجد شيء أكثر قوة من أكاذيب الشيطان - وهو الحق. حالما نتعرف علـى الأكاذيب التي فرضت علينـا القيود والعبودية، وتُبنا عـن تصديق تلك الأكاذيب؛ فلنا هذا السلاح الفعَّال لنقهر الخداع: السلاح هو الحق.

كل أكذوبة لا بد أن تُبطَل بما يواجهها من حق. حيثما أصغينا إلى الأكاذيب، وفكرنا فيهـا وصدقناها، وسـلكنا على أساسـها؛ يجـب علينا أن نبـدأ في الإصغـاء إلى الحق، ونتأمل فيه، ونصدقه، ونسلك بموجبه. هذه هي الكيفية التي نتحول بها من العبودية إلى الحرية، بقوة روح الله. كما أعلن الرب يسوع، أن «الحق يحرركم» (يوحنا ٨: ٣٢).

الجزء الثاني

أكاذيب تصدقها المرأة





الفصل الثاني

أكاذيب تصدقها المرأة

... عن الله

مذكراتي العزيزة،

أنا مرتبكة ومتحيرة جدًا. ففي صباح الأمس، كنت متيقنة من أمور كثيرة، والآن لا أعلم مَنْ - أو ماذا - أصدق. لم يكن لديَّ أبدًا أية أسباب لأشك أن الله يحبني، بل كان لديَّ ألف سبب لأصدِّق أنه صالح. لم أقلق أبدًا فيما إذا كان الله قد أخبرنا بالحقيقة. لقد وثقتُ به. وصدقتُ ما قالهُ.

والآن، لسبب ما، فالله لم يعُد يبدو هو الله الذي كان يتمشى ويتكلم ويرنم معنا كل صباح. إذا كان فعلاً صالحًا، فلماذا لم يوقفني عن التحدث إلى الحية أو من الأكل من الشجرة؟ لماذا جعل الثمرة تبدو شهية جدًا، ولماذا وضع تلك الشجرة هناك من الأساس؟ وماذا همّ الله عندما أكلنا من الشجرة؟

إنه يبدو بعيدًا جدًا. أنا خائفة منه. لقد قال إننا سنموت إذا أكلنا من تلك الشجرة.

وهذا يبدو وكأنه عقاب قاسٍ للغاية – ولا يبدو عادلاً – خاصة أنه أول إثم. اليوم أخبرنا أننا لا بد أن نترك جنة عدن. لماذا لم يعطنا فرصة ثانية؟ هل يعنيه فعلاً ما يحدث لنا؟

هذا الأمر بكاملِه هو ورطة كبيرة. هل يمكن أن يفعل الله شيئًا؟

بينمــا نبـدأ في التعرف على بعض الأكاذيب التي تصدقها النســاء، دعوني أؤكد لكُنَّ أنها قائمة مضنية ومتعبة تمامًا. فالشيطان هو الكذاب والمخادع الأكبر، وأكاذيبه ليست لها نهاية. وهدفي ببساطة أن أتكلم عن بعض هذه الأكاذيب التي تصدقها معظم "نساء الكنائـس". أعتقـد أن هـذه الأكاذيب على وجـه الخصوص هي جـذور لمعظم القيود الموجودة بين المؤمنات. (خلال بقية هذا الكتاب، قُمتُ بنشر اختبارات حصُلت عليها من نساء كُنّ قد شاركنّ بالعواقب التي اختبرنها كنتيجة لتصديقهنِ لهذه الأكاذيب).

بالطبع، لا توجد امرأة تصدق جميع الأكاذيب. ربما تجدين نفسك منجذبة لتصديق أكاذيب معينة (أو ما يشبهها). والشيطان يعرف أين تكونين أكثر عُرضة لخداعه، وهناك سيكون غرضَ هجومه.

إن رد فعلـكِ الأول لبعـض هذه الأكاذيـب ربما يكون "أنا لا أصـدق هذا". واحدة من اسـتراتيجيات الشـيطان هـي أن يُعمينا عــن الأكاذيب التي صدقناهــا – لكي يجعلنا نفتـرض أنـه لأننا نعرف الحـق، نحن أيضًا نصدق الحـق. مرات بلا عدد عبر السـنين، كنت أقدِّم المشورة لكثير من السيدات اللاتي أعلنَّ إيمانهن بالحق الذي في كلمة الله، لكن أسـلوب حياتهن – اختياراتهن، وأولويات حياتهن، وتجاوبهن مع الألـم – يكشف أنهنّ لا يصدِّقن الحق فعلاً. ومهما كان، فإن ما نصدقه يظهر، لا بما نعرفه، ولا بما نقول إننــا نؤمــن به، لكن بالكيفية التي نحيا بها فعليًا. لذلك فكلّما تعرضَنا لهذه الأكاذيب، لا يكفي أن نسـأل، "هل أصدق هذه الأكذوبة؟"، بل كل منا لا بد أن تسـأل أيضًا: "هل أنا أعيش كما لو كنت أصدِّق هذه الأكذوبة؟"

عـدد من هذه الأكاذيـب خادعة جدًا لأنهــا أنصاف حقائق، أكثر مـن كونها أكاذيب

كاملـة برمتها. وهذا يجعلها أكثر خداعًا وخطورة. والواقع، أن نصف الحقيقة بالتأكيد سوف يِضعك في العبودية تمامًا مثل الأكذوبة الكاملة.

لـن نصـرف وقتًا طويلاً في الحديث عن تفاصيل كل واحـدة من تلك الأكاذيب كما تستحق أن نتكلـم عنها، فبعض هذه الأكاذيب كُتب عنها كُتب بأكملها. وليس هدفي أن أقدِّم شـرحًا مطوَّلاً لما قد يكون مسـألة بارزة في كثير من الأحيان، بل بالأحرى، أن أعطي نظرة عامة وواسـعة لطريقة التفكير التي أعتقد أنها أشـاعت الفوضى والدمار في حياة وبيوت النساء المسيحيات.

بعضٌ من الموضوعات التي سنتكلم عنها هي موضوعات "ساخنة"، ومحل جدل، حتى في العالم المسيحي المتمسك بالإنجيل. وفي حالات قليلة، ربما تقولين: "أنا لا أعتقد أن هذه أكذوبة".

دعيني ألتمس منك ألا تتعثري ببضعة موضوعات قد لا تتفقين معي عمليًا بخصوصها. إنني ببسـاطة أقدِّم مـا أعرف أن الكتاب المقدس يعلِّمه، ولسـت صاحبة الكلمة النهائية فـي أيٍّ مـن هذه الأمور، فالرب يسـوع وكلمته هما "الحق". ومقصـدي هو ليس أنكِ تتفقيـن معـي فـي كل ما أقول، بل أن أدفعـك للبحث عن الحق كما هـو معلن في كلمة الله، وأن تمتحني وتقيِّمي كل منطقة في حياتك في نور هذا الحق.

أخترتُ أن أبدأ بالتعامل مع الأكاذيب التي تصدِّقها النساء عن الله، حيث لا يوجد ما هو أهم وأخطر مما نصدقه عن الله. كما أشـارت الكاتبة هانا وايتل سـميث في السيرة الذاتية الروحية لها، "عدم أنانية الله"،

> كل شـيء في حياتـك الروحية يتوقف علـى طبيعة الإلـه الـذي تعبدينه. لأن شخصية العابد ستتشكل دائمًا بشخصية من يعبده: فإذا كان الإله قاسيًا ومنتقمًا، فالعابد سـيكون كذلك، لكن إذا كان إلهًا محبًا وصالحًا، غفورًا، وليس أنانيًا، فإن العابد سوف يتحول تدريجيًا، وبطريقةٍ رائعة إلى هذه الصورة[٢].

إن مـا نصدقه عن الله هو بمثابة الأسـاس للنظام الإيمانـي بأكمله. إذا كان لدينا فكر خاطـئ عـن الله، فسـيكون لدينا أفـكار خاطئة عن كل شـيء آخر. ما نؤمـن به عن الله سـوف يحدِّد الطريقة التي نحيا بها. إن صدقنا أشـياءً عنه ليست صحيحة، فسنسلك في النهاية وفقًا لهذه الأكاذيب التي ستنتهي بنا إلى العبودية.

١. "الله ليس صالحًا بالفعل. إن كان هو كذلك، لكان..."

هـذه أكذوبة تصدقها أقلية من النسـاء عن وعـي وإدراك. فمعظمنا لا يقول أبدًا "إن اللـه ليس صالحًا بالفعل". لأننا نعرف أفضل من ذلك. فلاهوتيًا، وفكريًا، نحن نعرف أن اللـه صالح. لكـن في داخل قلوب الكثير منا، هناك يكمن شـك وارتياب أنه ربما لا يكون بالحقيقة صالحًا - على الأقل فهو لم يكن كذلك معي.

أعتقـد أن هـذه الأكذوبة هي مركـز الكثير من أفكارنا الخاطئة عـن الله. وفي حقيقة الأمـر، هـذه هي الأكذوبة التي اسـتخدمها الشـيطان لكي يغوي حواء قديمًـا في الجنة. بارك الله الرجل والمرأة، وخلق لهما جنة فسـيحة لتمتعهما، وأعطاهما الحرية ليشاركا معًا ثمار جميع الأشجار - ما عدا واحدة فقط.

فإذا كان لديكِ أدنى شـك في صلاح الله، ارجعي مرة أخرى إلى قراءة الأصحاحين الأولين من سـفر التكوين. هناك سـوف ترين إلهًا شـخصيًا كريمًا صالحًا. كل ما عمله كان حسنًا - لأنه كان انعكاسًا لصلاحه.

عندمـا أراد الشـيطان أن يخدع حـواء لتتمرد على الله، فعل ذلك بـأن زرع في عقلها بذرة الشـك في صلاح الله. «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَـجَرِ الْجَنَّةِ؟» (تكوين ٣: ١).

والمعنـى المتضمَّـن كان أن "الله لا يمكـن أن يكون صالحًا؛ فلـو كان كذلك، لما كان ليرفض شيئًا أنتما تريدانه".

عندمـا تدخـل الهموم حياتنـا، وخيبة الأمل، والألـم؛ عندما نفقد أحباءنـا، عندما لا تسـير الأمـور كما رجونا وخططنا لها؛ فالشـيطان يغوينا بأن نتسـاءل، "هـل الله صالح فعلاً؟ لو كان كذلك، فكيف سمح أن يحدث هذا؟" أو "لماذا أمسك عني هذا (الشيء الحسـن)؟" في هذا العالم السـاقط حيث الحـروب، والإبادة الجماعيـة، المجاعات، والكوارث الطبيعية، هي واقع، فإن هذا المخادع يحاول أن يضع الله في صورة سـلبية: "كيـف أن إلهًـا صالحًـا بالفعل يسـمح بالهولوكوسـت (عملية إبـادة كاملـة حرقًا) أن تحدث؟ أو بالمجاعة في أثيوبيا؟ أو مذبحة كولومبيا؟"

وبمجرد أن نشـك في صلاح الله، نشـعر بأحقيتنا أن نرفض مشـيئته، ونتخذ قراراتنا بخصوص الصواب والخطإ.

الحق هو: أن الله صالح. سـواء بدت اختياراته صالحة لنا أم لا، فهو صالح. سـواء شـعرنا بذلك أو لـم نشـعر، هو صالح. سـواء اتضحت هذه الحقيقة في حياتي وحياتكِ أم لا، فهو لا يزال صالحًا.

لـن أنسـى ذلك اليوم عندمـا أدركت لأول مرة معنـى هذا الحق ووجدتُ فيـه ملجأ لي. كنـت قـد أمضيتُ عطلة نهاية الأسـبوع لعيد ميلادي الواحد والعشـرين فـي بيتنا، في زيارة لوالـديَّ وأخواتي وإخوتي السـتة. وفي مسـاء يوم السـبت، اصطحبني والـدي إلى المطار لألحق بالطائرة ذهابًا إلى ولاية فرجينيا، حيث كنت أخدم مع مجموعة في كنيسة محلية.

وعندما وصلتُ إلى لينشـبيرج، تلقيت مكالمة تليفونية من والدتي تخبرني أن والدي أصيـب بذبحـة قلبيـة، وفي الحال انطلـق ليكون مع المسـيح. لـم يكن هنـاك أي إنذار، ولا وقت لكلمة وداع أخيرة. وتُركتْ أمي مع سـبعة من الأبناء تتراوح أعمارهم ما بين الثامنة والحادية والعشرين.

في الأيام التي تلت ذلك، وفي أسـابيع وشـهور لاحقة، كانت الدموع تنهمر بغزارة. كان لكل منا علاقة خاصة جدًّا مع هذا الزوج والأب غير العادي. وكل من عرف "آرت دي موس" شعر بخسارة كبيرة عند رحيله إلى السماء.

لكن في تلك اللحظة التي علمتُ فيها برحيل أبي، صنع الرب معي شيئًا رقيقًا خاصًا؛ لقد ذكَّرني بالحق. فقبل أن تكون هناك أية مشاعر متضاربة، وقبل أن تكون أية دموع، استحضر الله إلى ذهني آية كنت قد قرأتها فقط منذ أيام قليلة. تفسير وشرح للعدد الذي يقول: «صَالِحٌ أَنْتَ وَمُحْسِنٌ» وفي ترجمة أخرى "الله صالح، وكل ما يفعله صالح" (مزمور ١١٩: ٦٨).

كان أبي قد قضى الواحد والعشرين سنة الأولى من حياتي يعلمني هذا الحق. والآن، فـي تلك اللحظة الحاسـمة، تبرَهن لي أن هـذا الحق هو بمثابة الحصـن والقلعة لقلبي. افتقـدت والـدي كثيرًا - وإلى الآن لا زلتُ أفتقده، بعد أكثر من عشـرين عامًا. لم أجده بجانبـي بعدما كبرت، وكان لديَّ الكثير من الأشـياء التـي وددتُ أن نتكلم عنها. لكنني عرفت حينئذٍ، وأعرف الآن، أن الله صالح وكل ما يفعله هو صالح. هانا وَيتُل سـميث تُصيغها جيدًا عندما تقول:

> كثيـر مـن الأمور التـي يصنعها الله فـي تدبيره وعنايته لا تبـدو للعين أنها صـلاح. لكـن الإيمان يجلس أمـام مثل هـذه الأمور الغامضـة، ويقول: "الرب صالح، ومن ثم فكل ما يصنعه لا بد أن يكون صالحًا بغض النظر عن الكيفية التي يبدو عليها. وأنا سأنتظر تفسير الله للأمر"[٣].

٢. "الله لا يحبني"

هذه الأكذوبة لها غالبًا علاقة بالأكذوبة السابقة. وأقولها ثانية، أقلية منا يعترفن بأنهن يصدقن هذا، والسـبب أننـا، في أذهاننا، نعرف أنه من المفتـرض اعتقادنا أن الله يحبنا.

لكن بالنسبة لكثيرات، فهناك انفصال بين ما هو معروف ذهنيًا وفكريًا وبين ما يشعرن أنه حقيقي. وهنا تكمن إحدى مشكلاتنا: نحن نثق فيما نشعر أنه حقيقي، أكثر مما نثق في ما نعرف أنه حقيقي. (سنعود إلى هذه النقطة لأنها أساسية بالنسبة إلى الطريقة التي يتم اصطيادنا بها كنساء.)

إذا ألقينا نظرة على علاقاتنا - زواج بلا محبة، رفض من صديقة قديمة، أبناء كبروا ولا يتصلون تليفونيًا بذويهم أو يأتون لزيارتهم، قاربت على الأربعين من عمرها ولا تقدر أن تجد الشخص المناسب - فتقول مشاعرنا: "لا أحد يحبني، ولا حتى الله. ربما يحب العالم كله، وربما يحب الجميع، لكنه في الواقع لا يحبني. لو كان يحبني لما شعرت أني وحيدة وغير محبوبة". إننا لا نقول ذلك جهارًا، لكن هذا ما نشعر أنه حقيقي. وهكذا تُزرع بذرة الكذبة في عقولنا، ونظل نفكّر في الأكذوبة إلى أن نصدق أنها حقيقة، وآجلاً أو عاجلاً، فإن سلوكنا سيعكس ما نؤمن به فعلاً، وننتهي إلى العبودية.

وربما كانت لكِ ذات الظروف التي كانت لـ "فيكتوريا":

> نشأت في عائلة قاسية إلى حد ما ومفككة، كانت المحبة فيها دائمًا مشروطة. وكنتيجة لذلك، كان من الصعب جدًا بالنسبة لي أن أصدق أن الله يمكن أن يحبني فعلاً بدون شروط. وكان ذلك يجلب إدانة غير واجبة في كل مرة كنت أخطئ أو أفعل خطية - لا أعني أن الخطية شيء يمكن التغاضي عنه - لكن المسألة أني لم أكن أصدّق أن الله يمكن أن يغفر لي.

إنها ليست مسألة صغيرة أن نستسلم لأكذوبة أن "الله لا يحبني"؛ فالآثار خطيرة ومؤثرة على كل منطقة في حياتنا وعلاقاتنا. والبذور الصغيرة والضئيلة، سُمح لها أن تضرب جذورها في عقولنا، وتنمو لتنتج حصادًا كبيرًا هائلاً.

والحق هو، أن الله يحبنا. سواء شعرنا أو لم نشعر أننا محبوبون، بغض النظر عما فعلناه أو من أين أتينا، فهو يحبنا محبة غير محدودة وفوق إدراكنا وفهمنا.

اللـه يحبنـي، ليس لأنـي أحببته منـذ كان عمري أربعـة أعوام، ولا لأني أسـعي لكي أرضيه، ولا لأني أعظ في المؤتمرات أو أكتب كتبًا. لكنه يحبني لأنه محبة. فمحبته لي لا تتوقف على أي شيء فعلته أو يمكن أن أفعله لأجله. محبته لي ليست على أساس أي دور أقوم به. أنا لا أستحق محبته، ولا يمكن البتة أن أحصل عليها بمجهوداتي.

يقـول الكتاب المقدس عندمـا كنت عدوة له، كان يحبنـي. تقولين: "كيف تكونين عـدوة للـه وأنـتِ بعد بنت صغيـرة؟" طبقًا لما ورد فـي الكتاب المقـدس، فمنذ لحظة ولادتي، لم أكن حسـب فكر الله، وكنت خاطئة، وعدوة لله، وأسـتحق غضبه إلى الأبد (رومية ٥: ٦-١٠). وعلى الرغم من بعدي عنه، أحبني وأرسل ابنه ليموت نيابة عني. لقد أحبني منذ الأزل، وسيظل يحبني إلى الأبد. لا يوجد شيء يمكن أن أفعله يجعله يحبني أقل، ولا يوجد شيء يمكن أن أفعله لأجعله يحبني أكثر.

صديقتـي "ميلانـه مونـرو" التي واجهـت معركة طويلة وقاسـية مع مرض سـرطان الثدي، في رسـالة أرسـلتها مؤخرًا، تحدثت عن كيفية وصولها إلى إدراك أعمق لمحبة الله العجيبة، من خلال تجاوب زوجها وموقفه في وقت عملية استئصال الثدي:

> بينمـا كنا نبكـي ونرتجف، عندما رفـع بيده الضمـادات لأول مرة، كنت أبدو دميمة، مشوهة وصلعاء. كنت في حزن شديد لأني لن أكون زوجة صحيحة كاملة له مرة أخرى. لكن زوجي ستيف احتواني بقوة والدموع في عينيه قال: "ميلانه، أنا أحبك لأنني هكذا أنا".
>
> وفي الحال رأيت المسـيح في زوجي. نحن كعروسـه، يأكلنا السـرطان - الخطية - مشـوّهون، مفسَدون وليس فينا جمال، لكنه يحبنا لأنه هكذا هو. ليس فينا أي جمال يجذب المسـيح إلينا. إن طبيعة محبته فقط هي التي تجذبه إلينا.

تدعونا هانا وَيتُل سميث للتأمل في عرض، وعلو، وعمق، وعظمة محبة الله:

إجمعي أرق محبة عرفتِ عنها، مع أعمق محبة شعرتِ بها، وأقوى محبة انسكبت عليكِ، وضعي فوقها أكوامًا من كل المحبة التي تنبض بها القلوب الإنسانية المُحِبة في العالم، واضربيها في ما لا نهاية، وقتها ربما تبدئي في الحصول علي بصيص باهت عن ما هي محبة الله[٤].

٣. "الله يشبه أبي"

كنساء، فإن نظرتنا عن الله كثيرًا ما تتأثر بالرجال الذين نعرفهم حولنا، وخاصة آباءنا. وإدراكنا وفهمنا عن الله يمكن أن يتشكل إيجابيًا أو سلبيًا عن طريق أولئك الرجال. لقد باركني الرب وأشعر بامتنان عميق أن يكون والدي شخصًا مُحبًا ومخلصًا ومؤثرًا. وهذا سهَّل عليَّ أن أثق في أبي السماوي وأقبل محبته.

ولكن كثيرات من النساء لهن خبرات عكس ذلك تمامًا. فربما يكون والدِك بعيدًا، غائبًا، مستبدًا، قاسيًا، سيءَ المعاملة، أو غير قادر على التعبير عن المحبة. إن كان الأمر هكذا، فإن فكرتك عن الله "كأبيكِ" سوف تجعلك تنكمشين خوفًا. وربما يكون لكِ تقارب وتشابه مع سيدات مثل هؤلاء:

كان لي زوج أم قاسٍ جدًا من جهتي. فكان صعبًا جدًا أن أقبل أن الله لا يشبهه.

كان أبي مسيحيًا وكان رجلاً طيبًا، لكنني لم أسمع منه تشجيعًا كثيرًا. فمثلاً، عندما أساعده في الطلاء، كنت أقول: "ألا تبدو جميلة"؟ راجية أن أسمع، "نعم إنها تبدو حقًا رائعة!" لكنه كان فقط يقول، "حاولي ألا ... (أي شيء)". وربما كان هذا هو السبب أن أتصور أن الله يتصيد لي الأخطاء بدلاً من أن يحبني بلا شروط ويقبلني كما أنا.

لـو أنكِ جُرحتِ مـن أبٍ - أو أي رجل وثقتِ به - فربما تجدين صعوبة في أن تثقي في الله. وربما حتى تشعرين بالخوف منه أو بالغضب تجاهه. يجب أن تصدقيني عندما أخبرك أن اللـه ليس مثل أي رجل عرفتيه على الإطلاق. إن أحكم وأرقّ أبٍ أرضي هو ليس إلا صورة باهتة جدًا لأبينا السـماوي. إله الكتاب المقدس هو أروع وأطهر وأكثر محبـة، بما لا يقاس، من أفضل الآباء. لذلـك فمن المهم جدًا ألا ندع نظرتنا لله تتحدَّد عن طريق رجال آخرين، لأنهم في أفضل حالاتهم يشوبهم النقص في أن يمثلوا الله.

إذا أردتِ أن تعرفي الله كما هو بالحقيقة، يجب أن ترجعي إلى كلمة الله، التي تعلن بوضوح مَنْ هو، أنتِ تحتاجين أن تعرفي يسـوع المسـيح، الذي هو «بَهَاءُ مَجْدِهِ (الله)، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ» (عبرانيين ١ : ٣).

إله الكتاب المقدس شفوق، طيب القلـب، وأب رحيم. هذا لا يعني أنه يمنحنا كل ما نريده - لا يوجد أب حكيم يعطي أولاده كل ما يطلبونه. ولا يعني أننا سنسـتطيع دائمًا أن نفهـم اختياراتـه لنا - فهـو أعظم جدًا من ذلك. ولا يعني أنه لن يسـمح لنا بأن نعاني من الألـم - بل في الواقع، إنه في بعض الأوقات يسـمح لنا بالآلام والصعوبات. لماذا؟ لأنـه يحبنا. لأنه يهتم بنا. لأنه متعهدنا. رسـالة العبرانيين تخبرنـا أن الله يؤدبنا «لأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ» (عبرانيين ١٢ : ١٠).

وبصرف النظر عن كيف نشـعر أو ماذا نفتكر، تظل الحقيقة أن الله أبٌ صالح يحب أولاده كثيرًا جدًا - أب يمكن أن نثق به بحياتنا. في كتابات "هانا وَيتُل سـميث" يوجد الكثير عما تتضمنَه معرفة والثقة في قلب الله الأبوي:

> من المستحيل أن تشعر النفوس التي تعرف أن الله هو أبوها بعدم الراحة والقلق.
>
> .... ما لا يمكن أن يفعله أب أرضي صالح، فالله الذي هو أبونا لن يفعله أيضًـا، وما يجـب أن يفعله أب أرضي صالح، الله الـذي هو أبونا بالطبع وبكل تأكيد لا بد أن يفعله.

لقد أعلن لنا المسيح اسم الآب حتى يمكننا أن نكتشف أن الآب يحبنا كما يحب ابنه. إن صدقنا هذا، فهل يمكن أن تتملكنا أفكار قلق أو عصيان ثانية؟ ألا نصدق أنه في أي ظرف محتمل فإن الآب السماوي يهتم بنا بأفضل طريقة ويملأ كل احتياجاتنا؟ ٥

٤. "الله ليس كافيًا بالفعل"

"فيك لي يا سيدي كل الكفاية.. فيك ما أرجو وأكثر". أن نرنم هذه الكلمات عندما نجلس في الاجتماعات الروحية هذا شيء. لكن عندما نخرج من هناك إلى عالم قاسٍ ومتغير، فهل يمكن حقًا أن نؤمن أنه كل ما نحتاج إليه؟ وكما هو الحال في الأكاذيب الثلاثة الأولى، يصعب علينا جدًا أن نتجرأ وننطق بهذه الكلمات، وأقلية منا يصدقون هذه الأكذوبة عن عمد. لكن الطريقة التي نعيش بها تعلن أن هذا بالفعل هو ما نصدقه.

وعندما تنحدر الحال إلى هذا الحد، لا نصدق أن كلمة الله حقًا تكفي للتعامل مع مشكلاتنا. إنها تصلح للتعامل مع مشكلات الجميع، لكنها لا تصلح في أموري، في مشكلاتي، في علاقاتي، أو في ما أمرُ به من مواقف. أنا أحتاج إلى كلمة الله بالإضافة إلى بضعة كتب من المكتبات المسيحية، أنا أحتاج إلى كلمة الله بالإضافة إلى شرائط تسجيل ومؤتمرات ومشيرين.

أحتاج بالتأكيد إلى الله. لكنني أحتاج بالإضافة إليه إلى أصدقاء، وأحتاج بالإضافة إليه إلى صحة جيدة، وأحتاج بالإضافة إليه إلى زوج، وأحتاج بالإضافة إليه إلى أبناء، وأحتاج بالإضافة إليه إلى وظيفة تعطي أجرًا كافيًا، وأحتاج بالإضافة إليه إلى منزل به ميكروويف، وغسالة ومنشف، وجراج...

هـل تؤمنيـن بالفعل أنـه إذا كان الله لكِ فلكِ ما يكفي؟ أو إنك تتشـابهين مع هؤلاء النسوة:

"اللـه ليـس كافيًا فعلاً" - لم أعرف أنني أصدق هذا إلى أن أدركت حجم الثقـة التـي وضعتها في أشـياء أخرى وفـي أناس آخرين. كنـت أعتقد أني أثـق في الله بالكامل، وظللتُ أخبر زوجي أننـا فقط نحتاج أن نثق في الله. ولكن بعد ذلك كنتُ أجري إلى أصدقائي لنناقش زواجنا وأمورنا المالية.

تحولـتُ إلى الطعام لأجد فيه راحتي عندما لم تكن حياتنا الزوجية تسـير علـى مـا يرام. فـي أربعين عامًا مـن حياتنا الزوجية كنت قـد أضفت إلى وزني عشرين كيلوجرامًا.

لقـد رفضـتُ الحق بأن علاقتي مع الرب يسـوع سـوف تُشـبع وتملأ كل رغباتـي. ومـن خلال الطريقة التي كنت أعيش بهـا، كنت أُظهر لكل مَنْ حولي أنني أحتاج إلى "أشـياء" لكي أكون سـعيدة. كنت دائمًا انتقادية، متذمرة، سريعة الانفعال في معظم حياتي. لقد عشتُ هذه الأكذوبة.

هـل نصـدق فعلاً أن الله يكفينا، أم أننا نبحث عن أشياء أخـرى أو أناس لنملأ فراغ قلوبنا: طعام، مشتريات، أصدقاء، هوايات، نزهات، وظائفنا، أو عائلاتنا؟

٥. "طرق الله مقيِّدة جدًا"

يعلِّمنـا الكتاب المقدس، مرة تلـو الأخرى، أن قوانين الله هي لخيرنا وحمايتنا، وأن الطاعة هي السبيل إلى الحرية. لكن الشيطان يضع في عقولنا فكرة أن قوانين الله ثقيلة،

وليست منطقية، وغير عادلة، وأننا إذا أطعناه فسنكون أشقياء. في الجنة جعل حواء تُركِّز على الحد الوحيد الذي وضعه الله لها. فشعار هذا المخادع هو "لتكن الأمور كيفما تُريدينها: فليس لأحد الحق أن يخبرك بما يمكنك، أو لا يمكنك، أن تفعلي". إذا كنا أمناء، فالكثير منا سوف يتشابه مع "سارة":

> شعرت أني إذا وضعت قيودًا على سلوكي فسوف أُحُرم من المتعة ومما هو محبَّب لي. فكنت آكل ما أريد، وقتما أريد، وبالكمية التي أريدها، لأني كنت أشعر كأني مُعَاقَبة إذا قلتُ لا.

كثيرًا ما أتساءل: لماذا يكون الطعام مسألة هامة مع كثير من النساء. إنني على اقتناع أنه يتعلق كثيرًا بتكوين ٣. ومع ذلك، فما هي أول خطية على الإطلاق؟ كانت هي خطية الإفراط في الأكل. كان القيد الوحيد الذي وضعه الله على قائمة مأكولاتها واحدًا فقط من بين الكثير جدًا من أجل حواء. تمامًا مثل "سارة" التي شعرت بأن "وضعها لقيود على سلوكها كان حرمانًا من المتعة ومما كانت تحبه"، فماذا فعلت؟ (تذكري أن الاعتقاد بشيء يحدِّد السلوك.) لقد "أَكَلَتْ كل ما أرادت".

لذلك نحن نلقي بهذه القيود جانبًا، ونصمم أن «نحصل على الشيء بطريقتنا الخاصة». ولنا مطلق الحرية لاختيار طريقتنا الخاصة، تمامًا كما كانت حواء حرة في أن تأكل من الثمرة المحرمة. لكن هناك شيئًا واحدًا لسنا أحرارًا في اختياره، وهو العواقب. كما قلنا إن تصديق الأكذوبة والسلوك بموجبها سوف يقود في النهاية إلى العبودية. استمعي إلى بقية اختبار "سارة":

> وعندما أدركت أن الحرية الحقيقية تأتي عن طريق الطاعة، تحررت من عبوديتي للطعام – ونقص وزني ثلاثين كيلوجرامًا، وكذلك تخلصت من الاكتئاب الذي كنت أعاني منه.

قـررت "سـارة" أن تـأكل ما تريـد، في أي وقت تريـد أن تأكل، وبأيـة كمية تريدها. تبـدو وكأنهـا في حرية، أليـس كذلك؟ لكن مهلاً - فطبقًا لشـهادتها، لم تكن حرة على الإطلاق. كانت تعتقد أنها ستكون حرة، لكن حريتها لم تدُم طويلاً. وبدلاً من أن تكون حـرة، انتهـت إلى "عبوديـة للطعام"، وزاد وزنهـا ثلاثين كيلوجرامًا لـم تكن في حاجة إليها، وأصبحت في حالة من الكآبة.

عندما اكتشـفت هذه السـيدة الحق أن "الحرية الحقيقية تأتي من الطاعة"، وسلكت بموجب هذا الحق، تحطمت قيودها.

٦- "يجب على الله أن يحل مشكلاتي"

طريقـة التفكيـر هـذه مخادعة مـن ناحيتين. أولاً، هـي تختزل الله إلـى مجرد "مارد كونـي جبار" موجود لكي يسـعدنا ويخدمنا - خادم نسـتأجره، يأتي مسـرعًا إلينا ليقوم بخدمتنـا في كل مـرة ندق الجرس. هذه الأكذوبة سـوف تجعلنا نعيش في وهـم كاذب وفشل مع الله: إن كوننا نعيش في مشكلات غير محلولة، هذا يعني، بحسب الظاهر، أن الله لم يتدخل فيها لحسابنا.

ثانيًـا، هـي تفتـرض أن الهـدف في الحيـاة أن نكـون أحـرارًا من كل المشـكلات - ونتخلص من كل ما هو صعب وغير محبب. مجتمعنا تكيف على فكرة أنه لا يجب أن نعيش في أي مشكلات - وأن جميع المشكلات لا بد أن تكون "محلولة".

- هل تشعرين بصداع؟ خذي مُسكِّن.
- هل لا يعجبك رئيسك في العمل؟ اتركي العمل وابحثي عن وظيفة أخرى.
- هل لا يعجبك أسلوب وعظ هذا الخادم؟ ابحثي عن كنيسة أخرى.

- صعب أن تشتري سيارة جديدة؟ اقترضي.
- ألا تلفتي أنظار الرجال؟ غازلي قليلاً وارتدي ملابسك بطريقه تجتذب انتباههم.
- زوجكِ غير حساس، وشغوف بالرياضة، ولم يعد رومانسيًا كما كان في بداية حياتكما؟ ابحثي عن آخر في العمل (أو في الكنيسة) يعطيكِ اهتمامًا أكثر ويصغي إليكِ.

بالنسبة إلى الكثيرين، "المسيحية" ليست أكثر من وسيلة أخرى لحل مشكلاتهم. فقط صلي وثقي في الله، وسيكون لكِ أموال كثيرة في البنك، وستشفى صديقتك من السرطان، ولن تكوني وحيدة بعد الآن، وزواجك سوف يُنقذ، وأولادك المتمردون ستستقيم حياتهم مع الله، ستنتصرين فوريًا على الخطية فلا تصارعين مع عادات سيئة بعد ذلك، وستكونين سعيدة وبعافية.

وفي حالة "هولي" تصديق هذه الأكذوبة كان له الأثر على الطريقة التي اتخذتها لتتعامل مع مسألة الإفراط في الأكل:

> كان لديَّ مشكلة مع الطعام ومع الوزن. صلّيت كثيرًا إلى الله لكي يحرّرني. لكن صلاتي ودوافعي كانت أنانية. كنت أرغب في أن أبدو جميلة من الخارج. وأردت نتائج فورية، ولم أُرد أن أضحي بأي شيء أو أن أبذل مجهودًا من أجل ذلك. وكانت صلاتي كالآتي: "يا رب، أنا في مأزق. أحاول كثيرًا ليكون لي قوة الإرادة، لكن لا أقدر. من فضلك أصلح هذه المشكلة. أعطني قوتك لأتغلب على هذه المشكلة". لكن جميعها كانت بلا نفع.

هذه الطريقة المضللة من التفكير توضح السبب في أن كثيرات من النساء المؤمنات في حالة من الغضب، والمرارة، والإحباط في الحياة. فهن يعتقدن أنهن إذا قبلن المسيح، وذهبن إلى الكنيسة، وحاولن أن يعشن حياة "مسيحية جيدة"، فلن يكون لهن كل هذه المشكلات. عندما نحيا حياة الطاعة سنتجنب مشكلات كثيرة هي عواقب

طبيعيـة لحيـاة تُعاش بالانفصال عن الله وعن طريقـه. لكن هذا لا يعني أن هؤلاء الذين يتبعون المسيح سيُعفون من المشكلات.

الحقيقة هي أن الحياة صعبة. نحن نعيش في عالم سـاقط. حتى هؤلاء المفديين لا يزالون يعيشـون في الأجسـاد الأرضية، ولا بد لهم أن يتعاملوا مع واقع التجربة: الخطية (سـواء خطيتنا أو خطية الآخرين)، المرض، الخسـارة، الألـم، والموت. عندما نصبح مؤمنيـن - حتـى فـي حالة النضـوج والحيـاة التقوية - فهذا لـن يجعلنا نلتـف في غطاء سـماوي واقٍ نتحصن به من الألم. وهذا لن يحدث إلا عندما يخلق الله سـماء جديدة وأرضًا جديدة، حيث سـنكون أحرارًا تمامًا من آثـار تخريب الخطية. إلى ذلك الحين، سوف يكون هناك دموع، وأحزان، وضغوط، ومشكلات.

لكـن - وهـذه هي الأخبار السـارة - الله ليـس بعيدًا ولا منعزلاً عن مشـكلاتنا. فهو لا يجلـس فقط في السـماء يراقب ليرى إذا ما كنا سـتتمكن من البقـاء أحياء. كلا، فإله الكتاب المقدس هو «عَوْنًا فِي الضِّيْقَاتِ وُجِدَ شَدِيدًا (عونه متوافر لنا دائمًا في الضيقات - الترجمة التفسيرية)» (مزمور ٤٦: ١). هـذا لا يعنـي أنه يحرك عصا سـحرية ويجعل كل مشـكلاتنا تختفي، بـل يعني أنه يستخدم الضغوط والمشـكلات لكي يصوغ ويشـكِّل حياتنا ليجعلنا مشابهين ابنه يسوع، الذي «تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ» (عبرانيين ٥: ٨).

نحن نريد أن الله يحل كل مشـكلاتنا. لكن بدلاً من ذلك فالله يقول: "إن لي قصدًا من مشـكلاتك. أنا أريد أن اسـتخدم مشكلاتك لكي أغيرك، ولكي أظهر نعمتي وقوتي للعالم". هذا هو الحق - والحق يحررك.

الأكذوبة

١. الله ليس صالحًا بالفعل

الحق

- الله صالح، وكل ما يفعله هو صالح.

مزمور ٣١ : ١٩ ؛ ٣٤ : ٨ ؛ ١٠٠ : ٥ ؛ ١٠٦ : ١ ؛ ١١٩ : ٦٨ ؛ ١٣٦ : ١ ؛ أفسس ١ : ٣-١٤.

- الله لا يخطئ أبدًا.

إشعياء ٤٦ : ١٠ ؛ رومية ٨ : ٢٨-٣٩

الأكذوبة

٢. الله لا يحبني

الحق

- محبة الله لي هي بلا حدود وبلا شروط.

يوحنا ١٥ : ١٣ ؛ رومية ٥ : ٨ ؛ ٨ : ٣٢ ، ٣٨-٣٩ ؛ أفسس ٣ : ١٤-١٩ ؛ ١يوحنا ٤ : ٧-١٠

- ليس عليّ أن أقوم بأي دور لكي أحصل على محبة الله أو رحمته.

أفسس ١ : ٤-٦

- الله يهتم جدًا برغبات قلبي.

مزمور ٢١

الأكذوبة

٣. الله يشبه أبي

الحق

- الله هو تمامًا ما أعلنه عن نفسه في كلمته.

يوحنا ١ : ١ ؛ عبرانيين ١ : ٢

- الله أكثر حكمة وأكثر محبة بما لا يقاس من كل أب أرضي مهما كان.

عبرانيين ١٢ : ٩-١٠

الأكذوبة

٤. الله ليس كافيًا بالفعل

الحق

- الله يكفي. إذا كان هو لي فأنا أملك كل ما أحتاج.

مزمور ٢٣ : ١ ؛ ٧٣ : ٢٣-٢٦ ؛ كولوسي ٢ : ٩-١٠

الأكذوبة

٥. طرق الله مُقيدة جدًا

الحق

- طرق الله هي الأفضل.

تثنية ٦: ٢٤-٢٥؛ يشوع ١: ٨

- قيود الله هي دائمًا لخيري.

يعقوب ١: ١٩-٢٧

- مقاومة طرق الله والتمرد عليها تجلب التخبط ومتاعب القلب.

مزمور ٦٨: ٦؛ أمثال ١٥: ٢٢-٣٢

الأكذوبة

٦. يجب على الله أن يحل مشكلاتي

الحق

- الحياة صعبة.

رومية ٨: ٢١-٢٢

- الله يهتم بأن يتمجد ويغيِّرني إلى الأفضل أكثر من أن يحل مشكلاتي.

٢كورنثوس ٤: ١٧

- الله له قصد أزلي يتممه في وسط مشكلاتي.

رومية ٥: ٣-٤، يعقوب ١: ٢-٤

- الله يريد أن يستخدم مشكلاتي كجزء من خطته لتنقية حياتي.

أيوب ٢٣: ١٠

- لا يهم ما أواجه من مشكلات فنعمة الله تكفيني.

٢كورنثوس ١٢: ٧-١٠

تطبيقات عملية

طبقًا لما جاء في رسالة يعقوب ١ : ٢١-٢٥، لا يكفي أن نسمع الحق. بل يجب أن نطيع الحق، ونسمح له أن يصبح جزءًا من الطريقة التي نفكر ونحيا بها. إذا فشلنا أن نفعل ما نعرفه، فنحن حمقى ونخدع أنفسنا. إذا كنا نطيع الحق، سننال بركة.

من أهم الأجزاء في هذا الكتاب، القسم الخاص «بالتطبيقات العملية» التي في نهاية الفصول من ٢-٩. قبل الاستمرار إلى الفصل التالي، خذي وقتًا لتتجاوبي مع ما قرأتِ من الحق. (يمكنك إذا أردتِ أن تكتبي الإجابات لهذه الأسئلة في مذكرة منفصلة. اتركي مساحة في نهاية كل فصل لتسجيل خواطر وآيات تكتشفينها في أيام مقبلة عن كل جزء من الحق موضّح في هذا الكتاب).

١- وافقي الله

ما هي الأكاذيب التي صدقتيها عن الله؟

٢- تحملي المسؤولية

كيف كان تصديقك لهذه الأكاذيب يظهر في أسلوب حياتك (مثلاً في سلوكياتك، وتصرفاتك)؟

٣- أعلني الحق

اقرأي بصوت مرتفع كل من الأجزاء الواقعة تحت عنوان "الحق" في الصفحة السابقة. حدّدي أيًّا من هذه الأجزاء من الحق بالتحديد تحتاجين أن تتمسكي بها في هذا الوقت.

جدّدي ذهنك (تفكيرك) بواسطة كلمة الله. اقرأي الأجزاء التالية بصوت مرتفع. ماذا تعلن هذه الأعداد عن شخص الله وقلبه تجاه أولاده؟

مزمور ١٠٠: ٥

مزمور ٢٣

مزمور ١٢١

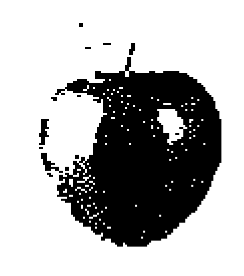
رومية ٨: ٢٨-٣٩

٤- تصرفي طبقًا للحق.

ما هي بالتحديد الخطوة (أو الخطوات) العملية التي تحتاجين أن تتخذيها لتتوافق حياتك مع الحق الذي رأيتيه عن الله؟

٥- اطلبي من الله أن يساعدك للسلوك في الحق.

أيها الآب، أقرّ بأنك صالح وأن كل ما تفعله صالح. أشكرك لأنك لا تخطئ أبدًا. ولأنني أستطيع أن أثق بك في كل تفاصيل هذا الكون وتفاصيل حياتي. بالإيمان أقبل أن كل ما في قلبك من جهتي هو الأفضل، وأنك تعمل لتتميم خطتك الصالحة في حياتي وحياة من أحبهم. من فضلك اغفر لي الوقت الذي شككت في حكمتك، أو صلاحك، أو محبتك. أعترف أنني أعرف القليل عنك وعن طرقك، وأن نظرتي لك كثيرًا ما يشوبها النقص وليست بحسب الحق. أرجوك علمني أن أعرفك وأحبك وأثق فيك كما أنت بالحقيقة. في اسم الرب يسوع. آمين.



الفصل الثالث

أكاذيب تصدقها المرأة ... عن نفسها

مذكراتي العزيزة،

كانت الأسابيع القليلة الماضية الأصعب في حياتي، أتمنى لو كان هناك شخص يمكنني أن أتحدث إليه. فأنا وآدم لسنا على علاقة طيبة منذ أن اضطررنا أن نرحل. لستُ أعرف ما إذا كان سيثق بي مرة أخرى. إلى حد ما، لا يمكنني أن ألومه. لقد حطمْتُ حياته فعلاً. أشعر بغبائي الشديد. آدم لا يفهم تأثير الحية عليَّ. كان من الصعب جدًا مقاومتها - شعرتُ أنني لا أستطيع أن أفعل شيئًا.

استرجع تلك اللحظة مرة تلو الأخرى وكأني أعيشها من جديد، عندما نظرت إلى أسفل وأدركتُ أني عارية. وبنظرة خاطفة إلى آدم أدركت أنه كان يفكر بالمثل. لأول مرة منذ أن تقابلنا، لم أستطع أن أنظر إلى عينيه. لم نشعر بالحرج من قبل في وجودنا معًا، الآن نشعر هكذا في أوقات كثيرة. حتى بالرغم من أن الله كسانا بملابس فعلية بدلاً من أوراق التين البالية، لكنني ما زلت أشعر أني مكشوفة جدًا - ليس فقط من الخارج، بل أكثر جدًا من الداخل.

لـــم أعتد أن أفكر في كيف أبدو في نظر آدم. كنـــت دائمًا أعرف أنه يحبني ويعتقد أنني أجمل ما خلقه الله. أما الآن فإني أجد نفســـي أتســـاءل إن كان فعلاً يحبني، وإن كنت أبدو جميلة وجذابة في عينيه. تُرى هل يتمنى لو أن الله لم يعطه إياي؟

منذ بضعة شهور مضت، أصيبت إحدى عينيَّ بالتهاب شديد وأصبح لديَّ مشكلة في استخدام العدســات اللاصقة. في بداية الأمر اعتقدتُ أنني أصبت بحساسية، فحاولت علاجهـا بأدوية خاصة للحساسـية. ولكن مشـكلة عيني اسـتمرت. وبسـبب الالتهاب لـم أعد أسـتطيع الرؤية بوضـوح من خلال العدسـات، كانت رؤيتي مشـوهة. ازدادت الالتهابات جدًا لدرجة أنني اضطررت إلى نزع العدســات لمدة أيام قليلة حتى أسـتطيع أن أحصل على موعد مع طبيب العيون.

عندما فحص عينيَّ، شرح لي أنه لا توجد لديّ مشكلة حساسية، وأضاف أن المشكلة ليســت فـي عيني نفســها، لكـن في العدســات اللاصقـة. فبطريقة ما، كانت العدســات اللاصقة قد تلفت – الجزء المنحني قد أصبح منبسـطا، وهذه العدسـة المشـوهة كانت دائمة الاحتكاك بعيني مسببة هذه الالتهابات. ولكي يمكنني استرجاع رؤيتي، كان لا بد لهذه العدسات التالفة أن تُستبدل بأخرى جديدة.

ما نؤمن به عن الله شـيء حيوي وهام لأنه يؤثر على ما نؤمن به بخصوص كل شـيء آخر. فرؤيتنا المشـوهة والمنحرفة لله، سـوف تتشـوه معها طريقة رؤيتنا لكل ما حولنا وكل من حولنا. كثيرًا ما نفشـل في إدراك أن ما يسـبب السـخط والهياج داخل أنفســنا ليـس هو الناس أو الظروف التي نعتقد أنها تزعجنا، لكن بالأحرى، فالمشـكلة أننا نرى الأشياء من خلال عدسات تالفة.

نظرتنا إلى أنفســنا هي واحدة من النواحي التي تتأثر مباشــرة بنظرتنا إلى الله. إن كنا لا نراه كما هو حقيقة – إن كنا نصدق أشياء ليست حقيقية عنه – فبالتأكيد، سوف يكون لنا نظرة مشوشة عن أنفسنا.

إذا كان لنا نظرة فقيرة عن الله، فسنصبح نحن أنفسنا هكذا. إن وضعنا في عقولنا إلهًا ضعيفًا غير قادر ولا يتحكم في كل تفاصيل هذا الكون، فسنرى أنفسنا عاجزين وقليلي الحيلة، وسنشعر أننا نغرق في العواصف والظروف التي تُحيط بنا. إن كان إلهنا يبدو بلا نفع، سوف نرى أنفسنا بلا قيمة. إن صدقنا أكاذيب عن الله، فسوف نصدق أيضًا أكاذيب عن أنفسنا. أكاذيب مثل:

٧. "أنا لا أساوي شيئًا"

أكثر من ٤٢٪ من نساء شملتهم دراسة قررن أنهن صدَّقن هذه الأكذوبة. إنها أكذوبة قوية، ويمكنكِ أن تري ذلك من خلال بعض من شهادتهن:

> الشعور بالنقص كان هو صراع حياتي الطويل. في كثير من الأحيان جعلني أنسحب من علاقات كثيرة، مع أني شخصية ودودة وأحب الناس.

> أشعر باحتياج للحصول على تأكيد مستمر بأهميتي من المحيطين بي لأنني أشعر بأنني عديمة الأهمية! ومن يعرفني، يتفق معي في ذلك.

> بسبب المعاناة في زواجي، شعرت إنني بلا منفعة، وأن لا أحد، حتى الله، يمكن أن يحبني. لم أكن على المستوى المقبول، ولاعتقادي دائمًا أنني يجب أن أكون مثالية لكي أكون محبوبة، فطبيعي أن الله أيضًا لا يحبني.

في كثير من الأحوال، يكون هذا الشعور بعدم الأهمية هو النتيجة لتصديق أشياء سمعناها من آخرين، خاصة في مرحلة الطفولة.

قيل لي في طفولتي إني بلا قيمة ولا نفع، وصدقت هذا بسرعة. ولا زلت إلى الآن أجد صعوبة في هذا الأمر أحيانًا كثيرة.

لقد صدقت أنني لن أكون إنسانة ذات شأن في هذا العالم لأن هذا ما سمعته في وقت نموي. كان الجميع يرونني متخلفة ولا أفهم شيئًا. صدقت هذا في ذلك الوقت. اعتدت أن أغلق على نفسي، ولم أُرد أن أفعل أي شيء ولا أتعامل مع أي شخص. لقد صدَّقت طوال حياتي أني لن يكون لي أصدقاء جيدون ولا عائلة، وأني سوف أبلى من المعاناة والألم التي مررت بها طوال حياتي.

المشكلة هي أن رؤيتنا لأنفسنا، وإحساسنا بقيمتنا، يتوقفان كثيرًا على ما يوحيه لنا الآخرون وعلى آرائهم. في بعض الأحيان، ما نسمعه يكون صحيحًا ونافعًا، لكن ليس دائمًا. فإذا كان، لسبب ما، الشخص الذي نستمع إليه ينظر من خلال "عدسات" تالفة، فإن نظرته (أو نظرتها) سوف تكون مشوهة. بعض منا عاش طوال الحياة سجينًا عاطفيًا بسبب أننا صدقنا ما قالته لنا المرآة الخادعة "المكسورة" عن أنفسنا.

حتى إذا كان ما يصل إلينا، في ذاته، حقيقيًا، فإن هذا المُضل (الشيطان) يمكنه أن يستخدم هذه المعلومات ليضعنا في العبودية. فعلى سبيل المثال، ربما تصرح صديقة اللعب إلى صديقتها في عمر السادسة، وتقول لها (وهذا صحيح): "أنتِ بدينة"! هذه البنت الصغيرة ستجد نفسها يومًا ما في عبودية إذا كبرت مستنتجة نتائج مزيفة مبنية على هذا التعليق الذي سمعته: "أنا بدينه. لذلك....

- سأظل دائمًا بدينة".
- لن يحبني أحد أبدًا أو يرغب في صداقتي".
- أنا لا أساوي شيئًا".
- لا بد أن أكون في موقع هام حتى أكون مقبولة من الآخرين".

أحيانًا، جُملة واحدة تُسمع في الطفولة تظل تطارد وتعذب شخصًا لسنوات. وهذا ما حدث مع "ميندي":

أتذكر حين كنت حوالي ست سنوات، أنه قيل لي أنني لا أستحق أن أعيش، ولم يكن من المفروض أن أولد. لا أتذكر مَنْ قالها، لكنني أذكر أمي التي كانت تقف فقط هناك ولا تفعل شيئًا بخصوص هذا الأمر. أصبحت منعزلة، وكان في غاية الصعوبة أن أتكلم إلى الآخرين.

عند بداية الفصل السابع الدراسي، تقرر أنني أحتاج إلى "تعليم خاص". تم قبولي في فصول التعليم الخاص، لكن لم يكن هناك مكان لي، وعدتُ إلى المدرسة الثانوية العادية. لم أصدق أبدًا أنني يمكن أن أنتمي إلى ذلك المكان.

بحلول عطلة نهاية الأسبوع الأول، كنت قد صدقت أنني غبية، ولست طبيعية، ولا بد أن أختبئ بعيدًا في مكان ما. في المدرسة الثانوية، لم يكن لي أيّ أصدقاء، واستمر الجميع في طريقهم لإيذائي. ونتيجة لذلك، انعزلت أكثر جدًا وأصبحت مكتئبة بشدة، وأردت أن أنام ولا أستيقظ أبدًا.

هذه القصة ترسم لنا بطريقة مؤثرة هذا التسلسل الذي رأينا أنه يقود إلى العبودية. في البداية، حين كانت هذه السيدة طفلة، قيلت لها أكذوبة رهيبة ومدمرة. واستمعت إلى هذه الأكذوبة، ثم، بدلاً من مواجهة الأكذوبة بالحق، أخذت تفكر طويلاً فيها إلى أن صدقت أنها حقيقة بالفعل. وفي النهاية، سلكت بموجب هذه الأكذوبة ("انعزلت...")، إلى أن وجدت نفسها في عبودية لهذه الأكذوبة: "وأصبحت مكتئبة بشدة، وأردت أن أنام ولا أستيقظ أبدًا".

ما نصدقه عن أنفسنا يحدد الطريقة التي نعيش بها. إن كنا نصدق ونسلك وفقًا لأكاذيب، سننتهي إلى العبودية كما تصورها لنا هاتان القصتان:

لوقت طويل جدًا، كنت أعتقد أنني لا أساوي شيئًا. حتى بعد أن حصلت على الخلاص، كنت أعتقد أني أشبه تلك الطحالب التي تطفو فوق المياه الراكدة. وهذا قذف بي إلى الاكتئاب. بدأت في الاعتزال، ونتيجة لهذا، لم أكن أحيا حياة الفرح التي قصدها الله لي.

"أنا لا أساوي شيئًا" أكذوبة كنت قد صدقتها. كنت دائمًا أصارع مع هذه الأكذوبة، ومع "احتياج" مستمر لقبول الآخرين لي، وصلت إلى درجة الجنون، في محاولة لإرضاء الجميع، وفي محاولة للظهور بمظهر كنت أعتقد أنني يجب أن أكون عليه.

هذه الشهادات ليست استثنائية. فأنا أجد كثيرات من نساء اليوم يبحثن بشدة عن تأكيد أنفسهن، ويحاولن كسب استحسان الآخرين. كما لو كن يحاولن موازنة ميزان الآراء السلبية التي وصلتهن من الآخرين. لكن، في معظم الأحوال لا تكفي أعداد من الضربات الإيجابية لتفوق في وزنها هذه السلبيات، وهذه الكلمات الجارحة التي قادتهن للاعتقاد أنهن بلا قيمة ولا أهمية. كميات هائلة من تأكيد النفس لا تكفي. يمكن الحصول على مئة إطراء ومدح عن مظهرن أو أفعالهن، لكن دَعي فردًا واحدًا من العائلة يبدي انتقادًا واحدًا، فسوف يُصَبن بالإحباط. لماذا؟ لأنهن تركن الآخرين يحددون قيمتهن وأهميتهن.

توجد آية رائعة في رسالة بطرس الأولى، تظهر لنا كيف كان يتحدد شعور الرب يسوع بالأهمية، ليس بما كان يعتقده فيه الآخرين - حسنًا أو رديئًا - بل بالحق الذي أعلنه أبوه السماوي: كان «مَرْفُوضًا مِنَ النَّاسِ، وَلكِنْ مُخْتَارٌ مِنَ اللهِ كَرِيمٌ» (٢ : ٤). رُفض المسيح من الناس - أولئك الذين خلقهم لنفسه، أولئك الذين أحبهم ولأجلهم وضع حياته. لكن لم يكن هذا هو الذي يحدد قيمته. كان مختارًا من الله، وهذا ما جعله

كريمًا وهذا ما حدَّد قيمته.

من الممكن تخيل أن شخصًا ما لا يفهم ولا يقدر قيمة العمل الفني الراقي يقذف بلوحة فنية رائعة إلى سلة المهملات. فهل هذا يجعل اللوحة أقل قيمة؟ كلا على الإطلاق. القيمة الحقيقية لهذه اللوحة سوف تُرى عندما يجدها جامع اللوحات الفنية ويقول: "هذه قطعة فنية كثيرة الثمن، إنني على استعداد لدفع أي مبلغ لكي أقتنيها".

عندما أرسل الله ابنه الوحيد، الرب يسوع، إلى هذه الأرض ليحمل خطاياك وخطاياي على الصليب، علَّق فوقنا بطاقة الثمن، وأعلن قيمة نفوسنا أنها أعظم من قيمة العالم كله. رأي مَنْ سوف تقبلين؟ تصديق الأكذوبة سوف يضعكِ في عبودية. تصديق الحق سوف يحرِّرك.

٨. "أحتاج أن أتعلّم أن أحب نفسي"

"تقدير الذات المتدني" هو أحد التشخيصات الشائعة في أيامنا الحاضرة. فمتخصصو الأمراض العقلية والنفسية يشخصونها في مرضاهم، والمدرسون يشخصونها في تلاميذهم، ورعاة الكنائس يشخصونها في مستشيريهم، والآباء يشخصونها في أولادهم، وأناس بلا حصر يشخصونها في أنفسهم.

"أنت تحتاج أن تتعلم أن تحب نفسك" هي الوصفة الطبية في العالم كله لأولئك المعذَّبين بالشعور بعدم الأهمية. لقد أصبح هذا هو الاتجاه العام لعلم النفس الحديث، ولحضارة تمتلئ بأناس مهووسين بإيجاد طرق للشعور بالرضا عن أنفسهم.

نشرت مجلة دينية قصيدة جميلة، كُتبت بحيث تُقرأ الحروف الأولى من كل سطر من فوق إلى أسفل فتكوِّن عنوانها "أحبب أنت نفسك"، تقول:

أبعد كل واجبات حياتك عن ذهنك،
حاول أن تنفتح على المعجزة التي بداخلك،
بادر بتقييم تفرُّدك وتميُّزك،
بادر باكتشاف أحلامك ومواهبك.

اطّع صوت روحك،
نَم.. استرِخِ واستدفئ،
تجدَّد داخليًا؛ جسدًا ونفسًا.

نَحِّ ما يزعجك واقترب ممن يخلصون لك،
فرِّغ نفسك مما بداخلها وكن صادقًا معها،
سكِّن قلبك طويلاً في ما تستمتع به،
كن مستشعرًا لمحبة الله الخاصة لك.

قدَّم "كتالوج" آخر "قميص نوم سحري" كُتب عليه الرسالة التالية بالمقلوب، بحيث يمكن لصاحبته عندما ترتديه أن تقرأها لنفسها بالنظر في المرآة: "أنا إنسانة غالية، رائعة، مميَّزة، متفردة، كريمة، نادرة، نافعة، كاملة، مقدَّسة، تامّة، بلا نقص، مؤهَّلة، جديرة، مستحقة..." هذا القميص كان "بقصد تذكرتك بقيمتك وتفرُّدك".

كما هو الحال في كثير من التضليل والخداع، فالأكاذيب الممثلة في هذه الإعلانات ليست عكس الحق تمامًا، بل هي تشويه وتحريف للحق. ووفقًا لكلمة الله، الحق أننا مخلوقون على صورة الله، وأنه يحبنا، ولنا قيمة كبيرة في عينيه. ولكن، نحن لا نضفي هذه القيمة على أنفسنا بأنفسنا، ولا نختبر ملء محبة الله بإقناع أنفسنا بأننا محبوبون. على العكس، لقد علَّم المسيح أنه عندما نخسر حياتنا نجدها. إن المناداة بحب النفس، تضع الناس في طريق منعزل وبلا عودة يقود إلى البؤس.

كم من المرات سمعنا إحداهن تقول: "أنا لا أستطيع أن أحب نفسي"، أو "المشكلة أنها لا تقدر أن تحب نفسها". وطبقًا للكتاب المقدس، يعلن الحق أننا نحب أنفسنا – ونحبها بطريقة مبالغ فيها. وعندما يعلِّمنا المسيح أن نحب قريبنا كنفسنا، لم يكن يقصد أننا نحتاج أن نتعلم حب أنفسنا فنقدر أن نحب الآخرين. الرب يسوع يقول إننا نحتاج أن نعطي الآخرين الانتباه والاهتمام تمامًا كما نعطي أنفسنا بطريقة طبيعية.

إذا شعرت بألم في أسناني، فسأبحث فورًا عن طريقة لتحديد المشكلة لأتخلص منها. إذا لم "أحب نفسي" فسوف أتجاهل الألم. لكن إن تألم شخص آخر في أسنانه، فمن السهل ألا أكترث باحتياجه – إنها مشكلته. من الطبيعي أن نحب أنفسنا، وليس من الطبيعي أن نحب الآخرين.

نفس الفكرة تتضح في أفسس ٥، حيث يقول بولس للرجال «أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ (كما يحبون بصورة غريزية) أَجْسَادِهِمْ... فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ، بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ» (ع ٢٨، ٢٩).

لكننا دائمًا نهتم بأنفسنا، ولدينا حساسية شديدة لمشاعرنا واحتياجاتنا، مدركين دائمًا كيفية تأثير الأشياء والأشخاص علينا. والبعض منا يتألم ويُجرح بسهولة، ليس لأننا نكره أنفسنا، بل لأننا نحب أنفسنا! نحن نحب أن نكون مقبولين، معززين، ونعامل بلطف. إذا لم نهتم كثيرًا بأنفسنا، فلن نهتم كثيرًا إذا رُفضنا، أو أُهملنا، أو لم نُعامَل حسنًا.

في الواقع، نحن لا نكره أنفسنا، ولا نحتاج أن نحب أنفسنا. نحن نحتاج أن ننكر أنفسنا، حتى نستطيع أن نفعل هذا الذي لا نعرفه بالطبيعة: أن نحب الله والآخرين محبة فعلية حقيقية.

إن الداء الذي فينا ليس هو "عدم تقدير الذات"، ولا هو الكيفية التي نرى بها أنفسنا، بل هو رؤيتنا غير الصائبة لله، مشكلتنا ليست هي "ضآلة تصورنا لأنفسنا" قدر ما هي "ضآلة تصورنا لله". لسنا في احتياج أن نحب أنفسنا أكثر، بل أن نقبل محبته الفائقة لنا، وخطته وقصده لحياتنا.

بمجـرد أن نقبـل محبته، فلن نحتاج أن نقارن أنفسـنا بالآخرين، لـن نركز النظر على "الذات" بالمرة. وبدلاً من ذلك سنتحول إلى قنوات لتوصيل محبته إلى الآخرين.

٩. "لا أستطيع أن أغيِّر من طريقة حياتي"

هـذه أكذوبة أخرى تضع أناسًـا كثيرين في عبودية طويلة المـدى. أكذوبة صدقناها جميعنا في وقت أو آخر. وربما يكون لكِ قصة تشابه إحدى هذه السيدات:

الأكذوبة التي صدقتها كانت: "سـوف تكونين تمامًا مثل والديكِ - فهي حالـة وراثيـة - لا يمكنـك أن تفعلـي شـيئًا". كان أبي خادمًـا للرب في طفولتي - ثم ابتعد أبي وأمي بعيدًا عن الله وعن الكنيسة. صدقت أنه لا يمكن لشـخص أن يظل أمينًا لله إلى الأبد - لأن والديّ لم يكونا أمينين، فأنا أيضًا لن أكون.

قدّمت الاعذار لكسلي وعدم التزامي، معتقدة أني لا أستطيع أن أغير نفسي.

كنت أعتقد أنني مصابة بمشـكلة في وزني لأن كل عائلة أبي بدناء. فأنا لي ذات القوام، وسوف أظل أعاني دائمًا. لا فائدة من المحاولة، فسوف يعود كل شيء كما كان. ومن ثم كنت أضع اللوم عليهم لعبوديتي للطعام.

نحن نرى في حياتنا أشـياء نتمنى لو كانت مختلفة، أو أشياء نعرف أنها ليست مُسّرة للرب؛ وبدلاً من تحمل مسـؤوليتنا الشـخصية لاختياراتنا، ومواقفنـا، وتصرفاتنا، نقدِّم ١٠١ سببًا لماذا نحن هكذا على ما نحن عليه:

- "منزلنا ضيق جدًا، كل شيء يضغط على أعصابي".
- "وظيفتي مجهدة وتضغط عليّ، لا أستطيع أن أغيِّر كوني سريعة الانفعال مع أولادي عند عودتي إلى المنزل".
- "إنه ذلك الوقت من الشهر".
- "هرموناتي تتغير بطريقة جنونية"
- "أنا منهكة جدًا، لا أستطيع أن أؤدي أي عمل".
- "لم تتعامل عائلتي أبدًا مع أيّة مشكلة، نحن نخبئ كل شيء في الداخل ونتظاهر وكأن كل شيء على ما يرام. وإلى هذا اليوم، لا أقدر في الواقع أن أواجه أية مشكلة".
- "لم يعترف والديّ بي أبدًا. ولم أستطع أبدًا أن أشعر أني محبوبة".
- "كانت والدتي ووالدتها مصابتين بالهوس الاكتئابي *manic-deprssive* أعتقد أنه شيء تتصف به العائلة".
- "لم تكن أمي أمًّا بالفعل بالنسبة لي؛ لذا لم يكن أمامي نموذج لأحتذي به في تربية أولادي".
- "في طفولتي أُسيئت معاملتي، لم أستطع أبدًا أن أثق بأحد".
- "كان زوجي السابق يحقرني دائمًا - لقد حطم ثقتي بنفسي".

المعني المتضمَّن في كل هذه التصريحات أن الآخرين هم الذين جعلونا بالكيفية التي نحن عليها - فنحن ما إلا ضحية، نتفاعل مع جروح ابتلينا بها بواسطة آخرين.

لكننا، ونحن نسلط الضوء على قصة حواء، نكتشف أنه لم يكن والدان أو صديق أو ابن هو السبب في مأساة المرأة الأولى. ولم يكن رجل هو الذي أفسد حياتها - على عكس ما تقوله النظرية المعاصرة للمساواة بين الجنسين أن الرجال هم المسؤولون بدرجة كبيرة عن مشكلاتنا نحن كنساء. ولم تستطع حواء أيضًا أن تلوم البيئة التي كانت توجد فيها. في الواقع، كان من الممكن أن يكون نجاحها وسعادتها في هذه البيئة

أمرًا سهلاً! فحواء وزوجها لم تكن لديهما مشكلات مالية، ولا مشكلات في العمل، لا تلوث للبيئة، لا جيران غير مرغوب فيهم، لا حشائش ضارة ليقتلعوها، ولم يكن لهم حتى مشكلات مع أقارب أو أنسباء!

لم يكن لحواء أحد أو شيء خارج نفسها لتلومه بسبب المشكلات التي قابلتها في زواجها، وعائلتها، وفي كل ما حولها. لقد بدأت مشكلاتها من داخل نفسها. اتخذت حواء ببساطة قرارًا شخصيًا - لم يكن هناك أحد لتلقي عليه باللوم إلا نفسها. وهذا الاختيار وضعها في عبودية، وجلب تعاسة وشقاء بلا حدود لحياتها، ولعائلتها، وكل جيل كان سيأتي بعدها.

هذه الأكذوبة - "لا أستطيع أن أغيِّر من طريقة حياتي" - تصوِّرنا كضحايا لأناس آخرين أو ظروف خارجنا. والاعتقاد بأن شخصًا ما، أو شيئًا ما، هو المسؤول عن مَنْ نكون - حتى أصبح لا تحكم لنا في مَنْ نكون أو ماذا نفعل، تمامًا مثل تلك الدُمية التي تحرِّكها الخيوط. ونحن نؤمن، بطريقة ما، أنه قُدِّر لنا أن نكون محكومين بذلك الشخص أو الشيء الذي يحرك الخيوط.

هذه الأكذوبة تتركنا بلا أمل في إمكانية أن نكون مختلفين أبدًا. الشيطان يعرف أننا إذا صدقنا أننا لا نقدر أن نُصلح أنفسنا والطريقة التي نحن عليها، فلن نتغير أبدًا، سوف نستمر في العيش في العبودية. إذا صدقنا أننا محكوم علينا بالفشل، وبالاستمرار في الوقوع في الخطية، أو أن نكون تعساء؛ فسوف نفشل، ونستمر في الخطية، وسنكون دائمًا نساء غير سعيدات، ومحبَطات.

الحق هو أن لنا أن نختار بالفعل. ونحن مسؤولون تمامًا عن اختياراتنا. يمكن لنا أن نتغير بقوة روح الله. وحالما عرفنا الحق وتمسكنا به، يمكننا أن نتحرر من سلاسل ماضينا وظروفنا، وحتى من أنماط سلوكية وعادات كانت قد تأصلت فينا بعمق.

١٠. "أنا لي حقوقي الخاصة"

"بضعة حقوق لا يمكن التفاوض فيها"... "لتكن لك كما تريدها!"... "من حقك أن تطبخي الدجاج بالنكهة التي تريدينها". من إعلان الاستقلال إلى الطبخ أصبحت: "أنا لي حقوقي" هي الصرخة المدوية للحضارة الغربية. وفي جيلنا بصفة خاصة، أصبح هذا واقعًا فيما يختص بالنساء.

وُلدت الحركة المعاصرة للمساواة بين الجنسين ودُعمت بإقناع السيدات بالتظاهر والمطالبة "بحقوق": الحق في التصويت، الحق في التحرر من أغلال الأعمال المنزلية، الحق في الحصول على فرص عمل متساوية، الحق في أجور متساوية، الحق في التحكم في أجسادنا، الحق في أن نقول ما نريد أن نقوله، وأن نعمل ما نريد أن نعمله، وأن نكون ما نريد أن نكونه، الحق في التحرر من اسم الزوج ومن أي شكل من أشكال "سيطرة الرجال".

قيل للنساء إن المطالبة بحقوقهن هي بمثابة تذكرة الدخول إلى السعادة والحرية. وفوق كل شيء "إذا لم تدافعي عن حقوقك، فلا أحد غيركِ سوف يفعل هذا". ولكنني على اقتناع أن الحصول على هذه الحقوق أنتج الكثير - إن لم يكن غالبية - التعاسة التي تعاني منها النساء اليوم. يومًا تلو الآخر، أستمع إلى سيدات يعترفن بأن "دفاعهن عن حقوقهن" لم يجلب دائمًا الفوائد الموعودة.

> "أنا لي حقوقي" سببت مشاحنات كثيرة غير ضرورية، قادت إلى الشقاء والبؤس.

> عندما أدافع عن حقوقي وأطالب بما أريد، أشعر بسعادة مؤقتة. لكن جحيم اليأس سرعان ما يلحق.

في حقيقة الأمر، فإن العلاقات الناجحة والحضارات الصحيحة ليست مبنية على الحصول على الحقوق، بل على التنازل عن الحقوق. حتى قواعد المرور لدينا تعكس هذا المبدأ. فلا يمكن أن تجدي لافتة تقول: "الطريق من حقك"، بدلاً منها لافتة سترشدنا وتقول "افسح (تنازل عن)" الطريق. وهذه هي أفضل طريقة لسير المرور، وهي أيضًا أفضل طريقة لسير الحياة.

ومع ذلك، ففكرة المطالبة بالحقوق تملأ الهواء الذي نستنشقه. والاضطراب العظيم والتمرد الذي حدث في ستينيات القرن الماضي كان وليد فلسفة تُحفز على المطالبة بحقوق. هذه الفلسفة اخترقت ثقافتنا المسيحية. وهي تتسلل خلسة إلى أحاديثنا. لقد شكلت أسلوب رؤيتنا للحياة بأكملها. فاليوم من المفروض أن:

- يكون لكِ حق في أن تكوني سعيدة.
- لكِ حق في أن يتفهمك الآخرون.
- لكِ حق في أن تكوني محبوبة.
- لكِ حق في مستوى معين من المعيشة، أجر عادل، وفوائد مقبولة.
- لكِ حق في زواج جيد.
- لكِ حق في العشرة الطيبة والرومانسية.
- لكِ حق في أن تُعاملي باحترام في مكان العمل.
- لكِ حق في أن يقدِّرك زوجك ويفتخر بك أولادك.
- لكِ حق في الراحة من العمل وفي عدد معين من أيام العطلة.
- لكِ حق في نوم مريح.
- لكِ حق في أن يساعدك زوجك في الأعباء المنزلية.

والأكثر أهمية، أنه إذا أُنتهكت أيٌّ من حقوقكِ، لكِ الحق في الاحتجاج. لكِ حق في الغضب. لكِ حق أن تكوني مكتئبة. لكِ حق في أن تفعلي شيئًا. لكِ حق أن

تصرّي على حقوقِك!

في العهد القديم يرسم لنا النبي يونان صورة ميل الإنسان الطبيعي إلى المطالبة بحقوق، وكيف يغضب عندما يُعتدي على هذه "الحقوق". شعر يونان أن له حقًا في ألا يحب أهل نينوي الوثنيين، وأن من حقه أن يبشر أينما يريد أن يبشر، وأن له حقًا في أن يرى أهل نينوي يؤدَّبون من الله.

وعندما تصرف الله بطريقة مختلفة عما اعتقده يونان، «فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ» (يونان ٤: ١). لقد اغتاظ جدًا حتى أنه توسل إلى الله ليأخذ نفسه. كان تفكيره في الموت هو نتيجة لنوبة غضب حادة اجتاحت نفسه.

وعندما تجاوب الله مع يونان، لم يتعاطف مع مشاعره المجروحة، ولم يحاول أن يكسر غرور يونان. بل بدلاً من ذلك واجه النبي الغاضب بمسألة الحقوق، «فَقَالَ الرَّبُّ: هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ؟» (ع ٤).

رفض يونان أن يجيب عن السؤال. بل وذهب إلى شرقي مدينة نينوي، وصنع مظلة، وجلس تحتها ينتظر ليرى إذا كان الله سيغير قراره ويدمّر المدينة. ومن محبة الله وصلاحه ورحمته «أَعَدَّ الرَّبُّ الإِلهُ يَقْطِينَةً فَارْتَفَعَتْ فَوْقَ يُونَانَ لِتَكُونَ ظِلاً عَلَى رَأْسِهِ، لِكَيْ يُخَلِّصَهُ مِنْ غَمِّهِ. فَفَرِحَ يُونَانُ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ فَرَحًا عَظِيمًا» (ع ٦).

هل ترين كيف كانت عواطف يونان محكومة بما إذا كانت حقوقه، في وجهة نظره، متمّمة أم لا؟ عندما كان الله رحيمًا بأهل نينوى الوثنيين الذين مقتهم يونان، اغتاظ يونان واغتم. وعندما صنع الله مظلّة لتحميه من الشمس الحارقة، كان يونان فرحًا.

لم يستمر فَرَحُهُ طويلاً – مع ذلك – ففي الصباح التالي أعد الله دودة فضربت اليقطينة فيبست، ثم أرسل الله ريحًا شرقية وشمسًا ساخنة ألهبته، حتى ذَبل. ومرة ثانية، هذا النبي المكتئب يطلب الموت. ومرة أخرى يواجه الله يونان بحقوقه: «هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ؟» (ع ٩) فأجاب يونان، «اغْتَظْتُ بِالصَّوَابِ حَتَّى الْمَوْتِ» (ع ٩).

شعر يونان أن له الحق في التحكم في حياته الخاصة وما يحيط به، وأن أموره لا بد أن تسير بالطريقة التي يريدها أن تسير بها، وأن يغضب إذا لم تَسِر هكذا. كان إصراره على حقوقه قد تسبب في عواطفه وانفعالاته غير المستقرة والمنفصلة والبعيدة عن الله.

مما يؤسف له أن قصة يونان تشبه كثيرًا قصتي في بعض الأوقات، فكثيرًا ما أجد نفسي منزعجة وقلقة عندما لا تصير الأمور بالطريقة التي أريدها: قرار أخذه شخص ما في العمل، أو سائق وقح على الطريق السريع، أو طابور طويل في محل ما، أو إذا تفوه أحد أفراد العائلة بكلمة بدون تفكير، إهانة بسيطة (حقيقية أو متخيَلة) من صديق، أو إذا فشل أحدهم في الالتزام بتعهده، أو مكالمة تليفونية أيقظتني عندما كنت قد بدأت للتو في نومي. فإذا كنتُ أَستمِيت من أجل حقوقي، فإن أقل تعدٍّ على تلك الحقوق سوف يجعل شعوري وتصرفي مزاجيًا، عصبيًا، غضوبًا.

الطريق الوحيد للتخلص من هذا الصراع الروحي والنفسي هو أن أسلِّم جميع حقوقي لذاك الذي يمسك في النهاية جميع الحقوق. هذا هو الحق - والحق يحررنا.

١١. الجمال الخارجي أهم من الجمال الداخلي

هذه الرسالة هي واحدة من أهم ما تنادي به ثقافتنا للشابات والسيدات بدءًا من الطفولة المبكِّرة. إنها تصل إلينا من كل حدب وصوب: التلفاز، الأفلام، الموسيقي، المجلات، الكتب، والإعلانات. وفي انسجام تام معًا، رسموا لنا صورة لما يجب أن يهمنا. وأكثر ما يهم النساء، كما يصرّون، هو الجمال - الجمال الجسدي. حتى الوالدين، الإخوة، المعلمين، والأصدقاء أحيانًا يزيدون الأمر، بغير قصد، إذ يمنحون الأطفال الأكثر قبولاً اهتمامًا زائدًا، بينما الأطفال الأقل جاذبية، أو الزائدون عن الوزن،

أو فارعو الطول، يكونون عُرضة لتعليقات غير مستحبّة، أو لعدم الاهتمام بهم، أو حتى للرفض العلني الصريح لهم.

أعتقد أن انشغالنا الكامل بمظهرنا الخارجي يرجع إلى المرأة الأولى. هل تتذكرين ما هو الذي كان جذابا لحواء في تلك الثمرة المحرمة؟

فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ

تكوين ٣: ٦

كان للثمرة جاذبية فعالة (كانت «جيدة للأكل»)، وكانت أيضًا متماشية مع رغبتها في المعرفة. لكن على نفس الدرجة من الأهمية حقيقة أنها كانت «بهجة للعيون» - كان مظهرها الخارجي جذّابًا. نجح العدو في جعل المرأة تهتم بجمالها الخارجي أكثر جدًا من القيم غير المنظورة، مثل المصداقية والطاعة. لم تكن المشكلة في كون الثمرة "جميلة" - فالله صنعها هكذا. ولم يكن أيضًا من الخطإ لحواء أن تتمتع بجمال خليقة الله وتقدّره، لكن المشكلة أن حواء أعطت اهتمامًا غير مستحق للمظهر الخارجي. وبذلك صدقت الأكذوبة وتصرَّفت بموجبها.

أصبحت الأولوية التي وضعتها حواء على الجاذبية الخارجية النموذج المقبول لكل الجنس البشري. ومنذ تلك اللحظة، هي وزوجها، رأيا نفسيهما وجسديهما برؤية مختلفة. لقد تمركزا حول نفسيهما وخجلا من جسديهما - ذلك الجسد الذي شكّله الخالق المحب ببراعة. وفي الحال بحثا عن تغطية جسديهما، خائفين من مخاطرة

كشف نفسيهما الواحد أمام الآخر.

الخداع بأن الجمال الجسدي له اعتبار فوق جمال القلب والروح والحياة، يترك كلاً من الرجل والمرأة في شعور بعدم الجاذبية، والخزي، والخجل، والشعور بالنقص الميئوس منه. ومما يدعو للسخرية، أن الجمال الخارجي يستحيل تحقيقه، وهو هدف مراوغ - ودائمًا بعيد المنال.

حتى السيدات الأكثر جمالاً وجاذبية يعترفن بالشعور بأنهن أقل من جميلات. تقول واحدة من فاتنات هوليود، "ميج راين"، عن نفسها: "أظن أنني أبدو غريبة المنظر، لو كنت أستطيع أن أغير شكلي، أتمني أن يكون لديّ ساقان أكثر طولاً، أقدام أصغر، وأنف أصغر"[٦].

ربما تسأل إحداهن، كم يكون حجم الضرر الذي يحدث إذا كنا نضع قيمة عظمى للجمال الجسدي الخارجي؟ دعونا نرجع إلى افتراضنا: ما نؤمن به سيحدِّد في النهاية الطريقة التي نعيش بها. إن كنا نصدِّق شيئًا ليس حقيقيًا، فآجلاً أو عاجلاً سوف نتصرف وفقًا لهذه الأكذوبة، وتصديق الأكذوبة والتصرف بموجبها سوف يقودنا إلى العبودية.

كل من النساء التاليات صدقت شيئًا عن الجمال ليس حقيقيًا، وما صدَّقنه كان له الأثر في كيفية شعورهن عن أنفسهن، وتسبب في اتخاذهن اختيارات أوجدتهن في العبودية.

> بتصديقي أن الجمال هو خارجي وجسدي، لم أشعر أبدًا أني جميلة. كنت أخجل من تشوهات في ظهري ورجلي. كان لديَّ ميل قليل في رجلي وظهري بسبب وجود ميل جانبي في العمود الفقري. كان ظهري مستقيمًا، لكن كنت دائمًا أشعر أنه كلّفني بعضًا من جمالي. ولأني صدقت أنني لست جميلة، كنت دائمًا خجولة.

صدقت أن الجمال الخارجي (جسدي) هو كل قيمتي في نظر الآخرين، وخاصة الرجال. واخترت أن أستفيد من ذلك بأن ألفت إليَّ الانتباه الذي كنت أتوق إليه بشدة. فأصبحتُ مُدمنة للجنس.

شقيقتي على درجة من الجمال، وأنا أحبها كثيرًا، لكنني لستُ مثلها. صدقت دائمًا أني أقل منها كثيرًا ولا بد أن ألعب دورًا لأكون مقبولة لدى الآخرين. أنا أرى أن ذوى الجمال هم الذين يحصلون على الأفضل في الحياة. وقد قبلت أن هذه الأشياء لن تكون لي، وأنا في عبودية من جهة قدرتي على فهم صورتي الخارجية.

اعتقدت طوال حياتي أن قيمتي الشخصية تتوقف على هيئتي الخارجية، وبالطبع لم يكن مظهري مطابقًا للمواصفات العالمية، لذلك كنت أشعر دائمًا بنقص القيمة. وبدأت تتكون لديَّ عادات سيئة في طريقة تناول الطعام، وأصبحت مدمنة للطعام، وفي حياتي الزوجية كان لديَّ الكثير من المتاعب من جهة فهمي وإدراكي لمدى جاذبيتي، واعتقادي أن زوجي دائمًا ينظر إلى أخريات أكثر جاذبية له.

مقارنات، حسد، تنافس، اختلاط وتشويش، ولع جنسي، أكل بطريقة فوضوية، ملابس غير محتشمة، محاولات لجذب الانتباه – والقائمة تطول لتصرفات وسلوكيات بُنيت على فهم خاطئ لمعنى الجمال. ما الذي يمكن أن يحرِّر النساء من العبودية؟ الحق وحده يمكنه أن يقهر الأكاذيب التي صدقناها. كلمة الله تخبرنا الحق كله عن الحالة المؤقتة للجمال المادي الظاهري وأهمية السعي من أجل الجمال الداخلي الباقي:

اَلْحُسْنُ غِشٌّ وَالْجَمَالُ بَاطِلٌ،
أَمَّا الْمَرْأَةُ الْمُتَّقِيَةُ الرَّبَّ فَهِيَ تُمْدَحُ.

أمثال ٣١: ٣٠

وَلاَ تَكُنْ زِينَتُكُنَّ الزِّينَةَ الْخَارِجِيَّةَ،
مِنْ ضَفْرِ الشَّعْرِ وَالتَّحَلِّي بِالذَّهَبِ وَلِبْسِ
الثِّيَابِ، بَلْ إِنْسَانَ الْقَلْبِ الْخَفِيَّ فِي
الْعَدِيمَةِ الْفَسَادِ، زِينَةَ الرُّوحِ الْوَدِيعِ
الْهَادِئِ، الَّذِي هُوَ قُدَّامَ اللهِ كَثِيرُ الثَّمَنِ. فَإِنَّهُ
هكَذَا كَانَتْ قَدِيمًا النِّسَاءُ الْقِدِّيسَاتُ أَيْضًا
الْمُتَوَكِّلاَتُ عَلَى اللهِ، يُزَيِّنَّ أَنْفُسَهُنَّ

١ بطرس ٣: ٣-٥

هذه الآيات لا تعلِّم، كما قد يظن البعض، أن الجمال الخارجي هو نوع من الخطية، أو أنـه مـن الخطإ أن نعطي أدنى اهتمام لمظهرنا الخارجـي. هذا خداع كبير، تمامًا مثل الكذب بضرورة إعطاء الاهتمام الأكثر للمظهر الخارجي.

والآن، هـل يدين الكتـاب المقدس الجمال الخارجي أو يقترح أن المظهر الخارجي لا يهُـم. مـا يُدان هو الافتخـار بما أعطاه الله مـن جمال، والمغالاة فـي الاهتمام به، أو الاعتناء بالأمور الشكلية بينما تُهمل الأمور الداخلية القلبية.

واحـدة من اسـتراتيجيات الشـيطان هي أن ينقلنا مـن التطرف في اتجـاه إلى تطرف في الاتجـاه الآخر. يوجد في ثقافتنـا الآن كراهية متنامية نحو الترتيب، والنظام، والجاذبية في الملابس والمظهر الخارجي. أحيانًا أجد نفسي في احتياج أن أقول للسيدات المسيحيات: "هـل تعرفيـن مَـنْ أنتِ؟ الله خلقـك امرأة. اقبلي عطيتـه. لا تخافـي أن تكوني أنثى وأن تضيفـي جمـالاً ماديًـا وروحيًا إلى المكان الـذي أوجدك فيه. أنتِ ابنة للـه. أنتِ جزء من عروس المسـيح. أنتِ تنتمين للملك - أنتِ من عائلة ملكية. ارتدي ملابسـك وتصرفي بطريقة تعكس دعوتك العليا والمقدسـة. الله دعـاكِ لتخرجي خارج نظام هذا العالم - لا تجعلـي العالم يشـكّلك فـي قالبه. لا تفكري، أو تلبسـي، أو تسـلكي مثـل العالم، بل من الداخل ومن الخارج، دعي الآخرين يرون الفرق الذي يصنعه الرب في حياتك".

كسـيدات مؤمنات، يجب أن نجتهد لأن نعكس الجمال، والنظام، والفضيلة، ونعمة الله من خلال كل من إنساننا الخارج والداخل.

والزوجة المسيحية لها السبب الأقوى لتجد التوازن الصحيح فيما يتعلق بهذا الأمر. "فالمرأة الفاضلة" في أمثال ٣١ حسنة المظهر وثيابها مهندمة (ع١٧، ٢٢)، وهي ممدوحة من زوجها.

فـإذا كانت الزوجـة ترتدي ملابسـها بطريقة غير مهندمـة وبلا ترتيـب، وإذا لم تعتنِ بمظهرهـا الخارجـي، فسـوف ينعكس هذا بطريقة سـلبية على زوجهـا (وعلى العريس السـماوي). وأيضًا إذا لم تحاول أن تبذل جهدًا لتكون جذابة لزوجها، فلتعلم أن هناك امرأة أخرى تقف في الصف لتلفت انتباهه.

عندمـا كتب الرسـول بولـس إلى تيموثاوس عن مـا يجب أن تكون عليـه الأمور في الكنيسـة، أفسـح مجالاً ليتكلم عن الكيفية التي يجب على النسـاء أن يرتدين ملابسهن. وكانـت تحريضاتـه تُظهـر ضـرورة التـوازن بين حالـة القلـب الداخلية للمـرأة وزينتها الخارجية وسلوكها. وحّرض بولس السيدات أن:

يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحِشْمَةِ، مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ، لاَ بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لآلِئَ أَوْ مَلاَبِسَ كَثِيرَةِ الثَّمَنِ، بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللهِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ.

١ تيموثاوس ٢: ٩-١٠

إن كلمة "يزين" وكلمة "الحشمة" تعنيان هنا "منظم - مرتب جدًّا - مقبول"؛ فالكلمتان تتحدثان عن "ترتيبات منسقة ومنسجمة معًا"[٧]. فالمظهر الخارجي للمرأة المؤمنة لا بد أن يعكس قلبًا متضعًا، طاهرًا ومرتبًا حسنًا. ملابسها وتسريحة شعرها لا يجب أن تكون مُعثرة أو لافتة للانتباه إليها بكونها مسرفة، أو متطرفة، أو غير مقبولة. بهذه الطريقة هي تعكس الحالة الحقيقية لقلبها وعلاقتها مع الرب، وتجعل الإنجيل جذابًا للعالم.

ما فوق الأربعين

ما إن أكملت الأربعين من عمري، حتى بدأت أتلقى مطبوعات دعائية عن منتجات تضمن لي مقاومة تأثيرات التقدم في السن - فهي تَعِد ببشرة جلدية نضرة وصافية، وتجاعيد أقل، ولا ظلال داكنة بعد الآن، مزيد من الحيوية، وأظافر وشعر أجمل، وتحسّن في النظر والسمع. والمعنى المتضمن هنا هو أنه، كلما تقدمتُ في العمر، كان ما يعنيني أكثر هو أن أبدو وأشعر أنني ما زلت أصغر سنًا.

على أن الحقيقة هي أنني أتقدم في العمر، وفي هذا العالم الساقط، هذا يعني أن جسدي يتلف رويدًا رويدًا. أتطلع في المرآة فأرى خطوطًا لم تكن موجودة منذ عشر سنوات مضت، فأنا الآن رمادية الرأس، وأضطر أحيانًا أن استخدم كتابًا مقدسًا ذا

أحرف كبيرة، وبالرغم من ممارسة التمارين العادية وملاحظة ما آكله، لكنني لا أملك القوة البدنية التي كانت لي في سن العشرين.

لكنني أرفض أن أصدق هذه الأكذوبة التي تقول إن تلك الأشياء هي أمور مأساوية أو أن ساعتي العضوية يمكن بطريقة ما أن تعود إلى الوراء. أنا لا أحاول أن أستعجل ضعف جسدي، كما أنني أيضًا لن أستنفذ طاقتي في مقاومة أشياء لا مفر منها. كلما أتقدم في العمر، أريد أن أركز اهتمامي على تلك الأشياء التي يقول الله إنها الأكثر أهمية - أشياء مثل أن أدَع روحه ينشئ في داخلي قلبًا يمتلئ بالنعمة، حكيمًا، طيبًا، ومحبًا.

بصرف النظر عما أحصل عليه من أدوية، أو حبوب، أو عمليات، فأنا أعرف أن هناك تحولاً يحدث الآن في جسدي لا يمكن إرجاعه كما كان من قبل؛ وإن صدقت غير هذا سأكون مضللة ومخدوعة. لكنني أعلم أيضًا أن «سَبِيلُ الصِّدِّيقِينَ فَكَنُورٍ مُشْرِق، يَتَزَايَدُ وَيُنِيرُ إِلَى النَّهَارِ الْكَامِلِ» (أمثال ٤ : ١٨). وهذا يعني أن هناك بُعد من الحياة يمكن أن يتزايد إلى أكثر غنًى وأكثر ملئًا، حتى وإن كانت أجسادنا الخارجية تبلى.

فالحقيقة إذا كرسنا وقتنا وطاقتنا لنظل على شكلنا وأناقتنا وجمالنا ولكي نبدو أصغر سنًا، فربما نحقق هذه الأشياء - لوقت قصير. لكن سيأتي اليوم عندما نشعر بندم أننا أهملنا اهتمامنا بجمالنا الداخلي، وشهادتنا، ولمعاننا؛ الأمور التي هي مرضية عند الرب وباقية إلى الأبد.

١٢. "يجب ألا أعيش برغبات غير مُشبَعة"

هذه أكذوبة أخرى شقّت طريقها إلى أسس وقواعد الطريقة التي نفكر بها أو نعيشها. فمجتمعنا اعتنق فلسفة أنه يوجد (أو يجب أن يكون) علاج (يفضل أن يكون سريعًا

وسهلاً) لكل رغبة غير مُشبعة.

نحـن نجد تشـجيعًا علـى تحديد رغباتنـا والقيام بكل مـا هو ضـروري لمقابلة هذه "الاحتياجـات"، لذلـك... فـإذا شـعرت بالجـوع، كُلـي. إذا كنتِ تحتاجين شـيئًا لا تستطيعين الحصول عليه، اقترضي. إذا كنتِ تشتهين علاقة رومانسية، ارتدي ملابسك وتصرفـي بطريقة تشـدّ انتبـاه الرجال إليكِ. إذا كنتِ تشـعرين بالوحدة، شـاركي ما في قلبِك مع ذلك الزميل المتزوج الذي يعمل معكِ.

عندما تذهبين إلى المتجر في المرة القادمة، ألقي نظرة سريعة على المجلات الخاصة بالمرأة التي بجانب خزانة الدفع. ستجدين أغلفة المجلات تمتلئ بعروض تَعِدِ بإشباع كل رغباتك:

- ٩٩ طريقة لكي تظهري أجمل، وتشعري أفضل، وتستمتعي بالحياة أكثر.
- تخلصي من الوزن الزائد بهذه الوجبات الخفيفة.
- كوني رائعة عندما تكون درجة الحرارة أكثر من ٤٠ درجة مئوية.
- ٢٥ سرًا لكي تظهري أصغر سنًا.
- تدللي: شعر طويل فورًا، بشرة سمراء تحصلين عليها ببساطة بالغة.
- عادة صحية بسيطة تجعلك رشيقة، وتحسن بشرتك، وتزودك بالحيوية.
- الحياة السهلة: وظيفة ممتعة، أزياء حديثة، خيال جامح، وحلول ذكية.

في مكان ما، بطريقة ما، هناك طريقة لإشباع رغباتكِ - ربما تكون:

- كتب "كيف تفعل...".
- قصة رومانسية.
- زيارة إلى المحلات التجارية.
- رحلة بحرية.
- طريقة جديدة لتصفيف الشعر، خزانة الثياب، منزلاً، عطرًا، وظيفة، أو زوجًا.

• فطيرة بيتسا يهطل منها الجبن الساخن.

في أحسن الأحوال، هذه الطريقة من التفكير تركت نساء كثيرات ما زلن يبحثن عن شيء ليملأ فراغهن الداخلي.

وفي أسوأ الأحوال، هذا الخداع قد سبب حزنًا عظيمًا وعبوديةً. فهو المتسبب في هذا القلق، الاستياء، والاكتئاب الكثير. هذه الأكذوبة قادت نساء بلا حصر إلى بيع عفتهن في مقابل جو دافئ ووعد برفقة وصحبة. كما قادت سيدات متزوجات إلى البحث عن إشباع في أحضان رجل في مجال عملهن يدّعي أنه يهتم بمشاعرهن. وقادت الكثير من الشباب للخطو في ممرات الكنيسة للنطق بتعهدات الزواج، لأسباب خاطئة. وقادت نسبة كبيرة من هؤلاء الأزواج عينهم للخطو في ممرات محاكم الطلاق - هذا كله في محاولة لإشباع احتياجاتهم الداخلية العميقة غير المُشبعة.

وتحكي "كارمن" إلى أين قادتها هذه الأكذوبة:

> تصديقًا لأنني لا يجب أن أعيش برغبات غير مُشبَعة، فقد حصلت على ما أريد كلما أردت. ثياب، رحلات إلى أوربا، أو نزهة بعيدة في عطلة نهاية الأسبوع - استخدمتُ بطاقات الائتمان كثيرًا أو الأقساط إلى حد ما، إلى أن وصلت الديون إلى ١٠٠٠٠ دولار عند بلوغي سن الثانية والعشرين. الشيء الآخر الذي شعرت أنني أحتاجه جدًا والآن هو رجل - وبناء على ذلك، كنت أتواعد مع رجال لم أكن حتى أرغب فيهم، أو رجال كنت فقط أعرف أنهم يرغبون في الاضطجاع معي. لكي أتواعد كنت أحيانًا أذهب أكثر من ذلك إلى علاقات جنسية لكي أشعر أني مقبولة.

وقصة "إيلين" توضح بشدة أعماق الاضطراب النفسي والشخصيِ الذي يمكن أن ينتج من تصديق هذه الأكذوبة:

لم أكن مُشْبعَة جنسيًا في علاقتي الزوجية. وكنت أعتقد أن السبب هو زوجي. كنت ألومه، ورحت أبحث عن رجل آخر ليشبعني جنسيًا. كنت أسميه حبًا، مع معرفتي أنها شهوة، لكنني صدّقتُ أن هذا حقي، وأن زوجي مدين لي بإشباعي جنسيًا. كان الأمر رائعًا لفترة قصيرة، لكن عندما انكشفت الحقيقة، فإن الشعور بالذنب، والخزي، والخراب، ترك طبقة من الأذى والألم عظيمة جدًا لم تكن تستحق هذه المتعة التي ربما شعرت بها إلى برهة وجيزة.

ما هو الحق الذي يحررنا من عبودية هذا التضليل؟

أولاً، لا بد أن ندرك أنه سيكون لنا دائمًا رغبات غير مشبعة في هذه الحياة (رومية ٨: ٢٣). في الواقع، إذا كان ممكنًا أن يكون لنا كل ما نحتاج إليه هنا في الأرض، فمن السهل أن نكتفي بوجودنا هنا، ولن تتطلع قلوبنا إلى مكان أفضل.

من المهم أن نفهم أن رغباتنا الداخلية ليست بالضرورة خطأ في ذاتها. لكن الخطأ هو طلب أن تكون هذه الرغبات مشبعة هنا والآن، أو الإصرار على مقابلة هذه الرغبات الشديدة بطرق غير شرعية.

خلق الله الرغبة الجنسية. وليس من الخطإ إشباع هذه الرغبة، طالما أنها في توقيت الله وبحسب فكر الله – في داخل عهد الزواج. بالرغم من أن العالم يقول لنا إنه إذا كان لدينا دافع جنسي فلنا كل الحق لإشباعه – بغض النظر عن كيف، متى، أين، أو مع مَنْ.

وبنفس الطريقة، ليس من الخطإ أن نشعر بالجوع، كما أنه ليس من الخطإ أن نأكل. الخطأ هو أن نأكل بِنهم ونتّخم في محاولة لإشباع تطلعات نفسية وروحية.

إلى أن يمنح الله الظروف المناسبة والمشروعة ليشبع رغباتنا، لا بد أن نتعلم أن نكون قانعين بهذه الرغبات غير المشبَعة.

الحق الثاني هو أن أعمق رغباتنا لا يمكن أن تشبع عن طريق أي شخص أو أي شيء مخلوق. هذا الحق هو الأكثر تحريرًا، والذي وجدته في رحلة حياتي بطولها. لسنوات كثيرة، كنت أتطلع إلى أناس أو ظروف لتجعلني سعيدة. والوقت تلو الآخر، عندما لم يستطيعوا أن يقدموا شيئًا، كنت أجد نفسي ساخطة وخائبة الأمل.

إن كل شيء مخلوق سوف يصيبنا بكل تأكيد بخيبة الأمل. الأشياء يمكن أن تُحرق أو تُكسر أو تُسرق أو تُفقد. البشر يمكن أن يرحلوا أو يتغيروا أو يفشلوا أو يموتوا. كانت خسارتي لبعض من أعز أحبائي في سنوات مضت هي التي أيقظتني لحقيقة أنني سأعيش دائمًا في حالة من خيبة الأمل إذا كنت أتوقع من الناس أن يشبعوا عمق احتياجي ككائن حي.

تحدثتُ كثيرًا مع سيدات صغيرات غير متزوجات - بعضهن تقيات مؤمنات مكرسات - قد شاركن معي صراعهن مع الوحدة. كنت أذكرهن بأن الزواج ليس بالضرورة علاجًا للوحدة - فلقد تقابلت مع الكثير جدًا من النساء المتزوجات اللاتي يعانين من شعور عميق بالوحدة والعزلة. والواقع أنه، لا يوجد رجل على وجه الأرض يمكنه أن يشبع الرغبات العميقة لقلب المرأة - الله صنعنا بهذه الطريقة: أننا لا يمكن أن نكون مشبعين بالفعل بأي شيء أو أي شخص أقل منه هو شخصيًا (مزمور ١٦: ١١؛ ٣٤: ٨-١٠).

سواءً كنا متزوجات أو غير متزوجات، لا بد أن ندرك أنه ليس خطأً أن تكون لدينا رغبات غير مشبعة - فهي لا تجعلنا أقل روحانية. يجب أن نتعلم أن نقبل هذه الرغبات، ونسلّمها في يد الله، وننتظر أنه يملأ هو أعمق احتياجات قلوبنا.

رأينا أن أي خلل في رؤيتنا لله ينتج عنه خلل في رؤيتنا لأنفسنا، وأي تضليل في أيٍّ من هذه المناطق الأساسية سوف يؤثر على الطريقة التي نحيا بها. وحتمًا، فتصديق أكاذيب عن الله وعن أنفسنا سيقود إلى تضليلنا في ما يتعلق بالخطية.

الأكذوبة

٧. أنا لا أساوي شيئًا

الحق

- قيمتي لا تحدَّد بما يعتقده الآخرون فيّ، أو ما أعتقده أنا في نفسي. قيمتي تحدد بكيفية رؤية الله لي.

مزمور ١٣٩: ١-١٨؛ أفسس ١: ٣-٨؛ ١بطرس ٢: ٤

- بالنسبة إلى الله، فنفسي تساوي أكثر جدًا مما يساويه العالم بكامله.

يوحنا ٣: ١٦؛ رومية ٥: ٦-٨

- إذا كنتُ ابنة لله، فأنا مِلكه وكنزه الغالي.

رومية ٨: ١-٢، ١٣، ١٥-١٧؛ ١بطرس ٢: ٩

الأكذوبة

٨. أحتاج أن أتعلم أن أحب نفسي

الحق

- بالإيمان، أحتاج أن أقبل محبة الله لي.

غلاطية ٢: ٢٠؛ عبرانيين ١١

- أنا بالفعل أحب نفسي. أحتاج أن أنكر نفسي وأجعل محبة الله تصل للآخرين من خلالي.

متى ١٦: ٢٤-٢٦؛ يوحنا ١٥: ١٢؛ أفسس ٥: ٢٩

الأكذوبة

٩. لا أستطيع أن أغيِّر من طريقة حياتي

الحق

- إذا كنت ابنة لله، فيمكنني أن أختار أن أطيع الله.

رومية ٦: ١-١٤؛ ٨: ١-٢

- أنا مسؤولة عن اختياراتي.

تثنية ٣٠: ١٩؛ يشوع ٢٤: ١٥

- يمكنني أن أتغير من خلال قوة روح الله.

غلاطية ٥: ١٦؛ فيلبي ٢: ١٣

الأكذوبة

١٠. أنا لي حقوقي الخاصة

الحق

- المطالبة بحقوقي ستضعني في عبودية.

١يوحنا ٤: ١، ٤، ٩؛ مزمور ٣٧: ١-١١؛ لوقا ٦: ٤٦

- التنازل عن الحقوق سيطلقني حرة.

يوحنا ٦: ٣٨؛ عبرانيين ١٠: ٧

الأكذوبة

١١. الجمال الخارجي أهم من الجمال الداخلي

الحق

- في أفضل الحالات، الجمال الظاهري مؤقت وزائل.

أمثال ٣١: ٣٠

- الجمال الذي يهم الله أكثر هو الذي ينبع من روحي وإنساني الداخلي.

١صموئيل ١٦: ٧؛ ١تيموثاوس ٢:٩؛ ١بطرس ٣: ٣-٥

الأكذوبة

١٢. يجب ألا أعيش برغبات غير مُشبَعة

الحق

- سأظل دائمًا لديّ رغبات غير مُشبَعة في هذه الحياة.

رومية ٨: ٢٣، ٢٥؛ أفسس ٣: ١١؛ عبرانيين ١١: ١٣-١٦

- أعمق احتياجات قلبي لا يمكن أن تُشبَع بواسطة أي شخص أو شيء مخلوق.

مزمور ١٦: ١١؛ ٧٣: ٢٥

- إذا قبلتها، فهذه الرغبات غير المُشبعة سوف تزيد من أشواقي لله وللسماء.

تثنية ٨: ٣؛ مزمور ٣٤: ٨-١٠؛ فيلبي ٣: ٢٠-٤: ١

تطبيقات عملية

١- وافقي الله

ما هي الأكاذيب التي صدقتيها عن نفسك؟

٢- تحملي المسؤولية

كيف ظهر تصديقك هذه الأكاذيب في أسلوب حياتك (علي سبيل المثال: سلوكياتك، وتصرفاتك)؟

٣- أعلني الحق

اقرأي بصوت مرتفع كل جزء من الحق الوارد في الصفحة السابقة. أي من هذه الأجزاء من الحق بالتحديد تحتاجين أن تتمسكي به في الوقت الحالي؟

جددي ذهنك (تفكيرِك) بكلمة الله. اقرأي الفقرات التالية بصوت مرتفع. ماذا تعلن لكِ هذه الأعداد عن كيفية رؤية الله لكِ؟

مزمور ١٣٩: ١٣-١٨

أفسس ١ : ٣-٨

رومية ٥: ٦-٨

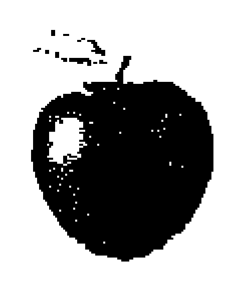
رومية ٨: ١-٢، ١٣، ١٥-١٧

٤- تصرفي طبقًا للحق.

مـا هي الخطوة (أو الخطوات) المحددة التي تحتاجيـن أن تتخذيها لتتوافق حياتك مع الحق الذي عرفتيه عن نفسك؟

٥- اطلبي من الله أن يساعدك للسلوك في الحق.

أيها الآب، أشكرك لاشتياقك إلى علاقة معي عندما كنت ضالة عنك رافضة لمحبتك. أنا أعلم أنه بالانفصال عنك، لا يوجد شيء صالح فيّ. أشكرك لأنك لم تيأس مني. أشكرك لأنك تحبني، محبة بلا حدود أو شروط. أشكرك لأنك بذلت ابنك ليأخذ عقوبة خطيتي وليموت بدلاً عني. أشكرك لأنك اخترتني لأكون من بناتك ومن خاصتك الغالية. أشكرك لأنك أرسلت روحك القدوس ليسكن فيَّ، ولأنك جعلت جسدي هيكلاً لك. أشكرك لأنك وعدت أن تغيّرني وتجعلني أشابه الرب يسوع. أعنّي لكي أتجاوب معك في هذا الأمر. من فضلك أنشئ فيَّ جمالاً هو قلب وشخصية وتجاوب الرب يسوع. في اسمه أصلي. آمين.



الفصل الرابع

أكاذيب تصدقها المرأة

... عن الخطية

مذكراتي العزيزة،

مرَّت ستة أشهر منذ أن غادرت جنة عدن، أتمنى لو استطعنا أن نضع كل ما حدث وراء ظهورنا. آدم ما يزال يلومني عن كل هذه الفوضى التي حدثت. أعرف أنه كان ينبغي ألا أستمع إلى الحية، لكن آدم كان هناك معي؛ لماذا لم يفعل شيئًا؟ ألم يأكل هو أيضًا من الثمرة؟

في ذلك الوقت، بالأمانة، لم أفكر أن هذا الأمر كان شيئًا كبيرًا. والآن، أشعر بغمر من الشعور بالذنب - كيف أسأت هكذا إلى الله بعد كل ما فعله هو من أجلنا؟ تُرى هل يمكن أن تكون لنا مرة أخرى ذات العلاقة التي كانت لنا من قبل؟ كلما أردتُ أن أتكلم إليه، أشعر وكأنه يوجد حائط هائل بيننا.

شيء واحد لم أضعه في الحسبان: كيف سيكون الأمر غير طبيعي أن أطيع الله بعد أن

أكلـــت من هذه الثمرة. فمثلاً ... حتى ذلك اليوم، كنتُ كلما أحسســـتُ بالجوع آكل، وإذا شـــعرت بالشـــبع أتوقف. الآن لديَّ هذا الإحساس القوي للطعام دائمًا - وإذا بدأت آكل، لا أستطيع أن أتوقف، حتى عندما أعرف أنني يجب أن أتوقف.

هذه ليســـت المنطقة الوحيدة التي لا أستطيع التحكم فيها، فلساني يسبِّب لي مشكلات كثيرة، خاصة في أيام مثل الأمس - كان هذا اليوم من الشهر، وكنت أشعر أنني لست على ما يرام. ووجدت نفســـي أعنِّف آدم على أمورٍ صغيرة. أكره أن أتصرف هكذا. لا أحب أن أكون متقلبة المزاج، لكني أحيانًا أشعر وكأنني لا أعرف ماذا أفعل.

عندما اســتحضرت عائلة روميروس "ســالي" لتربيتها في البيت، كان طولها ثلاثين ســنتيمتر، وبعــد ثمانية أعوام، كبرت ليصل طولها ثلاثة أمتــار ونصف، وكانت تزن ٣٦ كيلوجرامًــا. ثــم فــي ٢٠ يوليــو ١٩٩٣، "ســالي" وهي أفعــى من "بورمــا"، هاجمت "ديرك" الذي كان يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا، ظلت تخنقه حتى أماتته.

فــي لحظة مميتة، هــذا المخلوق الذي كان يبدو طيِّعًا وســهل الانقياد وغير مؤذٍ ظهر فجــأة كوحش قاتل. هذا الحيــوان "المنزلي" الذي اســتحضرته العائلة بلا ارتياب إلى المنــزل، واهتمــت بــه وأطعمته؛ انقلــب عليهم وأثبت أنــه مُهلك. إلى حد مــا، لم يكن مــن المفــروض أن يندهش أحد لتغير الأحداث؛ ففــي النهاية، هذه الأفعي فعلت ما كان طبيعيًا أن تفعل وليس غير ذلك.

هكذا الحال مع الخطية. برغم أنها تُســلِّينا، وتلعب معنا، وتعيش معنا، وتُلهينا؛ فطبيعتها لا تتغير أبدًا. ومن المحتَّم، أنها دائمًا تنتفض لتعُض وتفترس هؤلاء الذين يصادقونها.

كل التضليل قاتل ومميت. لكن ليست هناك أكاذيب أكثر إماتة من تلك التي يقولها لنا الشيطان عن الله وعن الخطية. فالشيطان يحاول أن يقنعنا أن الله ليس كما يقول هو عن نفســه، وأن الخطية ليســت تمامًا كما يقول الله عنها. ويرســم صورة ينقص بها كل مــن صورة الله الحقيقية، والخطيــة الخاطئة. فهو يحاول أن يجعل الله يبدو وكأنه ليس

كاملاً تمامًا، والخطية تبدو وكأنها ليست شرًّا حقيقيًا.

لقد استطاعت التكنولوجيا الحديثة أن تحسِّن من الصور الفوتوغرافية بطرق مثيرة حتى أن الصور الأكثر قُبحًا يمكن أن تبدو جميلة. هذا ما يفعله الشيطان تمامًا مع الخطية؛ فهو بمهارة يحسِّن الصورة ليجعل شيئًا بشعًا ومشوَّهًا يبدو وكأنه عمل من الجمال والفن.

لكن تغطية الخطية بثياب مزخرفة لن يغير جوهر طبيعتها. مثل هذه الأفعي التي بدت في غاية البراءة والهدوء، تأتي لحظة عندما تنكشف طبيعتها الحقيقية المميتة.

استخدم الشيطان الخداع في الجنة ليبدأ حالة التمرد الذي تحول في النهاية إلى كُلفة باهظة لم تخطر ببال أحد. والأكاذيب التي يخدعنا بها اليوم هي في طبيعتها وجوهرها كتلك التي خدع بها المرأة الأولى.

١٣. "يمكنني أن أخطئ دون أن أقع تحت عقوبة"

ربما تكون هذه هي الأكذوبة الأساسية التي يخدعنا بها الشيطان عن الخطية. قال الله لآدم: «وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ». كانت الوصية واضحة تمامًا: «لاَ تَأْكُلْ». والعاقبة لعدم الطاعة كانت أيضًا واضحة تمامًا: «مَوْتًا تَمُوتُ».

بعد أن أثار الشيطان تساؤلاً في ذهن حواء عن صلاح الله في إعطائه مثل هذا الأمر، وما إذا كان الله بالفعل له الحق للتحكم في حياتها، شرع يتحدى العاقبة. قام بذلك عن طريق شن هجوم مباشر وصريح على كلمة الله: «فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتَا!» (تكوين ٣: ٤). ثلاث مرات في مزمور ١٠ يوضِّح الكاتب أن السبب في أن الناس لا تطيع الله أنهم يعتقدون أنه لن تكون هناك عواقب:

قَالَ فِي قَلْبِهِ: لاَ أَتَزَعْزَعُ، مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ بِلاَ سُوءٍ... قَالَ فِي قَلْبِهِ: إِنَّ اللهَ قَدْ نَسِيَ. حَجَبَ وَجْهَهُ. لاَ يَرَى إِلَى الأَبَدِ... لِمَاذَا أَهَانَ الشِّرِّيرُ اللهَ؟ لِمَاذَا قَالَ فِي قَلْبِهِ: لاَ تُطَالِبُ؟

مزمور ١٠: ٦، ١١، ١٣

جعلنا العدو نصدق أنه:

- "لن تكون هناك عقوبة على خطيتي".
- "لن أحصد ما زرعت".
- "اختياراتي التي أختارها اليوم لن يكون لها عواقب".
- "يمكنني أن ألعب بالنار ولا أحترق".

وكما هو الحال مع كثير من الأكاذيب الأخرى، نحن نشعر أننا لا نؤمن بهذه الأشياء - بل ربما نرفض ذهنيًا هذا النوع من التفكير. لكن عندما نختار أن نخطئ، فهذا ما يثبت، لأننا نظن أننا نستطيع أن ننجو من العقاب. لذلك فنحن نختار أن نتناول قطعة حلوى ثانية برغم أننا امتلأنا جدًا - لا نتوقف ونفكر أنه:

- في غضون ساعات قليلة سنشعر بانتفاخ وآلام في المعدة،
- في الغد عندما نقف فوق الميزان سنلوم أنفسنا بسبب استسلامنا،
- مجموعة من اختيارات مثل هذه قد تقود إلى زيادة مفرطة في الوزن، وستنتج نوعًا من الشعور بالذنب والتوتر والاكتئاب،

- الإفراط في الأكل سيقود حتمًا إلى حموضة في المعدة، أو أمراض السكر، أو جلطة، أو أزمة قلبية،
- عدم التحفظ في واحدة من نواحي حياتنا سيجعلنا أكثر عُرضة لعدم ضبط النفس في أمور أخرى، أكثر أهمية وخطورة،
- التساهل الذي نبرر به تصرفاتنا سوف يُنتج في أولادنا حصادًا من التساهل المفرط في كل شيء.

نحن نسلَي أنفسنا بقراءات، وأفلام، وبرامج تليفزيونية، وموسيقى تعكس فلسفات العالم وتبرر النجاسات، وعدم الاحتشام، والسلوكيات غير الأخلاقية، دون أن نتوقف أبدًا ونفكر أننا بفِعلنا لهذه الأشياء، فنحن...

- نُفقد ضمائرنا حساسيتها وننشِئ داخلنا قبولاً للخطية.
- نفتح شهيتنا أكثر للخطية ونقلل جوعنا إلى القداسة.
- نقيم حاجزًا في علاقتنا مع الله.
- نبرمج عقولنا لتفكِّر بطريقة العالم (والكيفية التي نفكر بها سوف تحدد في النهاية الطريقة التي نعيش بها).
- نزيد من احتمال أننا سوف نتصرف بالفعل وفقًا للأشياء التي نراها أو نسمعها.
- تتكون لدينا نظرة مخالفة للكتاب المقدس عن الجنس ربما في النهاية تسلبنا طهارتنا أو تحطم علاقاتنا الزوجية.
- نزيد من احتمال أن أولادنا وأحفادنا سيكونون دنسين وبلا أخلاقيات.

نحن نختار أن نحتفظ بضغينة ضد مَنْ ظلمنا، متناسين حقيقة أنه آجلاً أو عاجلاً، فهذه المرارة سوف:

- تحطم قدرتنا على التفكير المنطقي السليم.
- تجعلنا تعساء وغير مستقرين عاطفيًا.

- تؤثر على أجسادنا في شكل تعب مزمن، أو فقدان النشاط، أو صداع، أو شد عضلي، أو اضطرابات معوية.
- تمنعنا من أن نكون قادرين على اختبار غفران الله لخطايانا.
- تجعل من الصعب أن يتعايش الآخرون معنا وتجعلهم غير راغبين في التواجد بالقرب منا.

نحن نسـمح لأنفسـنا أن نقترب من رجل لطيف، رقيق المشاعر في مجال العمل، أو من شخص ما نتقابل معه في غرفة دردشة، رافضين أن ندع أنفسنا نصدق أننا:

- نزرع بذور الخيانة في عقولنا وعواطفنا.
- نجعل من المستحيل أن يرضينا أزواجنا، لأن الحقيقة لا يمكن أن تضاهي الخيال.
- ربما ننتهي إلى تحطيم زواجه وزواجنا تمامًا.
- ربما نحطم حياة أولادنا تمامًا.
- حتى إذا لم نرتكب زنًا معه، فإننا نُعِدّ أنفسنا لفشل أخلاقي في المستقبل.
- ربما ننتهي إلى أن نصبح بعيدين عن أزواجنا، وأولادنا، وأقربائنا، وعن إلهنا.

لا بد أن نُذكِّر أنفسنا أن الشيطان كذاب. الأشياء التي يدعوها الله "خطية" يقول لنا إنها:

لهو	آمنة	ليست بهذه الأهمية
تشبع احتياجاتنا	بريئة	لا يمكن تجنبها
مرغوبة		

- الحق هو أن الخطية خطيرة، ومميتة، ومهلكة.
- الحق هو أننا سنحصد ما نزرع.
- الحق هو أن كل اختيار نختاره اليوم سيكون له عواقب.
- الحق هو أننا إذا كنا نلعب بالنار فسنحترق.

- الحق هو أن «الْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا» (يعقوب ١: ١٥).

مما يؤسف له، فالغالبية ببساطة لا يربطون بين اختياراتهم الطبيعية الجسدية، وبين العواقب في حياتهم، وزواجهم، وأولادهم، وصحتهم، وعلاقاتهم مع الله ومع الآخرين.

مباهج الخطية

خداع الشيطان يذهب خطوة أبعد من قوله إننا يمكن أن نهرب من عواقب الخطية. ففي الجنة، اقترح على حواء: "ليس فقط أنكِ يمكن أن تعصي الله وتتجنبي العواقب السلبية، لكن يوجد أيضًا فوائد مؤكَّدة سوف تختبرينها إذا أكلتِ هذه الثمرة".

بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ

تكوين ٣: ٥

كان يقول، في الواقع، أنه مهما كانت العواقب التي يمكن أن تجنيها فالمتعة والفوائد التي ستكون لكِ من الحصول عليها "على طريقتك الخاصة" تستحق. لقد صدّقته حواء، ونحن أيضًا. ففي النهاية إذا اعتقدنا أنه لا يوجد بعض المتعة والفرح من فعل الخطية، فلماذا نختار أن نخطئ؟

البعض يفكر أن الشيطان محق من جهة النتائج "الإيجابية" للخطية. فبحسب عبرانيين ١١: ٢٥، الخطية تصاحبها متعة بالفعل – لوقت قصير. لكنها في النهاية، تكلِّف ثمنًا باهظًا مدمِّرًا. ولا توجد استثناءات.

لي صديق يحتفظ في "محفظة" جيبه بقائمة من عواقب الخطية - عواقب مثل هذه:

- الخطية تسلب الفرح (مزمور ٥١ : ١٢).
- الخطية تنزع الثقة (١يوحنا ٣: ١٩-٢١).
- الخطية تنتج الشعور بالذنب (مزمور ٥١: ٣).
- الخطية تعطي الشيطان سلطة (٢كورنثوس ٢: ٩-١١).
- الخطية تُحزن روح الله (١تسالونيكي٥: ١٩).
- الخطية تسبب تلف الجسد (مزمور ٣١: ١٠؛٣٨: ١-١١).
- الخطية تسبب ألمًا في النفس (مزمور ٣٢: ٣-٤).
- الخطية تكسر قلب الله (أفسس ٤: ٣٠).
- الخطية تفتح الباب لخطايا أخرى (إشعياء ٣٠: ١).
- الخطية تفسد الألفة والصداقة مع الله (إشعياء ٥٩: ١-٢).
- الخطية تُنشئ خوفًا (أمثال ٢٨: ١).
- الخطية تجعلني عبدًا لها (يوحنا ٨: ٣٤؛ رومية ٦: ١٦).

كان صديقي إذا انغوي بعدم طاعة الله في بعض الأمور، يُخرج هذه القائمة ويقرأها، ويسأل نفسه: "هل أريد بالفعل أن أدفع هذا الثمن؟ وهل أقدر بالفعل أن أدفع هذه التكلفة؟".

في بعض الأحيان، لا تُرى عواقب خطيتنا لبضعة شهور أو سنين على مرمى الطريق، وأحيانًا لا تظهر حتى الجيل اللاحق، وبعض العواقب ستتأخر إلى أن نقف أمام الله عند كرسي المحاسبة. ولهذا السبب نستمر في عناد بتفكير أحمق أننا بطريقة ما خططنا للهروب من عواقب خطيتنا. كما نقرأ في سفر الجامعة: «لأَنَّ الْقَضَاءَ عَلَى الْعَمَلِ الرَّدِيءِ لاَ يُجْرَى سَرِيعًا، فَلِذلِكَ قَدِ امْتَلأَ قَلْبُ بَنِي الْبَشَرِ فِيهِمْ لِفَعْلِ الشَّرِّ» (٨: ١١).

وأحد أغراض الله في تأجيل العقاب الإلهي أن يعطينا الوقت للتوبة. «لكِنَّهُ يَتَأَنَّى

عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ» (٢بطرس ٣: ٩). ومع ذلك، فيوم حساب الوكالة سوف يأتي. وعندما يأتي، فكل ابن لله سيتمنى بكل قلبه لو أنه كان قد اختار طريق الطاعة.

بعد سنين من اللعب بالخطية والاستمتاع بـ"ملذاتها"، وصل الملك سليمان أخيرًا (وكان متأخرًا جدًا) إلى الاقتناع بأن:

اَلْخَاطِئُ وَإِنْ عَمِلَ شَرًّا مِئَةَ مَرَّةٍ وَطَالَتْ أَيَّامُهُ، إِلاَّ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ يَكُونُ خَيْرٌ لِلْمُتَّقِينَ اللهَ الَّذِينَ يَخَافُونَ قُدَّامَهُ... فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ... لأَنَّ اللهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَلٍ إِلَى الدَّيْنُونَةِ، عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ

جامعة ٨: ١٢؛ ١٢: ١٣-١٤

١٤. "خطيتي ليست بهذه الرداءة"

هـذه الأكذوبـة والأكذوبة التالية – "الله لا يقدر أن يغفر ما فعلته" – هما على طرفي النقيض. وإذا لم يستطع العدو أن يجعلنا نصدِّق الواحدة، فسيجعلنا نصدق الأخرى. وكلتاهما مضللة بنفس المقدار وتقود إلى العبودية.

اللائي تربينَ منا في بيوت مسيحية أو في الكنيسة وتعلمن كيف "يتصرفن حسنًا" هن أكثر عرضة لهذا التضليل. بعض منا لا يخطر ببالهن أن يكنّ عاهرات أو يمارسن الإجهاض، أو يعشن حياة المثلية الجنسية، ولا نفكر في استعمال لغة بذيئة أو في اختلاس أموال من صاحب العمل أو أن نطلّق أزواجنا.

بالمقارنة مع أولئك اللائي يقترفن هذه الأنواع من الخطايا "الخطيرة"، من السهل أن نشعر أننا لسنا بهذه الرداءة. فخطايا مثل: تضييع الوقت، الخوف على أنفسنا، الثرثرة، الأكل أو الشرب بإفراط، اللسان اللاذع، الروح الناقدة، الإسراف، الخوف، القلق، الدوافع الأنانية، أو التذمر؛ لا تبدو جميعها بهذه الضخامة - بل ربما لا نعتبرها حتى خطايا على الإطلاق - مفضلين أن نفكر بها على أنها ضعفات، صراعات، أو هي من عيوب الشخصية.

كان من السهل أن تنظر حواء إلى خطيتها بذات الطريقة. فهي في النهاية، لم تترك زوجها، لم تَسُب الله ولا أنكرت وجوده. كل ما فعلته، عندما تفكرين بها، كان أَخْذَها قضمة واحدة من شيء قال الله لها أن لا تأكل منه. فما هي المشكلة الكبرى هنا؟ المشكلة الكبرى كانت أن الله قال: "لا تفعلي"، وحواء قالت "سأفعل".

هذا التصرف البسيط الواحد: الأكل من شيء قال الله إنه خارج الحدود، نتجت عنه عواقب وخيمة - في جسدها، وعقلها، وإرادتها، وعواطفها، وعلاقتها مع الله، وعلاقتها الزوجية. هذه الخطية الواحدة "الصغيرة" كان لها الأثر على زوجها أن يخطئ، الأمر الذي نتج عنه غوص كل الجنس البشري في الخطية. مثل الحجر الذي يرُمى في البركة، هذه التموجات التي سببتها الخطية ما زالت مستمرة يومًا بعد يوم.

آه لو كنا فقط نرى أن كل خطية بمفردها هي مسألة خطيرة، وأنها فعل تمرد وعصيان وخيانة عظمى ذات تأثيرات واسعة المدى، وأن كل مرة نختار طريقنا بدلاً من طريق الله، نحن نتمرد على إله وملك الكون!

كما قال جون بانيان، "ثقب واحد يغرق السفينة، وخطية واحدة ستهلك الخاطي". أو كما يقول بانيان العصر الحديث، جيرمي تيلور: "لا توجد خطية صغيرة. ليست حبة الرمل صغيرة في آلية ماكينة الساعة".

أسكن في منزل جوانبه من الخارج بيضاء - على الأقل تبدو بيضاء في معظم أوقات السنة. لكن عندما يتساقط الثلج في الشتاء، فجأة يبدو منزلي داكنًا ويميل إلى الاصفرار. ما قد يبدو "نظيفًا" عندما نقارن أنفسنا بخطاة آخرين، يأخذ شكلاً مختلفًا تمامًا عندما يُرى بالقرب من قداسة الله الكاملة.

الطريق لنرى الحق من جهة الخطية هو أن ننظر إليها في ضوء مَنْ هو الله. عندما نحدّق النظر ونتفرس في جمال وإشراق قداسته التي لا يبهت بريقها، سنصبح بالفعل أكثر إدراكًا لبشاعة خطيتنا.

عُرف البيوريتانيون في القرن السابع عشر والثامن عشر بالتزامهم بالقداسة والطاعة. ومن حيث المظهر الخارجي، لم يوجد إلا القليل جدًا مما يمكن أن يُقال إنه خطأ. الغالبية لا يعتبرونهم خطاة. لكن عندما نقرأ كتاباتهم، نكتشف أنهم كانوا يعتقدون في أنفسهم أنهم خطاة بالفعل. لأنهم ساروا في شركة قريبة مع الله، تنبّهت حواسهم للرعب من خطيتهم، مهما بدت تافهة للآخرين، هذه القدرة على الرؤية الصحيحة تتضح في نوعية الصلاة التي كانوا يصلونها:

اكشف لي عن بشاعة خطيتي،

لأكرهها، أرفضها، أهرب منها...

لا تَدَعني أنسي أبدًا أن بشاعة الخطية

لا تكمن كثيرًا في طبيعة الخطية المقترَفة،

بل في عظمة الشخص المخطإ إليه[٨].

١٥. "لا يمكن أن الله يغفر ما فعلته"

كلما تحدثتُ عن موضوع الغفران، فمن المعتاد أن تقول لي إحداهن: "لا أستطيع أبدًا أن أغفر لنفسي ما فعلته". ومن المدهش، أن الكتاب المقدس لا يتكلم أبدًا عن الاحتياج لأن نغفر لأنفسنا. لكن أعتقد أن ما تقصده أولئك النسوة هو أنهن لم يقدرن أبدًا أن يشعرن بأنه قد غُفر لهن ما فعلن. لم يزلن يحملن هذا الشعور بالذنب والخزي بسبب إخفاقهن.

فبرغم معرفتهن أن الله يقدر أن يغفر لهن، لكن في أعماقهن لايصدقن أنه قد غُفر لهن فعليًا، غفرانًا كاملاً. يجدن صعوبة في قبول رحمة الله وغفرانه، ويشعرن أنه لكي يرجعن مرة أخري إلى النعمة والشركة مع الله هناك شيء آخر لا بد أن يقُمن به ليكفرن عن خطيتهن، لا بد أن يعملن "عملاً تكفيريًا" والذي ربما يجعلهن أكفاء لأن يُصلحن ما فعلنه من خطإ.

المشكلة هي أن حياة بكاملها من "الأعمال الصالحة" لا تكفي لكي نتعامل مع الإحساس بالذنب من مجرد خطية واحدة ضد إله قدوس. مثل تلك البُقع التي لا يمكن أزالتها، الخطية تُحدث بقعًا لا يمكن محوها بأي قدر من المجهودات الإنسانية. يوجد فقط "حل" واحد لعلاج الشعور بالذنب بسبب خطيتنا:

ما تُري يمحو الذنوب؟ دم ربي لا سواه.
ما يطُهر القلوب؟ دم ربي لا سواه.
ما يكفر الخطا؟ دم ربي لا سواه
لا أعمالا مِنْ تُقى دم ربي لا سواه[٩]

"خطيتي ليست بهذه الرداءة" و"الله لا يقدر أن يغفر ما فعلته" - أُعلن الحق الذي يَخص هاتين الأكذوبتين في الجلجثه. في مزمور ٨٥: ١٠، نجد وصفًا رائعًا للرب يسوع وما فعله لأجلنا على الصليب: « الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَا. الْبِرُّ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا».

هذا ما كان في الجلجثة، أن رحمة الله للخطاة ومحبته لهم- من ناحية - وبغضته المقدسة للخطية - من الناحية الأخرى - وَجَدوا مكانا للالتقاء. في الجلجثة، الله وضع على الرب يسوع كل العقاب لكل خطية العالم. وفي ذات الوقت، قدَّم سلامًا ومصالحة لكل الخطاة الذين ضلّوا عنه. يرينا الصليب بأبلغ الصور الممكنة كيف يرى الله خطيتنا، ويعلن الكُلفة الباهظة التي دفعها ليفدينا من هذه "الضعفات" التي نُقلِّل من قيمتها كلما فكرّنا فيها. والصليب يعرض بصورة رائعة وعجيبة محبة الله ورحمته حتى "لأول الخطاة".

كان وليام كوبر واحدًا من أفضل الكُتاّب الإنجليز في القرن التاسع عشر. لكنه حَمَلَ حملاً نفسيا ضخمًا واضطرابًا في سنوات عمره كشخص بالغ، عندما كان شابًا صغيرًا تعرض لحالة من الجنون، فحاول الانتحار، ووُضع في مستشفى للمجانين لمدة ثمانية عشر شهرًا. وفي أثناء هذا الحصار أنه قرأ آية من الكتاب المقدس غيَّرَت حياته تمامًا. لقد اكتشف «يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ» (رومية ٣: ٢٥).

بمجرد أن رأي الحق وَقَبلهُ بسرور، دخل وليام كوبر في علاقة شخصية مع المسيح، ونال امتياز معرفة أن خطاياه قد غُفرت. في سنوات لاحقة، عبرّ عن هذا الغفران العجيب في ترنيمة استحضرت رجاءً للخطاة التائبين لأكثر من مئتي عام. ربما رنّمتِ هذه الترنيمة مرات عديدة من قبل، توقفي ورنمي هذه الكلمات مرة أخري - بتمهل، كما لو لم تسمعيها من قبل - واستريحي وافرحي في محبة ورحمة الله المخلصة:

يوجد ينبوعْ يمتلئ دِماءْ
يشفي بغمرِهِ كلَّ الخطاةْ
دافقةٌ من جَنبِ المسيحْ
والمُثْقَلَ بالذنبِ يُريحْ

الـلـصُ تهلَّلَ أن يرى
مثلهُ أنا، ليتَ خطايايْ
في يومِه ذلـك الينبوعْ
تُمحىَ ويستُرهَا يسوعْ

يـا حملاً ذبيحًا مائتًا
حتى كنيسَتُك قريبًا
قـــوةُ دمـــاكَ ستبقى
للمجدِ إلـيـكَ سترقى

١٦. "أنا لست مسؤولة عن أفعالي وردود أفعالي"

تعبِّر "آنا روسول" (طبيبة نفسانية) عن ميولنا الطبيعية في كوننا نلوم آخرين عن تصرفاتنا:

في الثالثة كان لديَّ شعور من التناقض تجاه أشقائي،
وكان طبيعيًا أن يتبع ذلك أنني آذيتُ كل أصدقائي،
لكنني سعيدة، الآن تعلَمتُ درسًا هُنا،
كل ما أخطأته هو ذنب الآخر وليس أنا.

إذا عُدنـا إلـى جنـة عـدن، نـري بوضـوح أن هـذه واحـدة مـن أقـدم أنـواع الخداع والتضليل.

بعدما أكل أدم وحواء من الثمرة المحّرمة، أتى الله لكي يحاسبهما عما فعلاه. (هذه فكرة متكررة في طول الكتاب المقدس - أننا سنعطي حسابًا لله عن كل عمل عملناه.)

لاحظي أن الله لم يسألهما كعائلة. لم يسأل: "ماذا فعلتما (بالمثنى)؟"، ولم يسأل آدم وحواء ليفسر أحدهما تصرف الآخر. لم يسأل آدم: "ماذا فعَلَتْ حواء؟"، ولا سأل حواء: "ماذا فعل زوجك؟". لقد تحدث أولاً إلى آدم، ثم حواء، وسأل كل منهما على انفراد: "ماذا فعلت (بالمفرد)؟".

كان السؤال إلى آدم شخصيًا ومحددًا: «هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» (تكوين٣: ١١). وبالمثل فعل مع حواء: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» (ع١٣). كان الله يسأل عن اعتراف بسيط بالحقيقة.

وبينما يُفتح الحساب، اختار آدم وحواء أن يلعبا "لعبة إلقاء اللوم" بدلاً من تحمل المسؤولية الشخصية لتصرفهما. فبينما كان الله يسائل آدم: «هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ؟» كان جواب آدم: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ» (ع ١٢).
وعندما «قَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» كانت الإجابة: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ» (ع١٣).

في كلتا الحالتين، كانت إجابتهما صحيحة. كانت حواء هي المرأة التي أعطاها الله لآدم، وهي أعطت الثمرة لزوجها. والحية، في الواقع، خدعت حواء. لكن، بتحويل اللوم إلى آخر، كان آدم وحواء يحاولان تقليل مسؤوليتهما في هذا الشأن.

لم يسألهما الله ما الذي فعله "شخص آخر" ليجعلهما يخطئان، كان يسألهما لكي يتحملا مسؤولية تصرفهما الشخصي. وبغضِّ النظر عما كان له الأثر عليهما ليختارا هذا الاختيار، كان لا يزال الاختيار اختيار كل منهما.

ربما كان آدم وحواء هما الأوَّلين، لكنهما بالتأكيد ليسا الآخِرين فيما أصبح طابورًا طويلاً، غير متقطع من "محوليّ اللوم".

"اللعبة" التي بدأت في الجنة هي واحدة لعبناها جميعنا. في الواقع، نحن بالطبيعة خبيرات فيها، كما تصورها هذه الشهادات:

بسبب اللوم المستمر للآخرين، ولوم الظروف، ولوم الله؛ وجدتُ نفسي غير مسؤوله بالكلية عن حياتي، وخطيتي، واختياراتي – عندئذ وجدت نفسي في فخ، بلا عون، فاقدة التحكم.

اعتدتُ أن أصدِّق أنني عُرضة للاكتئاب بسهولة لأني كنت ضحية. وشعرتُ أن كوني مكتئبة لم يكن خطئي أنا. ولما بدأتُ أدرك أن الاكتئاب كان سببه اختياري لأن أكون غاضبة، بدأت أتحمل مسؤولية خطيتي ووجدت الحرية.

كانت لي علاقة غير مقدسة مع زميل لي في العمل. اعتمدتُ عليه في مساندتي عاطفيًا ووجدانيًا لأن زوجي كان يُخفي أسرارًا عني، ويشاهد المواد الجنسية الإباحية، ولم يكن "موجودًا" عندما احتاجه. في نظري كان تصرف زوجي هو الذي دفعني لهذه العلاقة. كنت أعطي نفسي سببًا وعذرًا أن الأمر "ليس رديئًا مقارنة بما كان يفعله".

عندما نكون غاضبين، مكتئبين، ممتلئين بالمرارة، منزعجين، غير صبورين، أو خائفين؛ تكون إجابتنا الطبيعية هي تحويل جزء – على الأقل – من المسؤولية إلى الأشخاص أو الظروف التي "جعلتنا" بهذه الطريقة.

لقد استمعتُ ربما إلى مئات من السيدات يخبرنني عن زواجهن المنهدم. وبالطبع، يصفن إساءات أزواجهن السابقين الذين حطّموا الزواج. والأمر المؤسف أنني لا أستطيع أن أتذكر مرة واحدة قالت فيها إحداهن "أنا أسهمت في هدم زواجي بما فعلته من مواقف وردود أفعال خاطئة"، أو "أخطأتُ في طلب الطلاق من زوجي".

نساء بلا حصر فسّرنَ لي الظروف التي "سبَّبت" غرقهن في الديون، والفوضى في

تناولهن الطعام، والمستوي غير الأخلاقي الذي وصلن إليه، أو قطع علاقتهن بالوالدين. نادرا جدًا كنت أسمع سيدات يتحملنَ مسؤوليات شخصية عن اختياراتهن التي خلقت كل هذه الأمور في حياتهن.

لن أنسي أبدًا يوما تَقَدمَت فيه سيدة في منتصف العمر إلى المِنبر لتقدّم شهادة في أثناء أحد مؤتمرات السيدات. قدَّمت نفسها بالقول إنها كانت تعمل في معالجة نفسية لمدة اثنين وعشرين عامًا. كانت كلماتها التالية هادفة ونافذة. في انكسار، قالت: "أريد أن أتوب أمامَك، يا إلهي، وأمامكن يا أخواتي، لأني قُدتكن إلى البعد، وكذبتُ عليكن – بعدم قولي: أنتّن مسؤولات شخصيًا وبصفة فردية عن تصرفاتكن، بغضّ النظر عما يفعله الآخرون، أنا آسفة!"

يقول لنا العدو إنه إذا قبلنا مسؤولية كاملة عن اختياراتنا سوف نتعذب من الشعور بالذنب غير اللازم.

الحق هو أنه فقط عندما نقبل مسؤولية كاملة عن تصرفاتنا ومواقفنا سنتحرر بالكامل من الشعور بالذنب، كما قالها أحد الكُتّاب:

> إن كنتِ قد أخطأتِ فأفضل خبر في هذه الحالة أنه مع الخطية، يوجد مخرج؛ يوجد إمكانية للتوبة. أنتِ لا تستطيعين أن تتوبي عن بلبلة وتشويش أو خلل نفسي أصابكِ عن طريق والديكِ وآثارها باقية للآن. لكن يمكنك التوبة عن الخطية. والتوبة عن الخطية هي الأساس الوحيد للرجاء والفرح[١٠].

١٧. "لا يمكن أن أسلك في نصرة دائمة على الخطية"

أي شخص له زمن ما في الإيمان، ربما يدرك معني الإحباط الذي تعبر عنه "هازر":

توجد خطايا كثيرة تتحكم في حياتي. كيف يمكن أن أتحرر منها؟ أشعر إنني حالة مفقود الأمل فيها. أريد بشدة أن أتخلص من هذه الخطايا، لكنها مستمرة في التحكم في جسدي. أشعر بخجل أن أتقدم إلى الله بهذه الأشياء مرة تلو الأخرى. عندما أكوّمُها جميعها معًا، يبدو الأمر أكثر استحالة. كيف أتحرر من هذه الأكذوبة؟ أريد أن أتغير.

هذه الكلمات تذكرني بتأوّه قلب الرسول بولس:

أَجِدُ النَّامُوسَ لِي حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ
الْحُسْنَى أَنَّ الشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي. فَإِنِّي
أُسَرُّ بِنَامُوسِ اللهِ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ.
وَلكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي
يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى
نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي. وَيْحِي
أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ
هذَا الْمَوْتِ؟

رومية ٧: ٢١-٢٤

أكثر من نصف عدد السيدات اللاتي أُجري عليهن البحث اعترفن أنهن صدَّقنَ الأكذوبة بأنهن غير قادرات على العيش في نصرة مستمرة على الخطية. من السهل رؤية كيف يستخدم الشيطان هذه الأكذوبة ليضع المؤمن في العبودية.

كمـا نـري في الآيات السـابقة، أن أي شـخص هو بالفعـل ابن حقيقي لله قـد أُعطِيَ طبيعة جديدة – طبيعة تشتاق أن تُطيع الله.

كل مؤمن حقيقي، في أعماقه، يريد أن يحيا حياة مُرضية لله (الشخص الذي ليس له مثل هذه الرغبة لا بد أن يسأل إذا ما كان بالفعل قد تعرف بالمسيح.)

لكن، طبقًا للكتاب المقدس، حتى بعد أن نولد ثانية، يستمر "الجسد" فينا (الميول الطبيعية) في شنٍّ حربًا ضد روح الله الساكن فينا.

الروح يقول: اغفر.
الجسد يقول: اضمر الضغينة.

الروح يقول: كن معتدلاً
الجسد يقول: كُل ما تريد، في الوقت الذي تريده.

الروح يقول: اعطِ هذا المال لشخص محتاج.
الجسد يقول: أنفق هذا المال على نفسك.

الروح يقول: اقضِ بعض الوقت في قراءة كلمة الله والصلاة.
الجسد يقول: لقد كان يومك طويلاً، استرخِ قليلاً أمام التلفاز في المساء.

الروح يقول: اضبط لسانك، ما أنت موشك أن تقوله ليس ضروريًا.
الجسد يقول: أنطق بها كما هي.

كل مرة نختار أن نستسلم للجسد، بدلاً من التسليم لروح الله، نسمح للخطية أن تسيطر علينا. ومن الناحية الأخرى، كل مرة نقول "نعم" للروح القدس، نعطيه تحكمًا أكثر في حياتنا.

عندمـا نكـرِّر الاختيارات بطاعـة الخطية بدلاً من الله، نحن نؤسـس عـادات نمطية

تكـون فـي غاية الصعوبة أن نكسـرها - نحـن نختار أن نعيـش عبيدًا للخطيـة. ولفترة، قد نجد أنفسـنا نحاول أن نفعل حسـنًا، ثم نفشـل، نحاول ثم نفشـل، نحاول ثم نفشل. وعندها يبدأ الشـيطان فـي إقناعنا أن الأمور لن تتغير أبدًا، وأننا سـنظل دائمًا عبيدًا لهذه العـادات الخاطئـة. نحن نتسـاءل: ما الفائدة؟ سـوف أقع ثانية! سـوف أُهـزَم من هذه الأشـياء بقية حياتي. وهكذا نستسـلم. ماذا حدث؟ لقد نجح الشيطان أن يقنعنا أننا لن نقـدر على الاسـتمرار في النصرة على التجربة وعلى الخطية. ومع اختلاف الأسـباب، فهذا ما حدث تمامًا مع "كريستين" و"شيرلي":

كنت أصارع مع كوني أنجذب عاطفيًا ناحية النساء بطريقة كان واضحًا لي تمامًا أنها خاطئة. وعلى قدر ما كنت أحارب هذا الأمر داخل نفسـي، كانت أفكاري تذهـب مـن رديء إلـى أردأ. اعتقدت أنني لن أقدر علـى التحكم في أفكاري. وعرفت أنني لست طاهرة أمام الله، لكنني لم استطع أن أطهّر نفسي.

❦ ❦

كنـتُ مسـتعبدة للطعـام لسـنوات طويلة، أصارع مـع هذا الأمـر كل يوم. وكنت أشعر دائمًا أن تغيير هذا الأمر أبعد من قدراتي، وأنني لن أكون أبدًا غالبة. ربما أغلب لفترة وجيزة، لكن الأكاذيب تتسلل عائدة وتحطمني.

تذكـري أن مـا نصدقه يحـدد الطريقة التي نعيش بها. فلو صدقنـا أنه لا بد أن نخطئ فسـنخطئ. وإن صدقنـا أننـا لا بـد أن نعيـش في عبودية، فسـوف يكون هكـذا. إن كنا نصدق أننا لا نقدر أن نعيش حياة الغلبة، فلن نغلب.

كان لـ"شـيرلي" شـيء واحد صحيح، مع ذلك. كانت تصدق أنه "أبعد من قدارتها أن تتغيـر". قـد يبـدو من غير المألـوف أن الإدراك هـو بالفعل خطوة عظيمـة في اتجاه اختبار الغلبة على الخطية.

الحق هو أننا، أنتِ وأنا، ليس لدينا قوة لنغيِّر أنفسنا، فالرب يسوع قال «لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يوحنا ١٥: ٥).

فماذا ينبغي أن نفعل؟ كيف نتحرر من خطايا اعتدناها؟ إنه الحق الذي يحررنا.

الحق هو، أنه من خلال عمل المسيح الكامل على الصليب، يمكن أن نعيش في نصرة على الخطية؛ فالشيطان لم يعد هو السيد، ولم نعَد نحن عبيدًا للخطية. إذا كنتِ في المسيح، فالحق هو:

إِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ صِرْتُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ...
لأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ
قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ وَالْمَوْتِ.

روميه ٦: ١٨؛ ٨: ٢

أخبار سارة للخطاة

كما رأينا، وَعَدَ الشيطان حواء أنه إذا أَكلت من الثمرة المحرمة، ستنفتح أعينهما، ستكون مثل الله، وستعرف الخير والشر.

الحق هو، أنه منذ اللحظة التي أَكَلَتْ فيها...

- أصبحت ضريرة روحيًا، غير قادرة على رؤية الحق.
- مع أنها خُلِقَت على صورة الله، هذه الصورة أُتلفت، وهي اتخذت طبيعة خاطئة؛ وأصبحت عكس الله تمامًا، مثل الظلمة التي هي عكس النور.
- حَصلت على معرفة الشر (شيء لم يقصده الله مطلقًا)، والنتيجة أن العلاقة مع الله

تحطمت، ولم تعد قادرة على صنع البر.

وبالمثل، كل رجل، أو امرأة، أو طفل عاش منذ ذلك اليوم وُلِدَ بنفس الطبيعة الساقطة: أعمى روحيًا، خاطئًا، منفصلاً عن الله، غير قادر أن يفعل أي شيء ليرضي الله. وبسبب خطيتنا، نحن جميعًا وقعنا تحت دينونة الله العادلة.

الخبر السار - الإنجيل - هو أن المسيح جاء إلى هذه الأرض، وحمل هو نفسه عقاب كل خطية حواء وخطيتنا، لذلك فكل العواقب المدمّرة لتلك الخطية يمكن أن تُبطل. من خلال حياته التي خَلَتْ من الخطية، وموته على الصليب كبديل للخاطئ، وقيامته المنتصرة؛ يمكن أن نحصل على غفران لجميع خطايانا، ومصالحة مع الله الذي أسأنا إليه، ويكون لنا القوة لنحيا حياة القداسة.

نحن لا نحصل على هذا الغفران وهذا الحق في الوقوف أمام إله قدوس عن طريق ولادتنا في بيوت مسيحية، أو نمونا في الكنيسة أو بالمعمودية والإعلان، أو بالأعمال الصالحة، أو التقدم إلى الأمام عند النداء، أو عن طريق إحساس اختبرناه، أو تلاوة صلاة، أو نشاط داخل الكنيسة. نحن لم نخلص من الخطية بإيماننا في أي شيء عملناه. الوسيلة الوحيدة للخلاص الأبدي هي وضع ثقتنا في ما عمله المسيح لأجلنا على الصليب، عندما مات بدلاً منا.

كثيرًا ما أتلقَي رسائل من سيدات يصارعن مع شكوك حول خلاصهن. بعضهن يعرفن كل "الإجابات الصحيحة"، لكن ما زلن يتعذبن من الشعور بالذنب بسبب "مشكلة الخطية" في حياتهن. في حالات كثيرة، أعتقد أن السبب أنهن لم يقُدمنّ توبة حقيقية عن خطيتهن ولم يَضَعنّ إيمانهن في المسيح وحده ليخلصهنّ. قد يكنّ متدينات، لكن لم يتبررن بعد.

ماذا عنكِ، صديقتي؟ العدو يحاول أن يُبقيكِ في عبودية الخوف، والشك، والشعور بالذنب. والله يريدك أن تسلكي في الحرية، والإيمان، ويقين الغفران. لا يهُم كم يبدو

أنـك "صالحـة"، الطريقة الوحيدة لأن تكوني كاملة في نظـر الله هي من خلال الإيمان بالمسيح. ولا يهُم كم خاطئة "عظيمة" كنت، نعمته تكفيكِ. من خلال موت المسيح، دبّر الله الشرط الوحيد المقبول لعلاج خطيتك.

إذا لم تتعاملي من قبل مع مشـكلة خطيتك بهذه الطريقة، إن كنتِ لا تعرفين أنك ابنة لله، أناشـدكِ أن تتوقفي، وتحسـمي الأمـر قبل أن تصِلِي إلى الفصـل التالي. لا تجعلي العدو يعميكِ أو يحتجزك رهينة بعد الآن. مصيرُكِ الأبدي في خطر.

اعترفي لله أنكِ أخطأتِ ضده وأنك لا تسـتطيعين أن تخلّصي نفسـك. اشكريه لأنه أرسـل الرب يسـوع ليأخذ العقوبة التي تسـتحقينها أنتِ بموته عن خطيتك. بالإيمان، ثقـي بالمسـيح ليخلّصك، واقبلي عطية الحياة مجانًا. قولـي لله إنكِ تريدين أن تبتعدي عـن خطيتـك، وأن تضعـي كل ثقتك في المسـيح وحده، وتجعليه السـيد على حياتك. الآن، اشـكريه على غفرانه لخطيتك، اشـكريه على عطية روحـه، الذي أتي ليعيش فيكِ والذي سيمّكنك لتسلكي في حياة النصرة على الخطية، عندما تلجئين إليه.

سـواء أصبحتِ ابنة لله للتوِّ، أو إذا عرفتِ الرب منذ وقت طويل، على أسـاس: أين وجدنا الله، وماذا فعل لأجلنا؛ دعونا نصلي مع البيوريتانيين القدماء...

هبني ألا أغضّ الطرف عن:
المدى البعيد لبشاعة الخطية
المدى البعيد لبر الخلاص
المدى البعيد لمجد المسيح
المدى البعيد لجمال القداسة
المدى البعيد لروعة النعمة[١١].

الأكذوبة

١٤. خطيتي ليست بهذه الرداءة

الحق

- كل فعل للخطية هو تمرد على الله

رومية ٥: ٦-٧، ١٠؛ ١يوحنا ١: ٥-١٠

- لا توجد خطية صغيرة.

أمثال ٥: ٢١؛ ٢٠: ٢٧؛ حبقوق ١: ١٣؛ رومية ٦: ٢٣، غلاطية ٥: ١٩-٢١؛ يعقوب ٥: ١٩-٢٠

الأكذوبة

١٣. يمكنني أن أخطئ دون أن أقع تحت عقوبة

الحق

- الاختيارات التي أعملها اليوم سيكون لها عواقب، وسأحصد ما زرعت.

تكوين ٣: ٤-٥؛ غلاطية ٦: ٧-٨

- متعة الخطية تدوم لفترة قصيرة.

عبرانيين ١١: ٢٥

- الخطية تكلّف ثمنًا باهظًا، بلا استثناء.

مزمور ١٠: ٦، ١١، ١٣

- إن لعبت بالنار، سأحترق، لن أهرب من عواقب خطيتي.

مزمور ٣٢: ١-٥؛ جامعة ٨: ١٢؛ ١٢: ١٣-١٤؛ يعقوب ١: ١٣-١٥

الأكذوبة

١٥. الله لا يقدر أن يغفر ما فعلت

الحق

- دم المسيح يكفي ليغطي أية، وكل، خطية فعلتها.

١يوحنا ١: ٧

- لا توجد خطية عظيمة لا يقدر الله أن يغفرها.

مز ٨٥: ١٠؛ ١٣٠: ٣-٤

- نعمة الله أعظم من أعظم خطية يقترفها أي إنسان.

رومية ٣: ٢٤-٢٥؛ ٦: ١١-١٤

الأكذوبة

١٦. أنا غير مسؤولة تمامًا عن أفعالي وردود أفعالي

- الله لا يحاسبني عن أفعال الآخرين.

تكوين ٣: ١١-١٣؛ حزقيال ١٨: ١٩-٢٢

- أنا مسؤولة عن اختياراتي.

مزمور ٥١: ١-١٠؛ فيلبي ٤: ٨-٩؛ كولوسي ٣: ١-١٧

الأكذوبة

١٧. لا أستطيع أن أسلك في نصرة دائمة على الخطية

الحق

- إذا كنتُ ابنة الله، فيجب ألا أخطئ.

رومية ٦: ١٤

- أنا لست عبدة للخطية. في المسيح قد تحررت من الخطية.

يوحنا ٨: ٣١-٣٢، ٣٦؛ ١٤: ٦؛ رومية ٦: ٦-٧؛ غلاطية ٥: ١؛ عبرانيين ١٠: ١٠

- بنعمة الله، ومن خلال عمل المسيح الكامل على الصليب، أستطيع أن أختبر الغلبة على الخطية.

يوحنا ١٥: ٥؛ ١كورنثوس ٦: ٩-١١؛ غلاطية ٢: ٢٠؛ ٥: ٢٢-٢٥

تطبيقات عملية

١- وافقي الله

ما هي الأكاذيب التي صدّقتيها عن الخطية؟

٢- تحملي المسؤولية

كيف ظهر تصديقُكِ لهذه الأكاذيب في الطريقة التي تعيشينها (مثلا: مواقفك، تصرفاتك)؟

٣- أعلني الحق

اقرأي بصوت مرتفع كلاً من أجزاء الحق في الصفحة السابقة. أيٌّ من أجزاء هذا الحق تحتاجينها بالفعل لتتمسكي بها في هذا الوقت؟

جددي ذهنكِ (تفكيرك) بكلمة الله. اقرأي الفقرات التالية بصوت مرتفع. ماذا تعلن هذه الأعداد عن طبيعة الخطية، وتأثيرها في حياتنا، وعلاج الله لخطيتنا؟

مزمور ٣٢: ١-٥

يعقوب ١: ١٣-١٥

---

١ يوحنا ١: ٥-٩

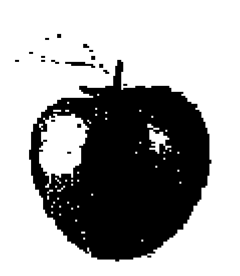
روميه ٦: ١١-١٤

٤- تصرفي طبقًا للحق.

ما هي الخطوة أو الخطوات المحددة من السلوك التي تحتاجين أن تتخذيها لتضبطي حياتك وفقا للحق الذي رأيتِه عن الخطية؟

٥- اطلبي من الله أن يساعدك للسلوك في الحق.

أيها الآب القدوس كلي القداسة، أعترف أنني كثيرًا ما أستخف بالخطية وعواقبها. أدرك أن كل خطية هي عصيان وتمرد ضدك، وهي تحزن قلبك. أشكرك لأجل دم يسوع الذي أوقف غضبك ضد خطيتي. أشكرك، أيها الرب يسوع، لأجل حَمْلك ذنب وعقوبة خطيتي، واحتسابك كل بر الله لحسابي. أرجوك سامحني لعدم إعطائي التقدير الكامل للكلفة التي تكلفتها لتعالج قضية خطيتي. أشكرك لأجل بركة الغفران الكامل وأنني أستطيع أن أقف أمامك، بلا شعور بالذنب وبلا دينونة. أشكرك لأنه من خلال قوة الصليب وسكنى الروح القدس، لن أحيا في عبودية للخطية بعد الآن، بل لقد تحررت لأحيا في طاعة لك. أحمدك لأجل وعودك أنك في يوم ستنقذ أولادك حتى من مشهد الخطية وستأخذنا إلى السماء لكي نحيا معك إلى الأبد. في اسم الرب يسوع. آمين.



الفصل الخامس

أكاذيب تصدقها المرأة

... عن الأولويات

مذكراتي العزيزة،

آهٍ! الحياة أصبحت مثل الدوامة. مضت شــهور منذ أن كان لي فرصة أن أجلس وأدوِّن أفكاري على ورق. يصعب علينا أن نجد وقتًا للتنفس هذه الأيام. الأولاد في قمة الحيوية، أشــعر أنني أصرفُ كل وقتي في تعقبهم والتنظيف خلفهم. شــيء مدهش الســرعة التي يســتطيعون بها أن يحولوا الأمور إلى فوضى! إنهم يكبرون ســريعًا، وســيرحلون بعيدًا عنا قبل أن ندرك ذلك. لا أريد أن أضيع فرصة كونهم الآن صغارًا، لنلعب معا، ونستمتع بوجودنا معًا، ونعلمهم الأشياء الهامة في الحياة.

إنه وقت الحصاد، والذي هو الأكثر ازدحامًا بالنسبة لآدم. لا نرى أحدنا الأخر كثيرًا هذه الأيام. أتمنى أن يكون لدينا وقت أكثر فقط لنجلس ونتحادث معًا؛ عنا، وعن أولادنا، ومستقبلنا.

مع كل ما يجري هنا، لم يكن لديّ الكثير من الوقت لأتمشــى وأتكلم مع الله كما اعتدت من

قبل. كانت الأمور أكثر بساطة قبل أن يكون لدينا أولاد. ساعات كل يوم لا تكفي. أرتمي في سريري منهكة بالليل، واستيقظ لأقوم بنفس الروتين في اليوم التالي... والتالي... والتالي...

لقد ألقينا نظرة على ما أعتقد أنها المناطق الثلاث الأكثر أهمية وشمولية للخداع والتضليل: ما نصدقه عن الله، ما نصدقه عن أنفسنا، وما نصدقه عن الخطية. وهذه، إلى حد بعيد، تؤثر على ما نصدقه عن كل شيء آخر. إذا كنا مضلَّلين في هذه المناطق، فهناك فرصة أعظم لأن نكون مضلَّلين في أمور أخري.

في بعض الفصول التالية، سنقوم بفحص عدد من المناطق الخاصة حيث خُدعت كثيرات من المؤمنات، بدءًا من مسألة الأولويات. رأيت لافتة معلقة في متجر صغير لبيع السلع النسائية منذ أعوام مضت تُظهر شيئًا من نتائج ذلك الخداع:

أنا امرأة

أنا لا أُقهر

أنا مُتعبة

هذا الاقتباس، المأخوذ عن "هيلين ريدي" الحائزة على جائزة "جرامي" الأولى للأغنية (إحدى كبرى الجوائز الموسيقية الأمريكية) في أوائل السبعينات، كان – مما لا شك فيه – بقصد إثارة الابتسامة. لكنها تعكس شيئًا من الصراع الذي بداخل حياة كل امرأة لتعرف كيف توازن بدقة بين المتطلبات الكثيرة والمسؤوليات التي تصاحب كل فترة من الحياة.

غالبية السيدات اللاتي أعرفهن لا يشعرن بأنهن لا يُقْهرنّ – بل على النقيض، كثيرات منهن يصارعن الشعور بعدم الكفاية وعدم الأمان. لكن غالبية النساء اللاتي أعرفهن مُتعَبات. أحيانًا يشعرن بأنهن عاجزات عن القيام بكل هذه المهام، والموازنة بين المسؤوليات المختلفة التي يتحملنها.

هــذه الإحباطـات تغذيها عــدد من الأكاذيــب زرعها العــدو، فتجمعت فــي تفكيرنا الجماعي والشخصي. أكاذيب مثل...

١٨. "ليس لديّ الوقت لأعمل كل شيء من المفترض أن أعمله"

كانت هذه الأكذوبة رقم واحد التي توافقت معها النساء اللاتي أجرينا عليهن البحث. سـبعين بالمائة من أولئك النسـوة قلنّ إنهن وجدن أنفسـهن يصدقنّ هذه الأكذوبة. لم تفاجئني هذه النتائج.

في النهاية، إذا سألتِ سيدة اليوم، "كيف حالك؟" فمن المحتمل أن يكون الرد تنهدًا أو تأوهًا يليه كلمات مثل:

- "أنا مشغولة جدًا!"
- "لدينا الكثير جدًا يجرى في عائلتنا!"
- "لا أقدر على الاستمرار في تأدية كل الواجبات".
- "أنا مستنزفة!"

فـي كثير من الأحيـان، أجـد أن النساء(النســاء المؤمنات كذلك) يشـعرن بثقل هذا الكثيـر الـذي يجب أن يقمن به في الوقـت القليل الذي لديهنّ لأدائـه. وكنتيجة لذلك، كثيرات من النساء يعشن حياة لاهثة، منهكة، مثبطة العزيمة.

من سـنوات مضت، قرأت أن معدل كفاءة المرأة اليوم يسـاوي خمسـين من الخدم يـؤدون سـاعات عملهم كاملة، في صورة أجهزة ومعـدات حديثة وموفِّرة للوقت. هذا

الرقم قد يكون، أو لا يكون، صحيحًا، لكن لنا بالتأكيد كثير من وسائل الراحة متاحة لنا، والتي لم تكن معروفة للسيدات في أجيال سابقة. تصّوري العودة للأيام حيث لم تكن غسالات للأطباق، ومايكرويف، وغسالات الملابس، وأجهزة التنشيف، أو سيارات – أو حتى عودة أكثر إلى الوراء إلى وقت لم تسمع فيه الناس عن شبكة أنابيب المياه أو الكهرباء في المنازل.

أتذكّر وأنا طفلة كنت أمُرّ في جناح في "المعرض العالمي"، الذي حاول أن يتصور "نظام الحياة في المستقبل". تكنولوجيا متطورة وأدوات الكترونية تؤدي كل أنواع الأعمال المنزلية والمهمات اليومية الشاقة، وتترك الناس في حرية للراحة والاسترخاء أو ليستخدموا وقتهم في أشياء أخرى "هامة". حسنًا، المستقبل هنا الآن. نحن نملك أجهزة وأدوات لم تكن تحلم بها أكثر العقول خيالاً وإبداعًا عندما كنت طفلة صغيرة. فلماذا حياتنا إذا أكثر إرهاقًا وتعجُّلاً من ذي قبل؟ لماذا نحن تحت وطأة هذه الضغوط؟

ربما توجد بضعة تفسيرات. ومع ذلك، فأحد هذه الأسباب هو أننا قبلنا الأكذوبة أن ليس لدينا الوقت لنعمل كل شيء من المفترض أن نعمله.

الواقع هو، أنه ليس لدينا وقت أكثر أو أقل من أي كائن بشري عاش على الإطلاق. لا أحد، بصرف النظر عن مركزه أو مسؤولياته، كان لديه أكثر من ٢٤ ساعة في اليوم، ١٦٨ ساعة في الأسبوع، ٥٢ أسبوعًا في السنة.

في الواقع، الرب يسوع نفسه أتيحت له سنوات قليلة وقصيرة على الأرض ليتمم خطة الفداء بكاملها. قائمة طويلة من "المطلوب عمله" منه يمكن أن نتكلم عنها! لكن، في نهاية حياته، استطاع أن يرفع عينيه إلى أبيه ويقول: «أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ» (يوحنا ١٧: ٤).

إننـي أجد هذا الأمر مدهشًا بالفعل. فنادرًا ما أستطيع أن أقول في نهاية اليوم إنني أكملت العمل الذي اعتزمت أن أعمله ذلك اليوم؛ بل على العكس في مرات متكررة

أرتمي في فراشي بالليل ولدي قائمة طويلة في ذهني لمهمات غير متمّمة كنت أود أن أنجزها في ذلك اليوم. كيف كان ممكنًا للرب يسوع أن يكمل العمل الخاص بحياته – خاصة في فترة قصيرة كهذه؟

في كلمات الرب يسوع نجد المفتاح – حقًا قويًا يحررنا من عبودية الاستعجال والشعور بالإحباط من كثرة ما يجب علينا أن نعمله. لاحظي أيَّ عمل أكمله الرب يسوع في ثلاثة وثلاثين سنه حين كان هنا على الأرض: «الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ»، هذا هو السر. الرب يسوع لم يكمل كل شيء أراد تلاميذه أن يعمله (بعضٌ منهم كانوا يأملون أن يقلب الحكومة الرومانيةّ!) لم يكمل كل ما أرادت الجموع أن يعمله (كان ما يزال هناك مرضى وأناس يشعرون بالوحدة وأناس يموتون). لكنه أكمل العمل الذي أعطاه الله ليعمله.

بالفعل لم أجد مطلقًا وقتًا في يوم ما بساعاته الأربع والعشرين لأعمل كل شيء في قائمة طلبات الآخرين مني. ونادرًا ما يوجد وقت لأعمل ما في قائمتي الخاصة من "المطلوب عمله". لا أستطيع أن أتقابل مع كل شخص يحتاج إلى موعد، أو أن أتصل بكل من يريد أن يتحدث، أو أن أقدِّم مشورة لكل من لديه احتياج، أو أن أعطي رأيًا في مشروع يعتقد الناس أنني مناسبة له، أو أن أقراء كل الكتب التي أحب أن أقرأها، وأقضي وقتًا أحب أن أقضيه مع أصدقائي، وأن أجعل كل حجرة في منزلي مرتبة جيدًا للضيوف الذين يقومون بزيارة غير متوقعة. إنه شيء غير ممكن واقعيًا.

يا لها من راحة أن أدرك أنه ليس من الضروري أن أؤدي كل هذه الأشياء!

الحق هو أن كل ما يجب عليَّ أن أعمله هو العمل الذي حدّده الله لي. يا لها من حرية تحققت لي عندما قبلت أن لديّ وقتًا لأعمل كل شيء على قائمة "الأعمال" التي حددها الله لي في يومي، وفي أسبوعي، وفي حياتي!

يأتي الإخفاق عندما أحاول أن أقبل مسؤوليات ليست في برنامج الله لي. وعندما أضع أنا برنامجي الخاص أو أدع الآخرين يحددون الأولويات في حياتي، بدلاً من

أن أتأنّى لأميّز ماذا يريدني الله أن أعمل، سينتهي بي الأمر إلى دفني تحت أكوام من أعمال ومهمات شاقة لم تكتمَل، أو تمتّ بغير كفاءة، أو لم أجد وقتًا لمحاولة تتميمها. وسأعيش مع الشعور بالذنب، والإحباط، والتعجل؛ بدلاً من الاستمتاع بحياة هادئة، مرتَّبة كما قصدها لي الرب.

من المهم جدًا أن نضع في أذهاننا أن قائمة الأعمال التي حددها الله لحياتي ليست هي بذاتها قائمته لحياة أي شخص آخر. قال الرب يسوع، «الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ» - ليس "العمل الذي أعطيت بطرس أو يوحنا أو أمي ليعملوه". العمل المرتَّب من الله لي لأعمل ليس هو ذات العمل المرتَّب لكِ أو لصديقاتي أو لزملائي في العمل. ما دعاكِ الله لتعمليه كأم لثلاثة أطفال لن يكون بذات "المواصفات الوظيفية" التي رتبها لزوجك، أو لشابة غير متزوجة، أو لشخص فارقه أبناؤه.

علاوة على ذلك، هناك فصول مختلفة من حياتنا، والمهمات المحدَّدة لي من الله في الأربعينات من عمري لن تكون تمامًا مثل ما أعطاني لأعمل في مرحلة الشباب أو تلك التي في قصده لي عندما أصبح امرأة متقدمة في السن.

وبالمناسبة، هناك أكذوبة أخري، لها علاقة بهذا وقد صدقتها النساء في جيلنا. من جهة، أنها عكس تلك الأكذوبة التي تقول إنه ليس لدينا الوقت الكافي لعمل كل شيء من "المفروض" أن نعمله. إنها أكذوبة "أستطيع أن أعمل كل شيء"- كل ما يؤهلني أن "أكون الزوجة والأم المثالية، وأحافظ على بيتي نظيفًا ومرتبًا، وأُعِد وَجَبَات صحية لعائلتي، وأكون فعالة في دراسة أولادي، وفي الكنيسة، وفي المجتمع، وأستمر في لياقتي البدنية، وأتابع جميع الأحداث الجارية، ويكون لي وظيفة خارج المنزل".

النسوة اللاتي، بدون وعي، يصدقّن أنهن من المفروض أن يوازِنّ بين كل هذه المهمات غالبًا ما ينتهي بهن الأمر إلى الإجهاد والغرق تحت وطأة كل هذه المتطلبات لتتميمها في أوقاتها. الحق هو، لا توجد امرأة تقدر أن تؤدي كل هذه الواجبات بفاعلية.

فآجلاً أو عاجلاً، شيء ما (أو شخص ما) سوف يعاني.

الإحباط هو الناتج الحتمي من محاولات تتميم مسؤوليات ليست في قصد الله لنا أن نحملها. الحرية، والفرح، والثمر، تأتي من السعي لتحديد أولويات الله لكل فصل من فصول الحياة، ثم البدء في تتميم تلك الأولويات، بقوة روحه، مدركين أنه قد منحنا الوقت اللازم والقدرة الكافية لنؤدّي كل شيء قد دعانا هو لكي نعمله.

الشهادات التالية تصور كيف أن أكاذيب الشيطان بالنسبة للأولويات والوقت تضعنا في عبودية وكيف أن الحق له قوة لتحريرنا:

> كنت أشعر بالذنب لعدم قدرتي على تلبية كل هذه "المتطلبات المسيحية" الحسنة. لم أشعر أبدًا أني كنت ناجحة أو أنني أفعل أي شيء حسنًا. يا للراحة التي شعرت بها حين علمت أن "هناك وقتًا كافيًا لأعمل كل شيء يريدني الله أن أعمله". في أيام كثيرة عندما كنت أشعر بالتوتر، أكرِّر هذا الحق مرة تلو الأخرى. مجرد النطق بالحق يجعلني هادئة. الآن لا تبدو الأيام وكأنها تطير بسرعة، وأستطيع أن أعيش "هذه اللحظة" وليس "حسب الساعة".

> لقد صدقت الأكذوبة أنه ليس لدي الوقت لأنجز كل شيء. لم أتمم مسؤولياتي بكفاءة، وكنت أشعر باليأس وخيبة الأمل لأن منزلي كان دائمًا غير مرتب وأولادي لا يتصرفون حسنًا.
>
> وعندما أدركت أن لديَّ الوقت الكافي لأعمل ما أعطاني الله أن أعمل، كان لا بد أن أعترف أنني كنت أحاول أن أعمل أشياء لم يطلبها الله مني. لقد بدأتُ عملية استبعاد أشياء من حياتي عند اكتشافي ما لا ينفع وإيجاد أشياء أفوِّض فيها آخرين. كذلك بدأت أتعلم كيف أتواصل مع زوجي

لكي يعفيني من أشياء لا يهتم بها ولأعرف بوضوح الأشياء التي تعنيه. هذه ليست عملية سهلة، لكنني قمت بتبسيط بعض الأشياء حتى الآن، وأرجو أن أحصل على القوة الكافية لأكمل، إلى أن تنتظم حياتي وأصبح حرة لأعمل ما أعطاني الله لأعمل. وهذا سيحدث فقط بإرشاد ونعمة الرب

∞ ∞

صدّقت أنه كان عليّ أن أخدم كلما كانت الكنيسة في احتياج إليّ. إذا رأيتُ شيئًا يحتاج إلى القيام به، كان لا بد أن أقوم به. وكنتيجة لذلك، كنت مُجهدة فوق الطاقة - تأدية المهام في الكنيسة كانت تقريبًا كل يوم من أيام الأسبوع. كنت أعمل كل شيء لأنني "يجب" عليّ أن أعمله لا لأنني أريد أن أعمله. لم أقدر على طلب مساعدة لأني لن أسأل أحدًا ليؤدي عملاً بنفس الصعوبة كما كنت أفعل أنا. شعرت أني كنت "الوحيدة" القادرة على أداء كل الأشياء التي قُمت بها.

وبعد أن دُمِرت صحتي أخيرًا، استطاع أحد الخدام أن يساعدني لأرى أنه لم يكن لزامًا عليّ أن أعمل كل شيء - فقط الأشياء التي أعطاني الآب السماوي لأعمل. ظللت أقوم ببعض النشاطات، لكن فقط تلك التي أعرف أن الله يريدني أن أعمل. لقد تعلمت أن أقول "لا" عندما أعرف أنه ليس شيئًا دعاني الله لكي أعمل.

لم يكن من كل الأشياء التي كنت أعملها شيء رديء - فقط لم تكن تلك هي التي أرادني الله أن أعملها. وبقيامي بهذه الأعمال، كنت أضيّق الخناق على ما دعاني الله لأعمله ولأكونه. لقد حررني الله من عبودية المشغولية ليجعلني بالفعل خادمة له. لم أعد أنتظر فرصًا لكي أخدم، بل أنتظر الله كخادمة له، مستعدة للذهاب حيثما تكون مشيئته.

١٩. "يمكنني أن أمارس أمور حياتي بدون وقت ثابت لقراءة الكلمة والصلاة"

هـذه الأكذوبـة، على العكس مـن تلك التي تحدثنـا عنها قبل قليـل، يمكن أن ينطق بها أقلية من المؤمنات جهارًا. ومع ذلك فما يقرب من ٤٨٪ من النسـاء اللاتي شـاركن فـي البحـث اعترفن بأنهن قد صدَّقن هـذه الأكذوبة. في الواقع، هـذه الأكذوبة بالذات صُنِّفَت رقم أربعة في تكرارها.

جوهر خداع الشيطان هو أننا نقدر أن نعيش حياتنا بدون الاعتماد على الله. فالعدو لا يهمـه إذا كنـا "نؤمـن" بوجود الله، أو إن كنا قويمي العقيـدة، أو إذا كنا نملأ برنامجنا الزمني بالكثير من "النشـاطات المسيحية"؛ ما دام يقدر أن يجعلنا نستمر بقوتنا الذاتية، بدلاً من العيش باعتمادية واعية على قوة الروح القدس.

إذا اسـتطاع إقناعنـا بمحاولـة أن "نحيا الحياة المسـيحية" دون الالتـزام بعلاقة حبيّة وثيقة مع الرب يسـوع؛ فهو يعرف أننا سـنكون ضعفاء ومهزومين روحيًا. وإذا استطاع جعلنا نقوم بعمل أشياء كثيرة وعظيمة "من أجل الله" بدون البحث اليقظ عن إرادة الله، من خلال كلمته والصلاة، فسـوف نُثير الكثير من الأتربة الدينية، لكننا لن نحدث ضررًا حقيقيًـا لمملكة الشـيطان. وإذا اسـتطاع أن يجعلنا ندير حياتنا وفقًـا لأفكارنا وخططنا، بـدلاً من طلـب الحكمة التي من عنـد الله، هو يعـرف أننا في النهاية سـننزلق إلى طرق التفكير العالمية المهلكة.

تشاركنا "إيفيت" التأثير الفعلي الذي أحدثته هذه الأكذوبة في حياتها:

عندمـا أصرف وقتًا في الكلمـة والصلاة، أجد حياتي اليومية تنسـاب في

هـدوء – حتـى مع وجود ثلاثـة أطفال تحت سـن الخامسـة. لكنني بعد ذلـك أصبـح راضية عن نفسـي وأفكر أني امرأة رائعة، ثـم أتوقف عن أن أجعل كلمة الله والصلاة من الأولويات. وقبل أن أنتبه، تكون حياتي في تشويش كامل. أصرخ في أولادي حتى أوشك على إيذائهم، محاولةً أن أعـرف كيف وصلـت لأكون هكذا. ماذا أفعل لكـي أصلح الأمر؟ بكل أسـف، بعـد فتـرة أدرك أنني لا أقـدر – وأننـي احتاج إلى اللـه! أكاذيب الشيطان تزحف بمكر، وإذا لم أكن في الكلمة، سأبدأ في تصديقها.

يعـرف الشـيطان أنه إذا نجح فـي أن يجعلنا نعيش غير معتمدين على كلمة الله، فسـوف نصبـح عرضة للسـقوط فـي خداعه في كل منطقة في حياتنا. سـت مرات فـي العهد القديم نعرف أن داود "سأل الرب" (١صموئيل ٢٣: ٢، ٤؛ ٣٠: ٨؛ ٢صموئيل ٢: ١؛ ٥: ١٩، ٢٣). لقد عَرَفَ أنه لا شيء بالانفصال عن الله، فهو لا يستطيع الحياة بدون الرب. في الواقع، كان أول شيء يفعله كل صباح – قبل أن يتجه إلى الاهتمام اليومي – أن يوجه قلبه نحو الرب في صلاة:

يَا رَبُّ، بِالْغَدَاةِ (في الصباح الباكر) تَسْمَعُ صَوْتِي. بِالْغَدَاةِ أُوَجِّهُ صَلاَتِي نَحْوَكَ وَأَنْتَظِرُ.

تَقَدَّمْتُ فِي الصُّبْحِ (سبقت الفجر) وَصَرَخْتُ. كَلاَمَكَ انْتَظَرْتُ.

مزمور ٥: ٣؛ ١١٩: ١٤٧

أعرف القيمة العظمى والأهمية القصوى لقضاء وقت بمفردي مع الله في كلمته وفي

الصلاة كل يوم - حتى إني كتبت كتابًا في هذا الموضوع، لكني أحيانًا كثيرة جدًا أجد نفسي انتبه إلى تفاصيل اليوم وواجباته المفروضة دون أن آخذ وقتًا كافيًا لكي "أسأل الرب".

عندما أفعل ذلك، كأنني أقول (مع أنني لم أنطقها أبدًا) إني أستطيع أن أدبِّر هذا اليوم بنفسي، بالانفصال عن محضر الله، وحكمته، ونعمته. أنا أقول إنني أستطيع أن أقوم بعملي، أرتب منزلي، أدبر علاقاتي، وأعالج كل ظروفي، بدونه. هذه الروح الاستقلالية، المكتفية بذاتها، هي تعبيرعن الكبرياء. والكتاب المقدس يعلمنا أنه «يُقَاوِمُ اللهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ» (يعقوب ٤: ٦). إذا سلكتُ بالكبرياء، لا بد أن أستعد لمقاومة الله لي ولكل مجهوداتي.

أحيانًا يكون لديَّ شعور وكأن الله يقول لي: "هل تريدين أن تقومي بمسؤوليات هذا اليوم بمفردك؟ هيا تقدمي". والنتيجة؟ في أفضل الأحوال، سيكون يومًا فارغًا، بلا ثمر، عشته بنفسي ولنفسي. وفي أسوأ الأحوال، ويا للمأساة، أية فوضى سأنتهي إليها في تأدية جميع المتطلبات!

من الجانب الآخر، «وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً». عندما أبدا يومي باتضاع، مدركةً أنني لا أقدر أن أقوم بأي شيء بمفردي، وأنني أحتاج إليه، أستطيع أن أتكل على قدرته الإلهيه لتحملني طول اليوم.

الحق هو: أنه بعيدًا عن "الثبات فيه" - أي العيش في اتحاد واعٍ ثابت ومستمر معه والاتكال عليه - لن أقدر أن أفعل أي شيء له قيمة روحية وأبدية. نعم، أستطيع أن أبتدع نشاطات كثيرة، وأن أتخذ الكثير من القرارات؛ لكني سأنتهي إلى عدم الحصول على أية قيمة حقيقية تظهر في حياتي.

الحق هو: أنه من المستحيل بالنسبة لي أن أكون المرأة التي يريدني هو أن أكون بدون أن أصرف وقتًا منتظمًا ثابتًا في السعي إلى بناء علاقة معه، من خلال كلمته والصلاة.

٢٠. "العمل خارج المنزل أكثر قيمةً وإشباعًا من كوني زوجةً وأمًّا"

منذ نصف قرن مضى، قررت مجموعة من النساء أن يرتبن للوصول إلى ثورة فلسفية ثقافية، وبداخلهن اقتناع أن النساء يحتجن للتخلص من قيود ظلم الرجال؛ فكتبن كتبًا، ونشرن مقالات، ودرسّن محاضرات جامعية، وخرجن في مسيرات في الشوارع، وكوَّن جماعات للضغط والتأثير على الكونجرس، وبطرق لا تُعَدّ ولا تُحصى نجحن في جذب عقول وقلوب ملايين من النساء.

لقد أعدن تحديد المفهوم الذي تعنيه كلمة "امرأة"، واستبعدن، على نطاق واسع، المفاهيم القديمة لأولويات المرأة ورسالتها في الحياة. مفاهيم كالفضيلة، والعفة، والتعقل، والحياة العائلية، والخضوع، والحشمة؛ حُذفت بشكل كبير من مفرداتنا اللغوية لتُستبدل بكلمات مثل: الاختيار، الطلاق، الخيانة، وأنماط الحياة المشتركة للجنسين. وبنات وحفيدات ذلك الجيل لم يعرفن أبدًا أية طريقة أخرى للتفكير.

واحدة من أكثر الأهداف والتأثيرات المدمرة لهذه النظرة "الجديدة" لكل ما يخص المرأة، كان بقصد الحط من قدر الزواج والأمومة، ونقل النساء، بدنيًا وعاطفيًا، خارج منازلهن لتكون ضمن القوة العاملة. د. دورثي باترسون تعلق قائلة:

> تحررت النساء مئة بالمئة من الحرية الحقيقية التي كن يتمتعن بها لمدة قرون من إشراف على البيت، والاهتمام بالأولاد، والسعي من أجل الإبداع الشخصي؛ لقد تم غسل أدمغتهن ليصدِّقن أن عدم وجود مهنة ذات اسم، مدفوعة الأجر، ستستعبد المرأة للفشل، والملل، وستجعلها حبيسة المنزل[١٢].

لقد دلت الإحصائيات على انحسار الفجوة بين الجنسين بطريقة مثيرة فيما يتعلق بالوظائف، ومعدلات الدفع، وفرص التعليم - كانت النتائج أن الناشطات عملن بجد واجتهاد ليصلن إلى الهدف. لكن ماذا عن العواقب غير المطلوبة لهذه الحرية التي اكتشفت حديثًا؟ مَنْ كان يظن أننا يجب علينا أن نتعايش مع مثل هذه الأشياء:

- الضغط الواقع على النساء من زملائهن لكي "يفعلن أكثر" من كونهن "مجرد زوجة وأم".
- مكانة "ربة المنزل" التي بدأت تتناقص قيمتها إلى أقل من عبد يعمل لدى سيد إقطاعي.
- ملايين من الرضع والأطفال الصغار يودعون في دار الحضانة قبل بزوغ نور الصباح، ويسلمون لذويهم بعد حلول الظلام.
- ملايين الأطفال يعودون من مدارسهم إلى بيوت خالية، أو يتم تحويلهم إلى برامج العناية الخاصة بالأطفال بعد انتهاء اليوم الدراسي.
- أمهات يعطين أفضل طاقتهن ووقتهن لأشخاص آخرين بخلاف أزواجهن وأولادهن، مما جعل أولئك النسوة دائمًا مستنزفات وفي حالة من الانفعال المستمر.
- عائلات نادرًا ما تجلس وتتناول وجبة طعام معًا.
- أولاد يُطعمون على الأطعمة المجمدة والوجبات السريعة.
- الشؤون العاطفية والجسمانية التي تعجب بها النساء المتزوجات اللائي يصرفن أفضل أوقاتهن بشكل أطول مع الرجال في العمل أكثر مما يصرفنه مع أزواجهن.
- سيدات يحصلن على استقلالية مادية كافية تعطيهن الحرية ليتركن أزواجهن.
- تعرض النساء يومًا بعد يوم إلى كلمات وسلوكيات خسيسة وتلميحات جنسية في مكان العمل.

- نســاء ليس لديهن الوقت أو الطاقة ليقمن علاقة مـع أولادهن فأصبحن دائمًا غريبات عن أولادهن.
- أبناء يقضون سـاعات بلا عدد في التسـلية بالفيديو، والتلفـاز، والألعاب الإلكترونية، والكمبيوتر.
- أبنـاء بـلا إشـراف كافٍ فيصبحـون عُرضـة وتحـت إغـراء المشـاهدات الإباحيـة، والكحوليات، والمخدرات، والجنس، والعنف.
- والـدان متقدمان في السـن يُضطـر لإيداعهما مؤسسـة للرعاية لأن البنـات وزوجات الأبناء يشتغلن وقتًا كاملًا ولا يستطعن تدبير الرعاية الخاصة بهم.

فـي تحديدنـا لأولوياتنـا كسـيدات مؤمنـات، لا بـد أولاً أن نسـأل: لماذا عمـل الله المـرأة؟ ما هو قصده وإرسـاليته لحياتنا؟ كلمة الله تزود النسـاء، من كل جيل وثقافة، بالحق المتعلق بالقصد من خلقنا ودورنا ودعوتنا الأساسـيين. عندما نقبل الحق ونضع أولوياتنا وبرنامج حياتنا بما يوافقه، سنختبر الحرية الحقيقية.

في تكوين ٢ : ١٨ نجد أول وأوضح بيان للسبب الذي لأجله خلق الله المرأة:

> وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ.

الآن هذا ما وصل إليكِ: خلق الله المرأة لتكون مُعينة للرجل، لكي تكمّله، وتتناسب مع احتياجاته. كانت حياتها لتتمركز حوله، وليس حياته حولها. لقد خُلقت من الرجل، خُلقت من أجل الرجل، وأُعطيت كعطية من الله للرجل. كانت علاقتها مع زوجها هي المجال الأول والرئيسـي الذي فيه تتحرك وتخدم. زوجها كان هو المسـؤول ليشـتغل

ليوفر احتياجاتهما المادية. خُلقت لتكون معينًا ورفيقًا لزوجها في أن يعكس صورة الله، ويتسلط على الأرض، وإنشاء نسل صالح.

معًا، كانا ليملآ الأرض بأجيال المستقبل من رجال ونساء يحبون الله ويسعون لتتميم قصده في العالم. خُلقت المرأة بطريقة متفردة، وجُهزت - نفسيًا، وعاطفيًا، وعقليًا، وروحيًا - بواسطة خالقها لتكون حاملة للحياة وراعية لها. وبطرق لا حصر لها، مُنحت القدرة على إضافة حياة، وجمال، وغني، وملء، ونعمة، وفرح إلى وحدة العائلة. ليس هناك مقياس أعظم لقيمتها أو نجاحها كامرأة أكثر من المدى الذي تخدم فيه كمحور وقلب بيتها.

أوضح الرسول بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس، بضعة أشياء كان لا بد أن تكون متوفرة في الأرامل قبل أن يصبحن أهلاً للاهتمام بهن من قِبَل الكنيسة. في تلك القائمة نجد "وصفًا وظيفيًا" للمرأة التقية في كل فصل من فصول الحياة. كرَّم بولس العجائز اللاتي تمركزت حياتهن حول بيوتهن، واللاتي أعطين أنفسهن لخدمة الآخرين ومد يد العون لهم. الشروط التي أدرجها بولس يجب أن تكون على أعلى قائمة أولويات كل امرأة مؤمنة:

... امْرَأَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ،
مَشْهُودًا لَهَا فِي أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ،
إِنْ تَكُنْ قَدْ رَبَّتِ الأَوْلاَدَ، أَضَافَتِ الْغُرَبَاءَ،
غَسَّلَتْ أَرْجُلَ الْقِدِّيسِينَ، سَاعَدَتِ
الْمُتَضَايِقِينَ، اتَّبَعَتْ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ.

١ تيموثاوس ٥: ٩-١٠

من الواضح أن بولس كان يخاطب السيدات المتزوجات، توافقًا مع المنظور الكتابي أن الزواج هو مبدأ الله بالنسبة للمرأة. ومع ذلك، فطبقًا لكورنثوس الأولى ٧: ٣٢-٣٥، يبقى إن السيدات غير المتزوجات مدعوات ليكن «ملازمات بيوتهن»، مع الاختلاف في المفهوم، فيكرِّسن طاقتهن ومجهودهن لبناء أهل بيت الإيمان، وأن يعشن حياة خالية من الأنانية فلا يتمركزن حول مصالحهن الخاصة وطموحاتهن، بل حول المسيح وملكوته.

الكتاب المقدس واضح في أن حياة المرأة المتزوجة ورسالتها يجب أن تكون متمركزة في بيتها. هذا لا يعني بالضرورة أنه من الخطإ لزوجة وأم أن تعمل خارج بيتها - إلا إذا تعارض هذا العمل بأية طريقة مع فاعليتها في تتميم دعوتها الرئيسية في البيت، أو قلَّل منها. علاوة على ذلك، فمن المهم أن النساء يقيّمن دوافعهن التي تدفعهن للعمل خارج المنزل، والتحقق من أي تضليل أو خداع من وراء تلك الدوافع.

فعلى سبيل المثال، يفترض اليوم إلى حدٍ بعيد أن العائلة لا يمكن أن تعيش بدون مصدرين للدخل. الواقع أنه من النتائج المؤسفة الناتجة للثورة النسائية هى أن اقتصادنا أصبح يعتمد على عائلات لها مصدران من الدخل، ومع ذلك، فهذا لا يعني بالضرورة أن العائلات لا تقدر على استمرارية الحياة بدخل واحد فقط.

الحق هو أن الله أعطى الرجل المسؤولية الرئيسية أن يكون هو "العائل" لزوجته وأولاده. لكن العدو يعمل جاهدًا للتأكد أنه قد أصبح من الصعوبة البالغة العمل بهذه الطريقة. على أنه من الممكن دائمًا أن نعيش وفقًا للحق إذا كنا نريد ذلك.

أعرف عددًا من الأصدقاء المقرَّبين لديهم ستة، وسبعة، وثمانية، وتسعة أطفال، وقد اختاروا أن تظل الأم بالمنزل مع الأطفال. لا، ليس هذا بالأمر السهل، إذ ليس لديهم الكثير من الأشياء المادية التي يعتبرها الكثيرون اليوم ضروريات. نعم، هم يضحون

بالكثير - بشكل ما - لكن التضحيات تبهت إلى جانب ما يحصلون عليه في المقابل. تقريبًا في كل الحالات:

- هذه العائلات مكتفية وسعيدة.
- لديهم تقدير أفضل للقيم والأشياء التي تهم بالفعل، أكثر مما هو الأمر مع العائلات ذات الدخلين.
- تعلموا أن يصلّوا ويعتمدوا على الله في كل شيء بداية من "الخبز اليومي" وحتى رسوم التعليم الجامعي.
- الوالدان يعرفان أين يكون أولادهم، ويستطيعان أن يراقبا ويوجِّها كل نشاطاتهم.
- الوالدان والأبناء لديهم علاقة محبة وثيقة مع بعضهم البعض.
- هم متداخلون بفاعلية في خدمة الآخرين بطرق عملية مما ليس لكثير من العائلات الوقت والطاقة لأن يفعلوا مثلها عندما يكون كلاً من الوالدين يعمل خارج المنزل.

الآن أخبريني: مَنْ الذي يضحي بالفعل؟

حتى الكثيرات من السيدات العالميات يدركن مدى التوتر الذي يحدث عندما تحاول المرأة أن تمزج بين الوظيفة والعائلة. في مقابلة مع الممثلة كاترين هيبرن قالت:

> لا أعرف تمامًا أية امرأة تستطيع أن تزاول مهنة بنجاح وأن تكون أمًّا في الوقت ذاته. المتاعب اليوم مع السيدات هى أنهن يردن كل شيء. لكن لا أحد يقدر على امتلاك كل شيء[١٣].

ممثلة أخرى، جوانا وودوورد موافقة:

> لقد عانيت في وظيفتي بسبب أولادي، وعانى أولادي بسبب وظيفتي... كنت أتمزق ولم أستطع أن أعمل بكفاءة تامة في أي من الناحيتين. لا أعرف

أي شخص يقدر أن يؤدّي كليهما بنجاح، وأنا أعرف كثيرًا من الأمهات اللاتي يعملن خارج بيوتهن[١٤].

في عالم ساقط، أُدرك أنه يوجد بعض المواقف حيث يكون الشيء "النموذجي" مستحيلاً. ومع ذلك، فالحقائق الواقعية مثل انتشار الطلاق والأمهات اللاتي بلا أزواج لا يجب أن تجعلنا نستبعد الفكر النموذجي. بل يجب أن تجعلنا ندرك بصورة أكثر مدى رغبتنا في أن نتبع طرق الله. لا بد أن نقاوم الاستسلام للثقافة والمجتمع. ففي النهاية، هي ثقافة "الأمهات العاملات" - على الأقل جزئيًا - التي دفعت إلى زيادة معدلات الطلاق، ومزيد من الأمهات اللاتي بلا أزواج، ومزيد من المشاغل، ومزيد من نساء يعتمدن على الإعالة الاجتماعية، ومزيد من عنف المراهقين، ومزيد من سيدات متوترات، مكتئبات، ومستنزفات.

وكما تُذكِّر دورثي باترسون السيدات:

> حقًا إن كثيرًا من "الوظائف المثالية" قد تأتي أو تذهب أثناء سنوات تربية الأولاد، لكن واحدة فقط بكل تأكيد لن تتكرر مرة ثانية: وظيفة تربية أولادك وإتاحة الفرصة النادرة لهم أكثر فأكثر ليكبروا في بيت[١٥].

رؤية وعبر من ثلاجة فوقها صور

ثلاجتي تُستخدم كخلفية المسرح لصور صديقاتي وعائلاتهن. أضع الصور داخل إطارات خفيفة يلتصق بها مغناطيس من الخلف، وهي تغطي تقريبًا كل سنتيمتر مربع من المساحة المتاحة. العائلات التي يقرب عدها من التسعين، والممثّلة هنا لها من الأبناء ما مجموعه أكثر من ثلاث مئة (هذا فضلاً عن أحفاد بلا حصر).

قضيتُ مؤخَّرًا ساعتين في تقليد سنوي لاستبدال الصور القديمة بأخرى حديثة كانت قد أُرسلت إليَّ أثناء أعياد الميلاد.

عندما أصبحت كل الصور الجديدة في مكانها، جلست مستندة إلى الوراء لأتفحص "الصورة الكبيرة". كنتُ أستعيد بعضًا من الأحداث الهامة التي مرت بها هذه العائلات في العالم المنصرف. ثمانية بُوركوا بميلاد طفل جديد، سبعة على الأقل وُلد لهم حفيد، سبعة لهم ابن أو ابنة تزوجوا، خمسة عشر غيّروا مكان سكنهم، ستة عملوا أو كانوا في طريقهم إلى عمل تغيير في حياتهم وفقًا لتدريبات خاصة بالوظيفة.

كانت كل الوجوه تقريبًا في هذه الصور مبتسمة. لكن من وراء بعض من هذه اللقطات شبه المثالية، أعرف أن هناك الكثير. فبضعة أفراد كانوا يحملون أثقالاً جسدية أو روحية لبعض من أفراد العائلة: ثلاثة مؤخرًا دفنوا أحد أفراد العائلة المقرَّبين، زوجان في وسط إجراءات لطلاق بشع.

وبينما كنت أتأمل المشهد الذي أمامي، تأثرت كثيرًا بروعة معنى العائلة، في أفضل الأحوال وأسوأها. فالعائلة هي في قلب كل ما هو هام لجميعنا. وإن لم تكن الأمور على ما يرام في البيت، ستتأثر بذلك كل منطقة أخرى في الحياة. نظرت إلى تلك الأعداد الهائلة من النساء اللاتي يجلسن مثل الدجاجة الأم، يحيط بهن فقسات من الصغار، غمرني شعور عميق من الشكر من أجل استعداد ورغبة هؤلاء النسوة للعطاء واحتضان الحياة.

وفي وسط كل هذه الصور الفوتوغرافية، وضعتُ ملصقًا اشتهر في السنوات الماضية: "الحياة: يا لها من اختيار جميل". هؤلاء النسوة اخترن الحياة بإنجاب الأطفال (شيء يمكن للمرأة فقط القيام به، ويمكنني أن أضيف)، وهن يخترن الحياة كل يوم ...

- مع كل وجبة طعام يعددنها.
- مع كل شحنة من الملابس المتسخة يغسلنها.
- مع كل رحلة يقمن بها إلى محل البقالة، إلى المدرسة، إلى طبيب الأسنان، إلى دروس البيانو، للتدريب على كرة القدم، أو إلى محل الأحذية.
- مع كل ركبة تسلخت يضمدنها.
- مع كل كلمة تشجيع يتكلمن بها.
- مع كل ساعة بالليل يصرفنها يهدهدن طفلاً مريضًا أو خائفًا.
- مع كل جدال واحتجاج من أجل حسم نزاع بين الأبناء.
- مع كل دقيقة يصرفنها في بناء مكعبات "الليجو"، والتلوين، والمساعدة في حل مسائل حسابية، وقراءة قصة من الكتاب المقدس، أو الاستماع إلى زوج أو طفل يصف كيف كان يومه.
- مع كل لحظة يقضينها متشفعات لأجل النمو الروحي وحماية عائلاتهن.

يومًا بعد يوم بلا توقف، وهن يبنين بيتًا، يمنحن حياة، يضعن أساسًا، ويصنعن ذكريات لتبقى من بعدهن لأجيال قادمة، يكرمن خالقهن بأعظم طريقة ممكنة.

الأكذوبة

١٨. ليس لديّ الوقت لأعمل كل شيء من المفترض أن أعمله

الحق

- يوجد وقت في كل يوم لعمل كل شيء يريدني الله أن أعمله.

مزمور ٩٠: ١٠-١٢؛ لوقا ١٠: ٣٨-٤٢؛ يوحنا ١٧: ٤؛ أعمال ٢٠: ٢٤؛ أفسس ٢: ١٠

الأكذوبة

١٩. يمكنني أن أمارس أمور حياتي بدون وقت ثابت لقراءة الكلمة والصلاة

الحق

- من المستحيل أن أكون المرأة التي يريدني الله أن أكون، بعيدًا عن قضاء وقت ثابت أسعى فيه للشركة معه في الكلمة والصلاة.

أيوب ٢٣: ١٢؛ مزمور ٥: ٣؛ ١١٩: ١٤٧؛ أمثال ٢: ١-٦؛ ٣: ٥-٦؛ متى ٦: ٢٥-٣٤؛ ١٤: ٢٣؛ يعقوب ٤: ٦

الأكذوبة

٢٠. العمل خارج المنزل أكثر قيمةً وإشباعًا من كوني زوجة وأم

الحق

- بحسب مشيئة الله، لا يوجد دعوة أعلى وأقدس من أن أكون زوجة وأمًا.

اتيموثاوس ٥: ٩-١٠

- صمَّم الله المرأة بطريقة فريدة لتكون حاملة للحياة وحاضنة لها.

تكوين ٢: ٢٤؛ ٣: ٢٠

- ليس هناك مقياس أعظم لقيمة المرأة ونجاحها أكثر من مدى خدمتها لبيتها كقلب له.

اكورنثوس ٧: ٣٢-٣٥؛ تيطس ٢: ٤-٥.

- خطة الله أن يكون الاهتمام الرئيسي للمرأة ومجهوداتها مكرسين لخدمة احتياجات الزوج والأولاد.

تكوين ٢: ١٨.

تطبيقات عملية

١- وافقي الله

ما هي الأكاذيب التي صدقتيها بالنسبة للأولويات؟

٢- تحملي المسؤولية

كيف ظهر تصديق تلك الأكاذيب في طريقة الحياة التي تعيشينها (مثلاً، المواقف، الأفعال)؟

٣- أعلني الحق

اقرأي بصوت مرتفع كل جزء من أجزاء الحق المدونة في الصفحة السابقة. أي من هذه الأجزاء من الحق تحتاجين بصفة خاصة أن تتمسكي بها حاليًا؟

جددي ذهنك (تفكيرك) بكلمة الله. اقرأي الأجزاء التالية بصوت مرتفع. ماذا تعلن لكِ هذه الأعداد عن أولويات الله لحياتك.

مزمور ٩٠: ١٠-١٢

متى ٦: ٢٥-٣٤

لوقا ١٠: ٣٨-٤٢

---

١ تيموثاوس ٥: ٩-١٠

تيطس ٢: ٤-٥ (للمتزوجات)

---

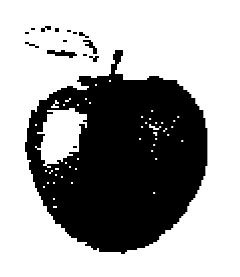
١ كورنثوس ٧: ٢٩-٣٥ (لغير المتزوجات)

٤- تصرفي طبقًا للحق.

ما هي الخطوة أو الخطوات التي تحتاجين أن تتخذيها لكي تتوافق حياتك مع الحق؟

٥- اطلبي من الله أن يساعدك للسلوك في الحق.

أيها الآب، أعرف أنني كثيرًا ما أملأ حياتي بأشياء أرضية ووقتية. أريد أن أقضي حياتي بأن أكون مرضيـة عندك وأن أعمل ما يرضيك. ليت الأشـياء التي تهمك أكثـر تهمني أكثر. ليت كلمتك تكـون نـورًا يظهر لـي قصدك وخطتك في كل فصـل من فصول حياتي. أعني لأكون حساسـة لروحـك ولأعـرف ما حددته في "قائمـة أعمال" كل يوم من أيام حياتـي. من فضلك أرني كيف أتمم دعوتي السامية وأولوياتي كامرأة. أعطني الحكمة والشجاعة لأستبعد من برنامج حياتي أية نشاطات ليست في مشيئتك لي في هذا اليوم. ساعدني لأحيا حياتي في ضوء الأبدية. لعلي أقدر أن أقـول في نهاية حياتي كما قال الرب يسـوع، «أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَـى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ» (يوحنا ١٧: ٤). في اسم الرب يسوع. آمين.



الفصل السادس

أكاذيب تصدقها المرأة

... عن الزواج

مذكراتي العزيزة

كل شيء هادئ تمامًا الآن في داخل البيت – ربما لأني أنا وآدم لا نتكلم معًا. تجادلنا كثيرًا الليلة الماضية، الأمر الذي كان يجب أن أتوقعه؛ فقد بدأ اليوم بداية خشنة، وكان قد سهر الليل كله ليساعد بقرة لكي تلد، واضطر أن يغادر البيت قبل الإفطار ليقوم بتخزين بقية التين.

عندما عاد أخيرًا إلى المنزل، كان يتصبب عرقًا من حرارة الجو، منهكًا، ولم يكن في أفضل حالاته المزاجية. ظللت حبيسة المنزل مع طفلين مريضين، وعندما سأل لماذا لم يكن العشاء معدًّا، اقترحت إذا كان يريد العشاء فربما كان من الأفضل أن يقوم بإعداده بنفسه. لا أعرف لماذا اخترتُ هذه اللحظة لأذكره ببضعة أعمال يومية خاصة بالمنزل كنت أتمنى أن يقوم بها – ومنها تنظيف الممر الذي في واجهة المنزل فإنه يبدو مثل الغابة بكل هذه الحشائش.

شيء قاد إلى آخر – لقد أخبر هابيل أنه بإمكانه أن يذهب معه إلى رحلة للصيد في الأسبوع

القادم. وأنا أشعر أنه لا يزال صغيرًا جدًا، وإلى جانب ذلك لا أعتقد أنه يجب أن يأخذ هابيل ويترك قايين هنا. إنه لا يعترف بخطئه أبدًا، أصبحت الأمور حرجة جدًا. كل منا نطق بأشياء ما كان يجب النطق بها. ذهبت إلى فراشي مبكرًا وتظاهرتُ بأنني نائمة عندما جاء.

ربما يُتوقع، بعد كل هذه السنين معًا، أن نعرف كيف نعالج هذه الأمور العائلية. الشيء المضحك هو أنه في معظم الأحيان، أعتقد أن آدم كان يقول إن زواجنا بخير. لكن أحيانًا أشعر وكأننا غرباء تمامًا، برغم أننا نعرف بعضنا البعض كل حياتنا. هو يعتقد دائمًا أنه على صواب من جهة كل شيء. عندما أسأله أن يحاول ويرى الأشياء من وجهة نظري، يقول "لا شيء سيجعلني سعيدًا". أتمنى فقط أنه يكون أكثر حساسية لمشاعري.

ما حدث في جنة عدن من آلاف السنين لم يكن هجومًا فقط على الله وعلى شخصين، بل كان هجومًا على الزواج. كان الزواج مصمَّمًا بواسطة الله ليعكس مجده وقصده الفدائي. في محاولة لتشويه هذه المؤسسة المقدسة، وجَّه الشيطان نفخة قوية إلى خطة الله الأزلية.

لم تكن مصادفة أن الشيطان شن هجومه الماكر باقترابه من امرأة متزوجة. فقد كذب عليها من جهة الله، وشخصه وكلمته، وعن الخطية وعواقبها. وهى صدّقته وتصرفت وفقًا لكذبه، ثم تحولت إلى زوجها وجرته إلى الخطية معها. كان التورط الذى حدث في زواجهما عميقًا جدًا.

حلّ الخزي محل الحرية. والادعاء والاختباء محل الشفافية والألفة. والتوحد الذي اختبرته حواء وزوجها في حالتهما الأولى، تحول الآن إلى خصومة وعداوة – ليس فقط نحو الله، بل نحو أحدهما للآخر.

فبدلاً من أن يوفر لزوجته قيادة تتسم بالمحبة، أصبح الرجل الآن عُرضة إلى التراوح المتطرف من التحكم الاستبدادي إلى الانعزال السلبي. الحماية التي وُهبت للمرأة تحت "الرأس" الروحي قد زالت، والروح الاستقلالية التي مارستها نحو الله أظهرت نفسها الآن

نحو زوجها، تاركة إياها عُرضة لتضليل، ولخطية، ولهجوم أعظم. ما كان القصد منه الابتهاج والثمر والعلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة وإلههم، أصبح الآن أرضًا للمعركة.

وهكذا صارت الأمور في كل علاقة زوجية منذ ذلك الحين.

وكما هو الحال في كل منطقة من حياتنا، التضليل هو أعظم آلة في يد الشيطان للوصول إلى أغراضه المدمِّرة للزواج. إذا استطاع أن يجعل الأزواج والزوجات يصدقوا أكاذيبه ويتصرفوا بموجبها، فسينجح في وضعهم في العبودية، سالبًا فرحهم، محطِّمًا علاقتهم. الشيطان يحشد أكاذيب ضخمة مثل:

٢١. "لابد أن يكون لي زوج لأكون سعيدة"

مثل الكثير من الأكاذيب الأخرى، هذه الأكذوبة بالفعل هى تشويه خبيث للحق.

الحق هو أن الزواج حسن وصحيح، وأنه خطة الله لغالبية الناس، وأنه يمكن (ويجب أن) يكون فرحًا عظيمًا وبركة عندما يكون زواجًا مركزه الله. الشيطان يلوي الحق عن الزواج باقتراحه للنساء بأن الغرض من الزواج هو سعادة شخصية وإشباع، وأنهن لا يمكن أن يكن بالفعل سعيدات بدون زوج يحبهن ويسدد احتياجاتهن.

وبمجرد أن يرتبطن بزوج، نساء كثيرات يبدأن في تصديق صورة أخرى من هذه الأكذوبة: "من المفروض أن يجعلني زوجي سعيدة". بعد سنوات طويلة من الأسى أدركت "ميرنا" حماقة هذه الطريقة من التفكير:

> بعد عشرة سنوات معًا، انفصلت أنا وزوجي. لقد اعتقدت أنه كان المسؤول عن إسعادي. هذا لم يحدث مطلقًا. لم أكن أنا فقط في عبودية، بل هو أيضًا.

الحـق هـو أن الغـرض النهائي من الـزواج ليس أن يجعلنا سـعداء، بـل ليمجد الله. النسـاء اللائي تتزوجن بقصد إيجاد السـعادة يُعددن أنفسـهن إلى الاحتمال شبه المؤكد لخيبة الأمل، ونادرًا ما يجدن ما يبحثن عنه.

النساء اللائي يعتقدن أنهن يجب أن يكون لهن زوج للحصول على السعادة غالبًا ما يرتبن أنفسـهن لأقل من الأفضل الذي قصد الله أن يعطيهن إياه. "جوان" شـاركت معي كيف أن تصديق هذه الأكذوبة وضعها في عبودية، وقاد إلى عواقب أليمة لم تحسب لها حسابًا.

> أثناء سنوات دراستي الجامعية، كان لي زميل، تقدّم لخطبتي، ثم أصبح زوجي، وكان رجلاً طيبًا لكنه لم يكن للمسيح. كان الارتباط أكثر أهمية بالنسبة لي من انتظار الله وسـؤاله بأن يحضر مؤمنًا حقيقيًـا لحياتي لنتزوج. وكنتيجة لذلك، لـم نقدر أن ننمو معًا في المسـيح. وبعد ثمانية وعشـرين عامًـا من الزواج، لا نشـترك معًا في فعل أشياء كثيرة، أصدقائي من المؤمنين وأصدقاؤه من شرابي المسكر. أولادي هم اهتمامي الأول، واهتمامه الأول هو عمله.

كانـت هذه السـيده مضلَّلة. صدَّقَـت أنها لا بد أن تتزوج لتكون سـعيدة. وتصرفت بموجب هذا الاعتقاد، فتزوجت من شخص لم يكن مؤمنًا، على العكس من تعليم كلمة اللـه الواضـح. كان لها ما اعتقدت أنها تريده (رجل)، لكنها انتهت إلى هُزال روحي في نفسها (مزمور ١٠٦: ١٥).

فقـط بمعرفـة الحـق وقبولـه يمكـن أن توجـد الحريـة - مـع زوج أو بـدون زوج. الاختبـارات التاليـة تصور كيـف أن تصديق أكذوبة يقـود إلى عبودية وكيـف أن مقابلة الأكذوبة بالحق ينشيء حرية.

> لطالما اعتقدت أنني أحتاج إلى رجل في حياتي ليجعلني سـعيدة وقادرة علـى بنـاء ثقتي بنفسـي. لكـن حتى بعـد أن تزوجت، بقيت غير سـعيدة وليـس لديَّ ثقة بنفسـي. معرفتـي وإيماني أن الله خلقنـي على صورته،

تمامًـا كما أن قيمتي هى منه؛ غيَّرت رؤيتي لنفسـي وحرَّرتني من محاولة ملء احتياجاتي عن طريق محبة وقبول رجل.

فقدت والدي عندما كنت في الرابعة عشـرة من عمري وتزوجت في سن السادسـة عشـر. والآن أرى أنني جعلت زوجي هو أمني وطمأنينتي وهو السبب لأعيش. وحتى بعدما كبر الأولاد، بعد زواج شق طريقه بصعوبة، كنت أسـيرة هذا الشعور بأنني "لم أكن أستطع أن أعيش بدون زوجي"، فكانت عبودية تأسـرني كقضبان حديدية علي النافذة. القضبان والأقفال فـي عقلي كانت تقيدني بإحكام. قلبي يخفق بشـدة لمجرد ذِكر مرحلة الخوف تلك. لم يعُد زوجي يحتمل الاختناق الذي سبَّبته وبدأ يفكر في احتياجه في أن يفارقني لكي يستطيع أن يتنفس.

استخدم الرب بعض الأصدقاء ليعرفوني أنني أحتاج أن أنفك من زوجي "كارل" وأتمسـك بالرب. وبمجـرد أن فعلت هذا تحررت تمامًا. لقد نضـج زوجـي وتقوى من خلال هـذا كله ولم يفارقنـي. نحن نحمد الله دائمًا الذي أنقذنا لنحتفل بمرور ستة وثلاثين عامًا على زواجنا.

صارعت طويلاً مع الأكذوبة أنه بدون زواج أنا بلا قيمة، وأنه ربما يوجد شـيء ما خطأ فـيَّ. تصديقي هذه الأكذوبة سـلبني فـرح خدمة الآخرين (لأننـي كنت غارقة فـي أهدافي الخاصة) وحرمني مـن القناعة التي تأتي من خدمة الرب والثقة فيه.

اسـتغرق الأمر سـنوات طويلة لأثق أن الله هو المهيمن، وأن له خطة لي، وأنني أسـتطيع أن أبذل كل طاقتي في خدمته، وأسـلك في أعمال حسـنة سبق فأعدها وأكنز كنوزًا في السماء.

اهتمامي الآن (وأنا في سن الأربعين) أن أقضي سنوات حياتي المتبقية في استثمار للفرص الكثيرة المتاحة لكي أخدمه، ولأسمح له أن يغيّرني إلى أفضل ما يمكن أن أكون كامرأة مشابهة صورة المسيح. هذه الحياة قصيرة جدًا. لقد أعانني الرب لكي أرى الأشياء في ضوء الأبدية، حتى أن أحزان هذا العالم وإحباطاته يمكن أن تُحتمل بسرور.

الحق هو أن السعادة لا توجد داخل (أو خارج) الزواج، لا توجد في علاقات إنسانية. الفرح الحقيقي لا يوجد إلا من خلال المسيح.

الحق هو أن الله وعد أن يعطينا كل شيء نحتاجه، وإذا كان يعرف أن الزوج سيمكننا من أن نعطيه مجدًا أعظم، فسوف يعطي زوجًا.

الحق أن السعادة لا توجد في أن نمتلك كل شيء نعتقد أننا نحتاجه، بل في أن نختار أن نكون مكتفين بما أعطاه الله.

الحق هو أن مَنْ يطلبون الحصول على كل ما يريدون ينتهي بهم الأمر غالبًا إلى الشقاوة غير الضرورية، بينما أولئك الذين ينتظرون الرب دائمًا يحصلون على أفضل ما عنده.

٢٢. "إنها مسؤوليتي أن أغيِّر زوجي"

معظمنا كسيدات ولدن "مُصلِحَات"، إذا وُجد شيء خطأ فعلينا أن نصلحه، وإذا وُجد شخص خطأ فعلينا أن نصلحه. الغريزة التي بداخلنا تبدو أنها لا تقاوَم، خاصة مع هؤلاء الذين يعيشون تحت سقف بيتنا. على أن التفكير بأنها مسؤوليتنا أن نغير الآخرين يقود بلا شك إلى الإخفاق والتضارب.

وفيمـا يختـص بالعلاقـات الزوجية، هـذه الأكذوبة تأخـذ اهتمام الزوجـة بعيدًا عن احتياجاتها الخاصة وسيرها مع الرب، والذي بإمكانها أن تفعل شيئًا بخصوصه. علاوة على ذلك، فهي تركز اهتمامها على إخفاق شخص آخر واحتياجاته، والتي ربما لا تقدر أن تفعل إلا الشـيء القليل جدًا، إذا وُجد، بخصوصها. الواقع هو، أنها لا تقدر أن تغيِّر قلـب زوجهـا (أو قلوب أولادها). ومع ذلك فهي تسـتطيع أن تتعاون مع الروح القدس في تغيير قلبها هي.

عندمـا تكـون زوجة مشـغولة البال بمحاولة تصحيـح أخطاء زوجهـا أوعيوبه، فهي تحمل مسـؤولية لـم يقصد لها الله مطلقًا أن تحملها، ومن المتوقع أنها سـتُحبط وتمتلئ بالغيظ من نحو زوجها، وربما من نحو الله نفسـه. وربما أيضًا تُحِدّ من عمل الله الذي يريـد أن يعمله لتغيير زوجها. إني أتسـاءل أحيانًا كم هو عدد الأزواج الذين كان يمكن أن يغيرهم الله لو أن زوجاتهم بإرادتهن تركن الله يتولى القيام بهذه العملية؟

زوجـات مؤمنات كثيرات لا يدركن أن لديهن اثنين من "الأسـلحة" القوية المتاحة ذات التأثيـر الفعال الـذي يفوق بكثير جدًا التذمر، أو الأنين، أو الوعظ. السـلاح الأول هو حياة التقوى، والتي يستخدمها الله كثيرًا في حياة الرجل ليخلق لديه الشعور بالخطإ والجوع الروحي (انظري ١ بطرس ٣: ١-٤).

السـلاح الثاني هو الصلاة. عندما تشير زوجة بصفة مستمرة إلى الأشياء التي تتمنى أن يقـوم زوجهـا بتغييرها، فمن المتوقع أنها تجعله في موقـع المدافع أو المقاوم. لكن عندمـا تأخـذ الأمور التي تهمهـا وتلقيها على الرب، فهي تلجأ إلـى قوة أعلى لتعمل في حياة زوجها – وأصعب على الرجل أن يقاوم الله من أن يقاوم زوجة كثيرة الشكوى.

أحب كثيرًا مثال مريم، أم يسوع، في هذا الشأن. ظهر لها ملاك وأخبرها أنها ستصبح أمًّـا للمسـيا – اختبـار لا يُصـدَّق. ليتكِ كنتِ هنـاك آنذاك! عندما أخبرت يوسـف عما حـدث، فـي البداية، كان مـن الواضح أنه لم يصدّق مـا أخبرته به، فهو لـم يرَ أي ملاك.

سبَّب ذلك أنه استنتج أنها كانت غير مخلصة له.

ليس هناك ما يبين أن مريم ضغطت على يوسف ليصدِّق ما كانت تعرف أن الله أخبرها به. بل انتظرت الله وأعطته الفرصة ليتكلم مباشرة إلى زوجها؛ وهذا ما حدث بالفعل. وعندما ظهر الملاك ليوسف، تجاوب معه سريعًا وصدقه. كانت مريم امرأة تعرف كيف تحفظ الأمور في قلبها وتتفكر بها (انظري لوقا ٢: ١٩). كانت تقدر أن تنتظر وتسكت، لأنها عرفت قوة الله، ووثقت به ليتمم مقاصده في حياتها وحياة أسرتها.

سيدة لم أكن رأيتها لمدة تقرب من سبعة عشر عامًا، جاءت إليَّ في حفل زفاف مؤخرًا وقالت: "لقد أنقذتِ زواجي!" طلبت منها أن تذكِّرني بالأمر، فذكرتني أنها شاركتني عدة مرات، في السنوات التي مضت، قلقها فيما يتعلق بحالة زوجها الروحية. قالت: "لقد قلتِ لي: إنها ليست مسؤوليتك لتغيّري زوجك، إنها مسؤولية الله. أخبري زوجك بما في قلبك ثم تنحي واتركي الله يعمل ما تبقى". وأكملت قائلة: "خلال كل هذه السنين، تدربت على هذه النصيحة وكنت أشاركها مع كثير من الزوجات الأخريات".

استمرت في حديثها لتخبرني ماذا كان يعني لها أن تنتظر الرب ليغير زوجها. لمدة ست عشر سنة بطولها، كانت تصلي وتنتظر، دون أن ترى أي دلائل على أن الله يسمع أو يجيب صلواتها. ومع أن زوجها يدّعي بأنه مسيحي، لكن بسبب عدم وجود أي جوع روحي أو ثمر في حياته، كانت تتساءل ما إذا كان له علاقة مع الرب أو ليس له على الإطلاق.

ثم بعد كل هذه السنين "بلا تفسير" أشرق الروح القدس بالنور، وصنع تغييرًا مفاجئًا ومثيرًا في زوجها. كما لو كان قد استفاق من غيبوبة. فجأة، أصبح نهمًا لكلمة الله، وبدأ يحتفظ بمفكرة معه ليسجل بها الأشياء التي كان الله يقولها له من خلال الكلمة. قالت: "قبل حدوث هذا التغيير، كان من الصعب عليّ أن أوقظه من نومه لتناول الإفطار. الآن، يذهب إلى اجتماع صلاة للرجال في الساعة السادسة والنصف من كل

صبـاح". مؤخَّـرًا، تكلم عـن احتمال بيع تجارته حتى يتمكنوا مـن قضاء وقت أكثر في خدمـة للرب. لا يوجد تفسـير بشـري لمـا حدث ليغير هـذا الزوج - إلا اللـه، وزوجة مخلصة تعلمت حقًا كيف تصلي من أجل زوجها.

٢٣. "من المفترض أن يخدمني زوجي"

في العقدين الماضيين، نشـأت حركة تحريضية للرجـال أن يكونوا بحق رجال الله، وأن يحبوا زوجاتهم وأولادهـم، وأن يعبِّروا عن هذه المحبة من خلال التضحية والخدمة. ويا له من أمر مشجع أن نرى الله يحرِّك رجالاً ويحوِّل قلوبهم نحوه ونحو بيوتهم. ومع ذلـك، ففي وسـط هذه التأكيدات، نحن النسـاء نحتاج أن نتحذر ألا نفقـد الرؤية للدور الرئيسـي المعطـى لنا مـن الله لنتممه. البعض في العالم المسـيحي اليـوم يرى أنه "من اللياقـة" أن نتحدى الرجال أن يذهبـوا إلى بيوتهم ويخدموا زوجاتهم، ولكن ليس "من اللياقة" أن نتحدث إلي النساء عن مسؤولياتهن في خدمة أزواجهن.

الحـق هو أن الله لم يعمـل الرجل ليكون "معينًا" للمرأة، بل عمل المرأة لتكون "معينًا" للرجل. بالطبع، هذا لا يعني أنه ليس على الرجال أن يخدموا زوجاتهم وأولادهم. إذا كان الرجال يحبون زوجاتهم كما أحب المسـيح الكنيسـة، فيجب أن تكون هناك رغبة للتضحية بحياتهم وأن يكونوا خادمين، تمامًا كما فعل المسيح لأجل عروسه.

لكـن إذا ركزنا، كنسـاء، اهتمامنا على ما "نسـتحق"، وعلى "حقوقنـا"، أو على ما "يجب" على الرجال أن يفعلوه من أجلنا؛ فسوف نكون عُرضة للألم والاستياء عندما لا تتحقـق توقعاتنـا. بركة وفرح هـى ثمار حب العطاء أكثر من الأخـذ، وهي أيضًا ثمر السعي لإيجاد طُرق بها نُبارك، ونخدم، ونساعد في احتياجات عائلاتنا.

تشكِّل تفكيرنا، لدرجة كبيرة، كنساء بالحركة المعاصرة للمساواة بين الجنسين، والتي بذلت مجهودًا للإقلال من قيمة السيدات اللائي يخدمن بطرق عملية في بيوتهن. في كتابها الرائع، "إنجيل المنادين بالمساواة بين الجنسين" أشارت ماري كاسيان إلى دراسة قامت بها المتخصصة في علم الاجتماع آن أولكي في عام ١٩٧٤، محللةً موضوع الأعمال المنزلية:

"أوكلي"... حاولت أن تبين بطريقة إحصائية النوعية المرعبة لظروف عمل المرأة: عمل شاق، لساعات طويلة، في عُزلة، بأجر قليل أو بدون أجر، بدون تعويض، بدون منحة، بلا راحة، بلا توقف، بدون إجازات مدفوعة، بلا أسس للمفاوضة لتحسين الأحوال... قصدت "أوكلي" أن... تثبت أن دور المرأة كربة منزل – في الأعمال المنزلية والعناية بالأطفال – كان عملاً استغلاليًا وظالمًا... وبحسب ما قالته، فالثورة للمساواة بين الجنسين لن تكمل إلى أن تدرك النساء أنهن مظلومات[١٦].

كانت والدتي امرأة "مظلومة" من النوع السابق ذكره. عندما سُئلتُ أن أكتب فصلاً في كتاب عن الأمهات وبناتهن، هكذا وصفتُ مثال حياة والدتي:

برغم أنها كانت امرأة موهوبة بشكل رائع بطبيعتها قبل أن تتزوج، فإنها بكل سرور ضحَّت بوظيفة واعدة، كصاحبة صوت جميل، لكي تأخذ مركز «مُعينًا نظيره» لزوجها.

... في مناخ الستينات، حيث كانت النساء يشجِّعن للسعي للاستقلالية، والوظائف، والتقدير الشخصي، والاكتفاء الذاتي؛ كانت والدتي مثالاً لدور آخر، دور تتكيف فيه المرأة مع قلب زوجها ودعوته. فبدلاً من انتظار أن تتمحور حياة زوجها حول رغباتها واحتياجاتها، أصبحت كل حياتها تتمركز حول زوجها واحتياجاته...

من المهم فهم أن دور «المعين» هذا لم يكن شيئًا طالَب به والدي والدتي، كما أنه لم يكن مركزًا قبلته هي مجبرة أو على مضض. لكنها بصدق كانت تُجل هذا الرجل ووجدت سرورًا في سيرها في الحياة كشريكة ومشجِّعة له.

بكل سرور، رتَّبت والدتي الشؤون العائلية لمنزل مفعم بالنشاط، بحيث توفر له هو الحرية ليتمم دعوة الله لحياته على أفضل وجه. كثيرات من النساء اليوم يعتبرن هذا النمط من الحياة ظلمًا. لكن والدتي كانت أبعد ما تكون عن الظلم - بل على العكس، فقد كان والدي يعتزّ بها ويقدِّر جدًا شريكة الحياة التي أوجدها الله إلى جانبه، وكان يُسر أن يراها تستخدم إلى أقصى مدى إمكانياتها وقدراتها الممنوحة لها من الله[١٧].

الحق هو أننا لن نكون أكثر شبهًا بالرب يسوع إلا عندما نخدمه ونخدم الآخرين. ليس هناك دعوة أسمى من أن نكون خادمات.

واحدة من الأشياء التي تلفت انتباهي في «المرأة الفاضلة» في سفر الأمثال ٣١، حقيقة أنها ليست أنانية على الإطلاق. فهي لا تبحث عن "إشباع شخصي"، وليس لديها رغبة في تحسين "وظيفتها"،أو أن يكون لها حساب بنكي خاص بها، أو أن تكون معروفة بإنجازاتها. بل على النقيض، فهي تبدو من الناحية العملية غير مهتمة برغباتها واحتياجاتها، مفضلة بالأحرى أن تركِّز اهتمامها على كيفية مقابلة احتياجات زوجها وأولادها، بالإضافة إلى احتياجات الآخرين في مجتمعها. من القراءة الأولية لهذه الفقرة، ربما تنغوي إحداهن لتتوافق مع الاستنتاج الذي وصلت إليه "آن أوكلي" بأن ربات المنزل هن مربيات مظلومات. لكن لنلقِ بنظرة جديدة إلى هذه المرأة:

- تلبس ثيابًا جيدة (ع٢٢).
- لديها من الطعام ما يكفي لتأكل هي وعائلتها ولتشارك به مع آخرين (ع ١٥، ٢٠).

- تحيا حياة منظمة، مستقرة عاطفيًا، وليس لديها مخاوف من جهة المستقبل (ع ٢١، ٢٥).
- زوجها مفتون بها – هو يُخلص لها، يشعر أنها "واحدة في المليون" ويخبرها بذلك، ويفتخر بها لدى أصحابه (ع ١١، ٢٨-٢٩، ٣١).
- أولادها يكرمونها ويطوبونها (ع ٢٨).

ليس لديَّ أي انطباع هنا بأنها امرأة مظلومة! في الواقع، أيَّة امرأة تلك التي لا تمتلئ من الفرح عندما يكون لها كل هذه المكافآت؟ لكن كيف حصلت على كل هذه "الامتيازات"؟ ليس بأن تلحّ على زوجها ليشمر عن ساعديه ويبدأ في المساعدة في الأعمال المنزلية (بالرغم من أنه ليس من الخطإ أن يفعل الرجال هذا)، لكن باختيارها طريق الخدمة – بأن تجعلها رقم واحد في ترتيب أولوياتها (بعد شركتها مع الله) لكي تقابل احتياجات عائلتها.

"فيكي" تصف كيف حررها الله من خدعة أن تتوقع من زوجها أن يخدمها:

> منذ بضعة سنوات، كنت قد تحررت من أكذوبة كبيرة. توقعت من زوجي دائمًا أن يخدمني بمساعدته لي في أعمال المنزل والعناية بالأولاد. كنت أستاء إذا لم يفعل ذلك أو لم يفعله بطريقة جيدة. كنت أستاء أن أرتب خلفه أو أن أفعل أشياء لأساعده أو أخدمه. لقد عرفتُ دائمًا أن حواء خُلقت كمعينة لآدم، لكن ذات يوم لفت الروح القدس انتباهي شخصيًا لهذا الأمر وأراني أنني لم أقبل دوري في أن أكون معينة لزوجي.
> الآن ألتقط جوارب زوجي وأجمع الصحف وأذكِّر نفسي أنني "أعينه". أنا شاكرة لكل المساعدات التي يقدمها لي (وهي كثيرة بالفعل)، وأبحث عن طرق لأساعده لينجز كل أعماله (أحرره من أعمال خاصة بالمنزل، وأبعد الصغار من طريقه، إلخ) بدلاً من انتظاره أن يساعدني لأنجز أعمالي. لقد كانت بالفعل دَفعة لحياتنا الزوجية.

٢٤. "إذا خضعت لزوجي فسوف أصبح تعيسة"

منذ أعوام قليلة مضت، أشعلت طائفة مسيحية كبيرة النيران في الوسط الكنسي عندما تبنت قضية معتقَد كتابي بخصوص الزواج والعائلة والذي تضمن هذا الحكم:

> على الزوجة أن تخضع بكل رضا "للقيادة الخادمة" لزوجها، تمامًا كما تخضع الكنيسة طواعيةً للرأس المسيح[١٨].

مقاومة الخضوع ليست مسألة خاصة بنساء هذه الأيام فقط. في الحقيقة، كان هذا هو جوهر القضية التي واجهتها حواء قديمًا في جنة عدن. فجوهر أسلوب الحية في الوصول إلى حواء كان هذا التحدي: هل لله الحق أن يحكم حياتك؟ في الواقع قال لها الشيطان: "تستطيعين أن تديري حياتك، ليس عليكِ أن تخضعي لسلطة أي شخص آخر."

لقد أقنع حواء أنها إذا خضعت لتوجيهات الله، فستصبح تعسة وستفوتها أشياء كثيرة في الحياة. ومن ذلك اليوم إلي يومنا، قام الشيطان بأداء بارع في إقناع النساء بأن الخضوع هو مفهوم ضيق، وسلبي ومقيِّد. لقد أخذ هذا الحق الرائع المقدس القوي، وجعله يبدو بشعًا مخيفًا وغير مرغوب فيه.

إبليس يعرف أننا إذ نرى الحق المتعلق بالخضوع كما هو في الكتاب المقدس – أحد أكثر المبادئ المحرِّرة في كلمة الله – فسوف نقبله بفرح. هو لا يحتمل أن يتركنا نختار طريق الخضوع، لأننا عندما نفعل هذا فقد تجرد من سلطته، وأصبح بدون قوة في حياتنا وفي حياة أحبائنا.

هناك مشكلة مع السلطة تقبع في مركز الطبيعة البشرية الساقطة (وأعتقد أنها في قلب نظرية المساواة بين الجنسين). نحن ببساطة لا نريد أن يخبرنا أحد ماذا نفعل. نريد

أن ندير حياتنا ونتخذ قراراتنا. الأطفال الصغار لا يريدون أن يأمرهم أحد بألا يمسوا الأشياء القابلة للكسر. والأحداث لا يريدون أن يُحدد لهم وقت عودتهم للمنزل في الليل. ونحن البالغين لا نريد أن أحدصا يقول لنا أن لا نقود السيارة بأكثر من سرعة ٦٠ كيلومترًا في الساعة في الطرق الداخلية، أو أننا يجب أن نربط حزام الأمان.

عندما يصل الأمر إلى الخضوع، فإن فكرة خضوع المرأة لسلطة الرجل هي بصفة خاصة مثيرة للاعتراض عند كثيرات من النساء، بما في ذلك، مَنْ هن في أوساطنا المسيحية، واللائي يتزايدن كثيرًا. إلى حد ما، أعتقد أن هذا بسبب عدم وجود التعليم الكتابي والفهم لمعنى وقيمة الخضوع. ومرة أخرى هنا، أشكال أكاذيب الشيطان التي لا تنتهي.

أكاذيب عن الخضوع

١. "الزوجة أقل قيمة من زوجها". الكتاب المقدس يُعلِّم أن كلاً من الرجل والمرأة مخلوقين على صورة الله، كلاهما له قيمة مساوية أمام الله، كلاهما له امتياز أن يكون موضوع النعمة المخلِّصة من خلال التوبة والإيمان (تكوين ١: ٢٧؛ غلاطية ٣: ٢٨؛ ١بطرس ٣: ٧). مسؤولية الزوجة أن تخضع لسلطة زوجها لا تجعلها أقل قيمة أو أهمية من زوجها.

٢. "كالرأس لزوجته، يسمح للرجل أن يكون خشنًا واستبداديًا مع زوجته". الوصية إلى الأزواج هي أن يحبوا زوجاتهم كأنفسهم، بذات الطريقة غير الأنانية، المضحية، الخادمة التي أحب بها الرب يسوع كنيسته ووضع حياته لأجلها (أفسس ٥: ٢٥-٢٩).

٣. "ليس للزوجة أن تبدي اقتراحًا أو تعبرّ عن آرائها لزوجها". خلق الله المرأة لتكون لزوجها «معينًا نظيره». وهذا يعني أنه يحتاج إلى معونتها. هو يحتاج إلى اقتراحاتها ورؤيتها المتبصرة التي تستطيع أن تقدِّمها في المواقف المختلفة. هذا يعني

أيضًا إنه في أية مرة تُعبِّر الزوجة، في لطف واتضاع، عما في قلبها بشأن أمر ما، إذا اختار زوجها أن يتصرف بعكس ما أشـارت به، لا بد أن تتنازل بكل رضا وتضع ثقتها في الله من جهة نتائج القرار الذي يتخذه زوجها.

٤. "الزوج دائمًا على صواب". يخاطب الرسول بطرس بصفة خاصة النساء اللاتي أزواجهن «لا يطيعون الكلمة». ربما يكون الزوج غير مؤمن، أو ربما يكون غير طائع لله في بعض النواحي من حياته. وبحسب بطرس الأولى ٣: ١ فإن الوسـيلة "رقم واحد" للتأثير في حياة مثل هذا الزوج ليسـت هى التوسـل الدامع، أو المنطق الذي لا يقاوَم، أو التذكِرة المُلحة المستمرة، بل من خلال قوة الخضوع.

كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ
لِرِجَالِكُنَّ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لاَ يُطِيعُونَ
الْكَلِمَةَ، يُرْبَحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ،
مُلاَحِظِينَ سِيرَتَكُنَّ الطَّاهِرَةَ بِخَوْفٍ

١ بطرس ٣: ١-٢

الحق المحرِّر عن الخضوع

نمـا مفهومـي للخضوع كثيـرًا عندما أدركت شـيئًا عن غرض الله من السـلطة. فقد قصد الله أن تكون السلطة وسيلة لمنح غطاء روحي وحماية.

عندمـا تقوليـن لطفلـك البالـغ من العمـر عاميـن أنه لا يجـب أن يعبر الشـارع المزدحم خارج منزلكِ بمفرده، أنت لسـتِ مسـتبدة أو قاسية؛ بل تعلمين أنه توجد

سـيارات "قاسية" في ذلك الشارع المزدحم، وأنت تتصرفين هكذا لأجل مصلحة طفلك. أنت تستخدمين سلطتك لحماية طفلك (بالرغم من أنه يغفل احتياجه إلى حماية).

عندما نضع أنفسنا تحت غطاء روحي من السلطة التي وضعها الله في حياتنا، فإن الله يحمينا. ومن الناحية الأخرى، عندما نُصر أن نتصرف حسب استحساننا الخاص ونخرج من تحت هذا الغطاء وهذه الحماية، نحن نعرِّض أنفسنا لتأثير العدو وهجماته.

أعتقد أن فشل كثير من الزوجات المسيحيات في وضع أنفسهن تحت سلطة رجالهن هو السبب الأكبر لأن نساء كثيرات عرضة لهجمات الشيطان على عقولهن، وإراداتهن، وعواطفهن. عندما نخرج من تحت السلطة سواء في الأمور الكبيرة أو في النواحي التي قد تبدو ظاهريًا ليست بهذه الأهمية – سنصبح منالاً سهلاً للعدو.

هذا لا يعني أن الزوجة إذا بقيت تحت سلطة، فسوف تكون تلقائيًا في حماية من الألم وسوء المعاملة، ولا يعني أيضًا أن سوء المعاملة هو نتيجة حتمية للمرأة التي تخرج عن أن تكون تحت السلطة الشرعية. طبقًا للكتاب المقدس، من المحتمل أن تعاني امرأة تقية، خاضعة، من الاضطهاد الذي يأتي في صورة سوء المعاملة. رسالة بطرس الرسول الأولى تعطي صورة عملية لمقاصد الله من الألم، وكيف نتجاوب عندما نُدعى لكي نتألم من أجل البر.

توجد مواقف متطرفة حيث تحتاج زوجة مطيعة أن تنتقل هى وأولادها، أو أولادها فقط، بعيدًا عن الزوج، فإن مكثت في هذا الوضع فسيواجه جميعهم خطرًا جسمانيًا. لكن، حتى في حالة مثل هذه، تستطيع المرأة – ويجب عليها – الحفاظ على موقفها باحترامها لمركز زوجها، فهدفها ليس أن تقلل من شأنه أو تقاومه كزوجها، لكن، في النهاية، أن ترى الله يرده إلى الطاعة. إذا أثارت الموقف أو صعَّدته بآرائها، أو كلماتها، أو تصرفاتها؛ فسوف تتعارض مع ما يريد الله أن يفعله في حياة زوجها، ولن تكون في

حرية للمطالبة بحماية الله وتدخله بقوة لحسابها.

إذا كنت أنتِ أو صديقة تعرفينها في مثل هذا الموقف الصعب، اطلبي من الله أن يقودك إلى مصدر للمشورة الصالحة، والأمثل أحد الشيوخ أو القادة الروحيين في كنيستك.

لقد اكتشفت أن المشكلة الأساسية فيما يخص الخضوع هي في الواقع ترجع إلى إرادتي في أن أثق في الله وأن أضع نفسي تحت سلطته. عندما أرغب في طاعته، أجد أنها ليست من الصعوبة على الإطلاق، ولا يسبب أي تهديد لي، أن أخضع لسلطة بشرية وضعها الله في حياتي.

أمثال ٢١: ١ يؤكد لنا أن «قَلْبُ الْمَلِكِ فِي يَدِ الرَّبِّ كَجَدَاوِلِ مِيَاهٍ، حَيْثُمَا شَاءَ يُمِيلُهُ». رغبتنا في أن نضع أنفسنا تحت السلطة التي قررها الله لنا هي أعظم دليل على إيماننا بعظمة الله الحقيقية.

الحق هو أن هناك سلطة أعلى تحكم كل سلطة بشرية. وفي النهاية، ليس لكائن بشري أن يحكم حياتنا؛ الخضوع يضعنا في موضع الستر والحماية بواسطة أبينا السماوي، الحكيم، المحب، كلي القدرة، والذي يحكم «قلب الملك».

السؤال هو: هل نؤمن بالفعل أن الله أكبر من أية سلطة بشرية؟ وهل نؤمن أنه عظيم بما يكفي ليغير قلب صاحب السلطة إذا لزم الأمر؟ هل نؤمن أنه عظيم بما يكفي لحمايتنا إذا كنا نأخذ مكاننا الصحيح تحت السلطة؟ هل نؤمن أنه يعرف الأفضل لنا، وهل نحن على استعداد لكي نثق فيه ليتمم قصده الرائع الأبدي لحياتنا؟

الحق، كما رأينا في ١ بطرس ٣: ١-٢، هو أن خضوع الزوجة لرجلها يفسح مجالاً لله لكي يعمل في قلبه ويحضره إلى الطاعة. بطرس يستمر ليقول إن سلوك القلب الخاضع ينشيء في المرأة هذا النوع من الجمال الأكثر لمعانًا وبقاءً:

زِينَتُكُنَّ... إِنْسَانَ الْقَلْبِ الْخَفِيَّ فِي الْعَدِيمَةِ الْفَسَادِ، زِينَةَ الرُّوحِ الْوَدِيعِ الْهَادِئِ، الَّذِي هُوَ قُدَّامَ اللهِ كَثِيرُ الثَّمَنِ. فَإِنَّهُ هكَذَا كَانَتْ قَدِيمًا النِّسَاءُ الْقِدِّيسَاتُ أَيْضًا الْمُتَوَكِّلاَتُ عَلَى اللهِ، يُزَيِّنَّ أَنْفُسَهُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ، كَمَا كَانَتْ سَارَةُ تُطِيعُ إِبْرَاهِيمَ دَاعِيَةً إِيَّاهُ: سَيِّدَهَا. الَّتِي صِرْتُنَّ أَوْلاَدَهَا، صَانِعَاتٍ خَيْرًا، وَغَيْرَ خَائِفَاتٍ خَوْفًا الْبَتَّةَ.

١ بطرس ٣: ٣-٦

خضوع الزوجة لرجلها، بصرف النظر عن حالته الروحية، هو في الواقع يطلقها من الخوف إذ قد عهدت بنفسها إلى الله، الذي له التحكم الأقصى في زوجها وفي ظروفها.

في كتابها الثري "المرأة المخلصة"، "سوزان هانت" تكوِّن رأيًا عن الفكرة الجوهرية من وراء الخضوع:

> لا أستطيع أن أقدم حُججًا منطقية للخضوع. إنه أمر يتحدى المنطق أن يتخلى المسيح عن أمجاد السماء لكي يعطينا مجد السماء. الخضوع لا يرتبط بالمنطق، لكنه يرتبط بالمحبة.
>
> لقد أحبنا الرب يسوع جدًا إلى الدرجة التى فيها أطاع بكامل إرادته حتى الموت موت الصليب. ووصيته هي أن تخضع الزوجات لرجالهن. إنها عطية لنا أن نعطي، عن طيب خاطر، للرجل الذي تعهدنا أن نحبه في طاعة للمخلِّص الذي نحب...

قال الله إن الرجل في احتياج إلى معين. المرأة المخلصة تبتهج بهذه الدعوة وتصبح مساندة له بدلاً من مخاصِمة، شفوقة بدلاً من متحكمة، شريكة بدلاً من متزعمة. يصبح لها وجود فعلي بدلاً من الخضوع الظاهري.

المرأة المخلصة لا تخاف من أن تضع نفسها في موضع الخضوع. لا يلزمها أن تتمسك، لا يلزمها أن تتحكم. خوفها يتلاشى في ضوء وعد الله أن يكون إلهها وأن يحيا بداخلها. الخضوع هو برهان ثقتها في القوة العظيمة للرب الإله. الخضوع هو انعكاس لفدائها[١٩].

٢٥. "إذا كان زوجي سلبيًا فلا بد أن آخذ المبادرة وإلا فلن ينجز شيئًا"

عندما سألنا بعض النسوة أيًا من هذه الأكاذيب الواردة في هذا الكتاب كن قد صدقنها، كانت هذه الأكذوبة الثالثة في الترتيب. لا أعرف إلا القليل من الأمور التي تمثل مصدرًا هائلاً للإحباط والفشل بالنسبة للنساء أكثر كثيرًا من "الرجال السلبيين". مرة أخرى، هذه ليست معاناة جديدة. كما هو الواقع في كثير من الأمور، كلها تعود إلى جنة عدن:

> فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ...
> فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ
> رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ.

تكوين ٣: ٦

هذه الفقرة تستحضر إلى عقلي صورة مكدِّرة، الزوجين معًا في الجنة. الحية تحاول الوصول إليهما، تتجاهل الرجل، وتبدأ الحديث مع المرأة، وهى تعلم تمامًا أن الله جعلها تحت سلطة زوجها وأن كليهما تحت سلطة الله. (لاحظي استراتيجية الشيطان ليهدم أساس سلطة الله بأن يذهب مباشرة إلى المرأة.) بدأ الشيطان المقايضة بسؤالها سؤالاً: «أحقًا قال الله، لا تأكلا من كل شجر الجنة؟» (تكوين ٣: ١) وهنا، لاحظي ما لم تفعله المرأة. لم تخبر زوجها، الذي يقف إلى جانبها. لم تقل للحية: "أحب أنكِ تتقابلين مع زوجي". لم تتحول إلى زوجها وتسأله: "عزيزي، كيف تظن أن تكون استجابتنا؟" أو "آدم، لماذا لا تخبر الحية ما قاله لك الله ". لكنها تواصل المحادثة إلى نهايتها مع الحية كما لو كان زوجها ليس موجودًا. والأكثر من هذا، عندما جاء الوقت لتقرر وتختار، تصرفت في الأمر من تلقاء نفسها. لم تستشر رجلها في الأمر، لم تسأل منه رأيًا أو توجيهًا، لكنها ببساطة تصرفت: «أخذت من ثمرها وأكلت» (ع ٦).

وماذا كان آدم يفعل طيلة هذا الوقت؟ كان يفعل ما يفعله الأزواج معظم الوقت كما أخبرتني به العديد من النساء، وهو: لا شيء. هو لا يتدخل، لا يشارك – فقط يأكل من الثمرة بنفسه عندما تقدمها له زوجته. وفجأة نجد الدور الأول منقلبًا ومعكوسًا.

خلق الله الرجل أولاً وأعطاه مسؤولية أن يقود ويقوت هؤلاء الذين هم تحت رعايته. المرأة، خُلقت من الرجل، خُلقت لتكون مستقبلة، وأن تستجيب لقيادة زوجها. حتى الاختلافات في وظائف الأعضاء بين الرجل والمرأة توضح هذه الاختلافات الأصلية الجوهرية.

فمَنْ هو الذي يقود ويقوت في هذه القصة؟ ليس الرجل بل المرأة. ومَنْ هو المستجيب؟ ليست المرأة بل الرجل. شيء غير صحيح في هذه الصورة. ومنذ ذلك الحين، لم يزل الشيء ذاته غير صحيح مع أولاد وبنات الزوجين الأولين. هذا الدور المنقلب، والمعكوس أصبح نموذجًا للطريقة التي يتعامل بها الرجال والنساء بعد السقوط، بعضهم مع البعض.

ومنـذ ذلك اليوم المشـؤوم في جنة عدن، أصبح الميل الطبيعـي للمرأة هو أن تحكم رجلها، وتتسـلط عليه، وتتصرف بالاسـتقلالية عنه [٢٠]. إن نزعتنـا الطبيعية هى أننا نأخذ السـيادة، وأن نأخذ القيادة بأنفسنا، لكن، مما يدعو للسخرية، بسبب الطريقة التي خلقنا بهـا اللـه، نحن نتطلع إلى أن نكون تابعات، وننتظر أن يأخذ أزواجنا المبادرة ويبدأوا في العمل.

كمـا كان الواقـع مع آدم وحواء في الجنة، فإن الميل الطبيعي بداخلنا أن نلوم الطرف الآخر بسبب هذه المشكلة. وكنساء نسرع في توجيه الخطإ إلى الرجال بسبب سلبيتهم، ونُصِّـر أنهـم لو لـم يكونوا خاملين بهـذا القدر – إذا كانوا يفعلون شـيئًا أصـلاً – ما كنا لنتصرف من تلقاء أنفسنا.

على مر السـنين، سـيدات كثيرات كن يخبرنني دائمًا أن سـلبية أزواجهن "دفعتهن" أن يتولين الأمر:

- "زوجي لا يعمل. إذا لم أخرج وأجد وظيفة، فسنموت جوعًا".
- "إذا تركتُ القيادة لزوجي في الشؤون المالية، فسيقودنا إلى الإفلاس".
- "هـو لا يتدخـل في حياة الأولاد. إذا لم أقم بتربيتهم وتعليمهم أن يتصرفوا حسـنًا، فسنفقد السيطرة عليهم".

بسبب مشاركتي في أنشطة متعددة، فأنا أعرف ماذا يعني أن تكوني محبطة بسبب السلبية الواضحة من جهة بعض الرجال. لقد جلسـتُ في العديد من الاجتماعات على مر السـنين – في حضور رجال أتقياء – أعضّ على لسـاني محاولةً أن أمنع نفسي من الاندفاع واستلام دفة الحوار عندما كنت أشعر أن الرجال لم يكونوا حاسمين بالقدر الكافي.

لكـن بينمـا كنتُ أراقب رجال ونسـاء وهـم يتحادثون معًـا، وأقيِّم تأثيـر ردود فعلي الشـخصية فـي مثل هـذه الجلسـات، لا أسـتطيع إلا أن أتعجب لأي مدى نحن النسـاء

قـد أحبطنا الرجال الذين من حولنا وقللنا من فاعليتهم، بتسـرعنا واندفاعنا لنتولى زمام الأمـور، بدلاً من انتظار الرب ليدفع ويحرِّك رجالاً للتصرف. من السـهل جدًا أن نجرِّد الرجـال من الدافع للوقوف أمـام التحديات ليتولوا القيادة اللازمـة. ولكي نجعل الأمر أسـوأ، فعندما يبدأون بالتصرف والقيادة بالفعل، فإن النساء اللاتي يُنتظر منهن التشجيع والتثبيت يبدأن في تصحيحهم والقول بأنه كان في إمكانهم أن يتصرفوا أفضل.

أتذكـر أنني اسـتمعت إلـى زوج يحكي كيف أنـه، منذ عدة سـنوات، عندما كان هو وزوجتـه متزوجيـن حديثًا، كان يقودهـا في وقت للصـلاة، وعندما انتهيا، بـدأت تنتقد الكيفيـة التـي كان يصلـي بها. ولـم يكن مـن المفاجـيء أن هذا الزوج قـال، بعد بضعة سـنوات، "يومهـا قررتُ أن تكون المـرة الأخيرة التي أصلي معهـا." لم يحتمل رفض رجولته. استمر الأمر هكذا لسنوات، حتى عمل الله بالنعمة من جديد في قلبه، فتشجع وتحمَّل مخاطرة أن يتقدم ليقود زوجته.

الواقـع هو، فـي معظم الأحـوال، إذا كانت المرأة سـتأخذ زمام المسـؤولية فالرجل سـيقف إلـى جانبهـا وسـيفتح لهـا الطريق. كما تشـير إلـى هذا الأمـر إليزابيـث رايس هاندفورد:

> غالبيـة الرجـال يكرهـون الدخـول فـي "خضـم الأحـداث"، ولا يحبون الارتباك وعدم النظام. وهـم يقطعون أية مسافة للحصول على الهدوء والسلام في بيوتهم. سـيدعون المرأة تتصرف كما تشـاء بدلاً من الجدال والشـجار. لكن الثمن الذي لا بد أن يدفعه الرجل هو رجولته. قبل أن تشتكي أن زوجك لا يأخـذ زمام القيـادة لبيتك، افحصي قلبك بدقة. هـل بصدق تعتمدين على حُكمه؟ هل أنت على اسـتعداد لتسلمي نفسك لقراراته؟ إن لم يكن كذلك، فـلا تتذمـري أنه لن يتولـى القيادة. فلأجل خاطر السـلام، ربما لن يكافح من أجل استرداد سلطته[٢١].

لا يمكن أن نلعب كل الأدوار ونمتلك كل ما نريد. لا نقدر أن نطلب إدارة المشـهد ثم نتوقع أن يكون الرجال فعَّالين، ويأخذون المبادرة، ويكونون "قادة روحيين".

في بعض الأوقات أسأل السيدات اللاتي يشعرن بالإحباط من عدم فعالية أزواجهن: "ماذا يحدث إن لـم تندفعي لتتصرفي في الموقف؟" تعتقدين أنكِ يجب أن تعملي في وظيفـة لأنـه لا يبحث عن وظيفـة؟ ربما إذا جاع، فسـيبحث عن عمل! أتشـعرين أنك يجـب أن تتحملـي المسـؤولية المالية لأنه غير قـادر على إدارة الأمـوال؟ ربما يتعرض للإفـلاس، لكـن قد يكون هـذا بالفعل ما يلزم لكـي يلفت الله انتباهه ويغير شـخصيته. لا بد أن تكوني مستعدة لتركه يخطيء - واثقة في النهاية، أن أمانك ليس في زوجك بل في إله كلي السيادة لن يدعك تخزين.

كُرِّمت سـارة في الكتاب المقـدس كمثال للمرأة التي كانت تهـاب زوجها وتطيعه. ولكن، في مناسـبة واحدة على الأقل، عندما لـم يتدخل الله بالسـرعة الكافية كما كانت تتوقع، سقطت في فخ محاولة التصرف من نفسها. منذ عشر سنوات، وعد الله زوجها، إبراهيم، بذرية كثيرة وأنه سـيصبح أمة عظيمة. والآن ها هي في السادسـة والسبعين من عمرها وما زالت عاقرًا. بينما كانت تنتظر بصبر نافد، قرَّرت أن شخصًا ما لا بد أن يفعل شيئًا ما، فضغطت على زوجها ليبدأ في التحرك:

كَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ اسْمُهَا هَاجَرُ، فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ أَمْسَكَنِي عَنِ الْوِلاَدَةِ. ادْخُلْ عَلَى جَارِيَتِي لَعَلِّي أُرْزَقُ مِنْهَا بَنِينَ.

تكوين ١٦: ١-٢

لجأت سارة إلى عُرف شائع في ذلك الوقت، والذي به يمكن للمرأة العاقر أن يكون لها طفل عن طريق واحدة من جواريها. في بداية الأمر، بدت خطة سارة وكأنها نجحت بطريقة هائلة، فقد حبلت هاجر سريعًا بطفل. لكن لم يستمر الأمر طويلًا ليتحول الموقف إلى مرارة، العلاقة بين الزوجة التي بلا أولاد والجارية الحُبلي لم تعُد تُحتمل، مما دفع سارة أن ترجع إلى إبراهيم لتقول: «ظُلْمِي عَلَيْكَ!» (تكوين ١٦: ٥).

وبعد ثلاث عشرة سنة، عندما بلغت سارة تسعين عامًا، تدخَّل الله بطريقة خارقة للطبيعة ليُعطي إبراهيم وسارة طفلاً من صلبهما. كان إسحاق سببًا في بركة عظمى للزوجين المسنين، ولكل الأجيال المستقبلة التي كانت ستولد بعد. أما إسماعيل، الابن المولود من اتحاد إبراهيم وهاجر، أصبح مصدرًا للصراع وللحزن بطول الحياة. كم من المرات نظرت سارة إلى الوراء بندم وقالت في نفسها: "لماذا لم أنتظر الرب؟ لماذا كان من الضروري أن أتحكم في هذا الموقف؟"

يمكننا أن نتصرف من تلقاء أنفسنا، وربما نكون قادرين حتى على تحقيق نتائج فورية. لكننا سننتهي عادةً بمذاق مُرّ في فمنا، وسنغتاظ ونلوم أولئك الذين نشعر أنهم دفعونا لأن نقوم بفعل مثل هذا التصرف.

ما الذي يمكن أن يحررنا من الاندفاع لنحكم الرجال الذين في حياتنا؟ لا بد أن نتعلم أن ننتظر الرب، ففي وقته، وبطريقته، سوف يتحرك لحساب أولئك اللاتي ينتظرنه.

انْتَظِرِ الرَّبَّ. لِيَتَشَدَّدْ وَلْيَتَشَجَّعْ قَلْبُكَ، وَانْتَظِرِ الرَّبَّ.

مزمور ٢٧: ١٤

٢٦. "الطلاق أحيانًا هو الاختيار الأفضل من البقاء في زواج فاشل"

يدفعنا العدو دائمًا لنصدِّق أنه لا توجد طريقة "صحيحة" للتعامل مع موقف يبدو ظاهريًا أن لا أمل منه. هذا التضليل أنشأ ثقافة مليئة بالزواج المحطَّم.

في الواقع، الزواج صعب، والزواج الجيد أكثر صعوبة. كل اثنين متزوجين هما "متناقضان" - إن لم يكن لأي سبب آخر، فعلى الأقل الرجال والنساء مختلفون اختلافًا شاسعًا، هذا إن لم نتكلم عن حقيقة أن كل زواج يربط اثنين هما بالطبيعة أنانيان. أيّ اثنين يعيشان تحت سقف واحد ستأتي بعض الأوقات يكونان قليلي الحساسية، فيجرح أحدهما الآخر؛ سيكون هناك سوء فهم، سوف يخفقان في مقابلة احتياجات أحدهما الآخر. المكان الوحيد الذي يتزوج فيه الناس و"يعيشون في سلام مدى الأيام" هو في الأساطير الوهمية. مطلقًا، منذ تكوين ٣، لم يكن هناك ما يسمَّى زواجًا سهلاً وبلا ألم.

ما إن يقول الزوجان "نعم" أمام تعهدات الزواج، إلا وترفع الحية رأسها الدميم وتُعِدّ العُدة لتدمير هذا الزواج. هي تعرف أن كل طلاق هو هجوم على شخص الله وعلى الصورة الرمزية للفداء الإلهي. وقبل أن ينتهي عشاء حفل الزفاف، يبحث الشيطان عن فرص ليزرع بذور الخداع والكذب في قلبيّ مَنْ تزوجا للتو.

لا يبدأ التضليل عادة بأكاذيب كبيرة؛ فغالبيتها سوف تُرفض بسرعة. لكنه يبدأ ببعض الحق، مختلطًا ببعض التضليل، يبدأ بمكر، بأفكار تبدو حقيقية، ومشاعر تبدو واقعية.

فزوجك الجديد ينسى عيد زواجكما الثاني واليوم الذي التقيتما فيه معًا. أو هو..

- يرجع متأخرًا ساعة عن موعد متفق عليه وينسى أن يتصل هاتفيًا.
- يوافق على أن كليكما يعملان في فصول الحضانة بالكنيسة، دون أن يتحدث معكِ أولاً.
- يخبر والديه أنكما ستكونان في زيارتهما لقضاء عيد الميلاد معهما، بينما أنتِ تأملين أن تقضي عيد الميلاد مع والديكِ.
- أو أية واحدة من آلاف "الإهانات" الأخرى.

أن ترعي هذه الإهانة في قلبك، بدلاً من اختيار الغفران والتخلص منها؛ هذا يعني أننا نصبح عرضة للتضليل الذي يزداد حجمًا وقوة بمرور الوقت:

- هو دائمًا لا يهتم بي.
- لا يهمه أن يجرحني.
- يستحيل العيش معه.
- هو لن يتغير أبدًا.
- "فلان" (شخص آخر في العمل أو في الكنيسة) أكثر اهتمامًا بي ويقدِّر المشاعر، ولا يعامل زوجته بهذه الطريقة.
- لا توجد طريقة لاستمرار هذا الزواج.
- لو كنت متزوجة "فلان" (الرجل "الآخر") لَكنت أكثر سعادة.
- إذا كان زوجي لا يحبني ولا يحترمني، فلي الحق أن أتركه.
- أحيانًا، لا يقدر شخصان أن يجعلا الزواج يستمر؛ يبدو أننا لم نكن لبعضنا البعض.
- من الأفضل لي أن أحصل على الطلاق من أن أظل في زواج تعيس.
- لا يوجد لديَّ أي بديل، لا يمكن أن أبقى في رباط زوجي معه.

أقنعت الزوجة في هذا المشهد نفسها أن زوجها مذنب كليةً (أو بنسبة كبيرة). إنها عمياء عن الاحتياجات أو الأخطاء في حياتها الشخصية – أو على الأقل هي ليست

منزعجة من أخطائها كما من أخطائه. إنها ترى أخطاءه من خلال ميكروسكوب، وترى أخطاءها من خلال التلسكوب. لا ترى نفسها مخطئة، وأنها تحتاج إلى نعمة الله مثله تمامًا.

علاوة على ذلك، فحياتها تتمركز حول نفسها: سعادتها وألمها. وترغب في حل مشكلاتها ومقابلة احتياجاتها أكثر من عملية التجديد والتنقية في حياتها، وفي حياة زوجها كذلك. ليس لديها بصيرة لكيفية استخدام الله لها كأداة للنعمة في حياة زوجها، أو لا ترغب في دفع الثمن لتكون هذه الأداة.

وما هو أكثر أهمية، أنها تركت الله خارج الصورة. فهي لا ترى مقاصده المقدسة لزواجها. ولا ترى كيف أن عيوب زوجها والصعوبات في زواجها يمكن أن تساهم جميعها في تحقيق هذه المقاصد. إنها لا تمارس الإيمان بقوة الله الفائقة القادرة أن تغيِّرها، وتغيِّر زوجها، وتغيِّر هذا الزواج، إلى شيء فائق الجمال والقيمة. وفي رغبة للخروج من هذا الزواج، فهي ترفع سعادتها الشخصية فوق ما يقوله الله عن استمرارية عهود الزواج وخطورة كسر تلك العهود.

إنه هذا النوع من التفكير الذي قاد "أنيت" أن تستنتج:

> لي الحق في أن أكون سعيدة. مضى ما يقرب من نصف عمري، وأنا أستحق أن أقضي ما تبقي منه في سعادة زوجية مع شخص يحبني ويهتم بي - وبالطبع ليس زوجي.

سنوات من الألم المتزايد، إن لم يُعَالَج وفقًا لمنهج الله، فقد يقود الشخص إلى تفسير الأشياء بطريقة لم يفكِّر أنه قد يصدقها أبدًا، وأن يبرر اختيارات لم يفكر أنه قد يتخذها أبدًا. إنَّ تقسي القلب والحالة اليائسة المترتبة على ذلك هي الدليل الذي يعلن السقوط في فَخِّ المُضِلّ والوقوع في شرك خداعه.

الطريقـة الوحيدة لكسـر هذه الدورة والتحرر منها هـو أن نرفض هذه الأكاذيب التي سيطرت على العقل والعواطف ونواجه هذه الأكاذيب بالحق، كما أعلن الله في كلمته. الحق هو...

- لايوجد زواج لا يستطيع الله أن يبرئه من علله. ولا يوجد شـخص لا يستطيع الله أن يغيِّره.
- الغرض الأساسـي من الزواج ليس أن نكون سـعداء، بل أن نمجِّد الله ونعكس محبته المخلِّصة والمتعهدة.
- يسـتخدم الله الحد الخشـن لكل شـريك في الزواج، لكي يجعل الآخر مشابهًا صورة المسـيح. إن ضعفـات زوجك يمكـن أن تكون أداة فـي يد الله لتجعلـك المرأة التي خلقك لتكوني.
- المحبة الحقيقية– محبة الله – هي بلا شروط ولا تسقط أبدًا. لا نقدر أن نحب شخصًا آخر من تلقاء أنفسنا. لكن الله يستطيع أن يحب أي شخص من خلالنا، إن كنا بإرادتنا نسـمح له بذلك. المحبة ليست شعورًا، إنها تعهد للسلوك بما يرضي الآخر. وبنعمة اللـه، يمكـن أن نختار أن نحب أي شـخص، حتى لو لـم يكن لـدينا مشـاعر دافئة تجاه ذلك الشخص.
- الـزواج عهد. والله إله حافظ العهد. لقد حفظ مواعيده لشـعبه الأرضي، حتى عندما كانـوا زناة روحيًـا وطلبوا محبيـن آخرين (انظـري إرميـا١١: ١٠؛ حزقيال ٢٠: ١٦؛ هوشـع ٢: ١٣). الرب يسوع يحفظ مواعيده لعروسه – الكنيسة – حتى عندما نكون غير أمناء لـه. ولأنـه أمين في حفظ وعوده، فليس صحيحًا على الإطلاق أن نكسـر عهد الزواج المُرَاد منه أن يكون صورة لعلاقة الخلاص والفداء بين الله وشعبه.
- أوصانا الله أن نغفر بلا حدود.
- إخلاصك ورغبتك في اسـتمرار المحبة المضحية لشريك حياتك ربما تكون الوسيلة

لشفائه الروحي، تمامًا كما كانت آلام المسيح هى الوسيلة التي بها شُفينا (١بطرس ٢: ٢٤-٢٥، ١كورنثوس ٧: ١٢-١٤).

- لن تحلّي مشكلاتك بوضع زوج نعال جديد تحت سريرك (طبقًا للإحصائيات، فإن معدل الطلاق في الزواج الثاني هو أعلى من الزواج الأول).
- نعمة الله كافية لتجعلك قادرة أن تكوني أمينة لزوجك، وأن تحبّي وتغفري بلا حدود.
- الله لن يهملك أبدًا. وبصرف النظر عما يجب أن تحتمليه فسوف يكون هناك ليحملك.
- مكافأة الأمانة ربما لا تحصلين عليها كاملةً في هذه الحياة حتى تصلي إلى الأبدية. لكن الأمانة ستكافأ وستكون جديرة بالانتظار!

منذ سنوات مضت، سلَّمتني سيدة قصاصة ورقية بعدما استمعت لي متحدثة في أحد المؤتمرات. كانت الكتابة بخط اليد في أعلى الصفحة تقول:

الغفران هو الطريقة الوحيدة للحصول على أفضل ما لدى الله!

ثم تبعتها سلسلة من الجمل الفردية التي رسمت الخطوط العريضة للقصة المؤثرة لهذه السيدة التي انتقلت من التضليل إلى الحق، ومن العبودية إلى الحرية.

- منذ سنوات كثيرة مضت، أخطأ زوجي إليَّ.
- أرسلتُ طلبًا للطلاق.
- استلمت مذكرة من صديق كانت زوجته قد ماتت. كانت المذكرة تقول ببساطة، "اتضعي".
- فعلت ذلك، بلا سرور، وبلا رضا.
- كلما اتضعتُ أكثر وسعيتُ لأحب زوجي، كلما أصبح أكثر روعة كرجل لله.

- أصبحت أفتخر بأنني زوجته. في الواقع كنت أستمتع بذلك! (كثيرًا.)
- في مساء ليلة عيد الميلاد، كنا نعانق بعضنا البعض في دهشة. لقد أعاد الله الحياة إلى زواجنا من جميع الأوجه بأكثر كثيرًا مما كنا نحلم.
- ديسمبر ٢٦، صلينا معًا وطوق أحدنا الآخر. قبَّلته قبلة الوداع. وبعد ساعة، كان قد فارق الحياة.
- لقد أحسن الله إليَّ بعطية "عدم الندم". على قدر صعوبة الحياة بدونه، لكنها يسيرة، حيث لا يوجد ندم.
- أود أن أقول للمرأة المتزوجة: لا تضيعي الوقت الغالي الذي يمكنك فيه تلقِّي أفضل عطايا الله لحياتك. اتضعي. أفسحي لزوجك مساحة ووقتًا ليكون رجل الله. إن الأمر يحتاج وقتًا وتضحية، لكن البركة مدهشة!

لقد حوَّل العدو الزواج إلى فوضى وسخرية. ونتج عن أكاذيبه أعداد بلا حصر من الحياة والبيوت المحطمة. الحق فقط له القدرة على الفداء، والشفاء، والإحياء.

الأكذوبة

٢١. لابد أن يكون لي زوج لأكون سعيدة.

الحق

- السعادة غير موجودة داخل (أو خارج) الزواج.

يعقوب ١: ١٦-١٧

- لا يوجد شخص يقدر أن يقابل أعمق احتياجاتي. لا أحد، ولا شيء، يستطيع أن يسعدني بالفعل، بعيدًا عن الله.

مزمور ٦٢: ٥؛ ١١٨: ٨-٩؛ إرميا ١٧: ٥-٧

- وعد الله أن يمنح كل ما أحتاج إليه. إذا كان الله سيتمجد في أن أكون متزوجة، فسوف يعطيني زوجًا.

١أخبار ٢٩: ١١-١٢؛ أيوب ٤٢: ١-٢؛ أمثال ١٦: ٩؛ ١كورنثوس ٧: ٢٥-٣٨

- اللاتي ينتظرن الرب، دائمًا يحصلن على أفضل ما عنده. واللاتي بإصرار يحصلن على ما يُردن غالبًا ما ينتهي بهن الأمر إلى الحزن.

مزمور ٣٧: ٤؛ ١٠٦: ١٥؛ إرميا ١٧: ٥-٨

الأكذوبة

٢٢. إنها مسؤوليتي لأغير زوجي

الحق

- حياة التقوى، والصلاة، هما أعظم وسيلتين للزوجة للتأثير على حياة زوجها.

يعقوب ٥: ١٦؛ ١بطرس ٣: ١-٤

- إنه أبعد أثر للمرأة أن ترفع دعواها إلى الرب ليُغير زوجها من أن تمارس ضغطًا مباشرًا عليه.

أمثال ١٧: ١؛ ١٩: ١٣؛ ٢١: ١، ٩

الأكذوبة

٢٣. من المفترض أن يخدمني زوجي

الحق

- إذا انتظرت أن أُخدَم، فغالبًا سأُحبَط. إن سعيت لخدمة الآخرين، دون أن أنتظر شيئًا في المقابل، فلن أُحبط أبدًا.

أمثال ٣١: ١٠-٣١

- الله خلق المرأة لتكون مُعينة للرجل.

تكوين ٢: ١٨

- لن نشابه الرب يسوع أكثر إلا عندما نخدم الآخرين.

يوحنا ١٣: ٥

الأكذوبة

٢٤. إذا خضعت لزوجي فسوف أصبح تعيسة

الحق

- الخضوع يضعني تحت ستر وحماية الله الذي يحكم "قلب الملك."
أمثال ٢١: ١
- عندما أخرج من تحت السلطة أكون هدفًا لهجمات العدو.
رومية ١٣: ١-٥
- إرادتي في أن أضع نفسي تحت السلطة التي قررها الله هي أعظم دليل على إيماني بعظمة الله الحقيقية.
أفسس ٥: ٢١-٢٢
- الخضوع الموقّر هو أعظم وسيلة للتأثير في الزوج غير السائر مع الله.
ابطرس ٣: ٣-٦
- تجاوب الزوجة مع سلطة زوجها يجب أن يعلن الطريقة التي تخضع بها الكنيسة لسلطة الرب يسوع.
أفسس ٥: ٢٢-٢٣

الأكذوبة

٢٥. إذا كان زوجي سلبيًا فلا بد أن آخذ المبادرة وإلا فلن ينجز شيئـًا

الحق

- خلق الله الرجل ليقود والمرأة لكي تخضع.
تكوين ٣: ٦
- إذا أخذت المرأة الحكم والقيادة بدلاً من انتظار الرب ليحرِّك زوجها، فالأرجح أن زوجها سيكون أقل تحفُّزًا ليتمم المسؤولية المعطاة له من الله.
تكوين ١٦: ١-٢؛ مزمور ٢٧: ١٤

الأكذوبة

٢٦. الطلاق أحيانًا هو الاختيار الأفضل من البقاء في زواج فاشل

الحق

- الزواج عهد يستمر بطول الحياة، ويُقصد منه أن يعكس قلب الله حافظ العهد. فكما أنه أمين لعهده، كذلك نحن يجب أن نكون أمناء في حفظ عهد الزواج.
تكوين ٢: ١٨-٢٤؛ جامعة ٥: ٤-٦؛ ملاخي ٢: ١٣-١٦؛ مرقس ١٠: ٢-١٢
- لا يوجد زواج لا يقدر الله أن يبرئه من علله. ولا يوجد شخص لا يستطيع الله أن يغيره.
مرقس ١١: ٢٥؛ متى ٥: ٤٤؛ ١٨: ٢١-٢٢
- يستخدم الله الحد الخشن لكل شريك في الزواج ليجعل الآخر مشابهًا لصورة المسيح.
أفسس ٥: ٢٤-٢٧
- نعمة الله تكفي لتجعلك قادرة أن تكوني أمينة لزوجك، وأن تحبّي و تغفري بلا حدود.
٢كورنثوس ١٢: ٩

تطبيقات عملية

١- وافقي الله

ما هي الأكاذيب التي صدّقتيها عن الزواج؟

٢- تحملي المسؤولية

كيف ظهر تصديقك لهذه الأكاذيب في أسلوب الحياة التي تعيشينها (مثلاً في مواقف، أفعال...)؟

٣- أعلني الحق

اقــرأي بصوت مرتفع كل جزء من أجزاء الحق الواردة في الصفحة الســابقة. أيٌّ منها تحتاجين أن تتمسكي بها بصفة خاصة في هذا الوقت؟

جدّدي ذهنك (تفكيرك) بكلمة الله. اقرأي الأجزاء التالية بصوت مرتفع. ماذا توضح هذه الفقرات عن نظرة الله للزواج بصفة عامة، ودور الزوجة بصفة خاصة؟

مرقس ١٠ : ٦-٩

أمثال ٣١: ١٠-١٢

أفسس ٥: ٢٢-٢٤، ٣٢-٣٣

---

١ بطرس ٣: ١-٦

٤- تصرفي طبقًا للحق.

ما هي الخطوة (أو الخطوات) الفعلية للتصرف التي تحتاجين أن تتخذيها لتتوافق حياتك مع الحق؟

٥- اطلبي من الله أن يساعدك للسلوك في الحق.

أبي السماوي، أشكرك لأجل تصميمك لمؤسسة الزواج. أشكرك لأجل الصورة الأرضية التي تعطيها عن عهد محبتك، وخطتك العظيمة للفداء، وعلاقة الرب يسوع بالكنيسة. من فضلك أرني أين قبلتُ أو حتى ساعدتُ في الترويج لفكر عن الزواج لم يكن موافقًا تمامًا لفكر الكتاب. أعترف أنه حتى أفضل زوج بشري يقصِّر جدًا إزاء ما قصدته، لأننا متكبرين، ونتمحور حول أنفسنا. أشكرك لأجل نعمتك القادرة أنٍ تمكن الرجال من محبة وقيادة زوجاتهم كما يحب المسيح عروسه ويقودها، والقادرة أن تمكن النساء أن يهبن أزواجهن ويخضعن لهم كما تخضع الكنيسة لعريسها.

[المتزوجة]: لأنك أمين لعهدك، أسلِّم نفسي لأكون أمينة لزوجي ما دمنا كلينا على قيد الحياة. من فضلك ساعدني لكي أحبه كما أوصيت أنت (تيطس ٢: ٤)، لأغفر وأحتمل ضعفاته، لأكرمه كالرأس، ولأخضع له بطريقة تجذب الآخرين ليخضعوا للمسيح. امنحني أن أتّزر بالروح الطاهر، الوديع، الهادئ، حتى في تلك الأمور التي لا يسلك فيها زوجي في طاعتك، حتى أربحه لك.

[غير المتزوجة]: عرفني كيف أشجِّع، وأحمي، وأحفظ زواج أخريات. احفظني طاهرة، لكي لا أتعدي على قداسة عهد زواج أخر. أشكرك لأجل الرب يسوع، الذي هو عريسنا السماوي. ليتني أكون مكرَّسة له، وأسعى للقرب منه، وليتني أكتفي بكل ما لي فيه.

في اسم الرب يسوع. آمين.



الفصل السابع

أكاذيب تصدقها المرأة

... عن الأبناء

مذكراتي العزيزة،

آدم يتحدث عن إنجاب طفل آخر. أنا لست واثقة من هذه الفكرة. أحب أولادنا أكثر من أي شيء في العالم. لكن أن تكوني أمًا فهذا عمل شاق!

حدثت مؤخّرًا مشـاحنات كثيرة بين الولدين. يبدو أن قايين لم يشعر قطّ بأنه مساوٍ لأخيه الأصغر. وكأن لديه شيئًا يريد أن يثبته. سلوكه يتغير من رديء إلى أردأ. ينسحب بعيـدًا بطريقة غير معتـادة، وفي بعض الأوقات يصبح متجهم الوجـه ومكتئبًا. لا يريد التحدث والتواصل. أحاول وأحاول أن أشجّعه، لكن لا شيء مما أقوله يبدو مفيدًا. اعتاد من قبل أن يكون قريبًا من الله، لكنه الآن يقول إنه غير متأكد من وجود الله.

والده محبط منه جدًا. يبدو أنهما لا يقدران على التوافق. أحيانًا أشـعر أن آدم يقسـو عليه جدًا. وأذكره أننا نحن أيضًا في وقتٍ ما كنا قد اختبرنا بعضًا من هذه الصراعات.

وكأم، أشـعر بعدم القدرة على إصلاح أولادي. إنني قلقة من جهة تأثير كل هذه الأشياء على هابيل. لا أقدر أن أتصور كيف يظن آدم أننا سنقدر أن ندبر أمر طفل آخر.

لا يوجد قدر أعظم من الفرح والحب، أو خيبة الأمل والمعاناة، كتلك التي توجد في قلب الأم، سـواء كان ابنها نجمًا رياضيًا أو متعثرًا في خطواته، سـواء كان عملاقًا فكريًا أو متخلفًا عقليًا، سـواء كان يكبر ليصبح رئيس شـركة أو ليكون مجرمًا قاسـيًا؛ فهي لا تتوقف عن أن تأمل، وتحلم، وتشتاق إلى ذلك الطفل الذي حملته يومًا بين ذراعيها.

فـي هـذه العلاقة بالغة الحساسـية - مـع دمهن ولحمهن - تجد معظم النسـاء أنفسـهن عرضـة بصفة خاصة للتضليل. وكما في كل منطقة أخرى، لدى الشـيطان مسـتودع ضخم من الأكاذيب التي يستخدمها ليضلّ ويخدع المرأة في علاقتها مع أبنائها وفي دورها كأم.

إن هدف الشيطان في نشر هذه الأكاذيب ليس فقط أن يضع الأم في عبودية، بل أن ينقل هذا الخداع للجيل اللاحق، فلا يعرفون الحق أبدًا ولا يختبرون قوته المحرِّرة على الإطلاق.

فـي هذا الفصل نريد أن نركِّز على عدد من الأكاذيب الماكرة وأنصاف الحقائق التي أصبحت مقبولة على نطاق واسـع في ثقافتنا المسـيحية المعاصرة. هذه الطرق الخاطئة مـن التفكيـر أنتجت عواقب مكلفـة في بيوتنا المسـيحية، عواقب سـتكبر أكثر جدًا في الأجيال المقبلة إذا لم ندرك ونرفض الأكاذيب ونستبدلها بالحق.

٢٧. "إنه أمر يخصنا أن نحدِّد حجم العائلة"

هذا الصباح أخبرتني صديقة تعيش في ولاية أخرى أنها تنتظر طفلها الرابع. وفرحت هـي وزوجها بهذه الأخبار، لكنهما اكتشـفا أن ليس الجميع يشـاركونهما حماسـتهما.

قالت لي "في الواقع، إن بعضًا من أقسى التعليقات التي سمعناها كانت من أناس في داخل كنيستنا". اعترفت صديقتي أن ردود الفعل السلبية هذه كانت سببًا في أنها تتساءل أحيانًا، "هل أنا التي فقدت عقلي؟"

الله هو الخالق، والمبدع، ومعطي الحياة. فليس بالشيء الغريب أن الشيطان، حال كونه عدو الله اللدود، يكره الحياة. لقد سعى دائمًا لتحطيمها. وسبق أن أقنع آدم وحواء أن يأكلا من الثمرة المحرمة، وهو يعرف أنهما لو فعلا، فسوف يموتان، كما قال الله. وعندما أنجب آدم وحواء ابنيهما، حرَّض الشيطان الابن الأكبر ليقتل أخاه الأصغر.

الشيطان هو السارق الذي تكلم عنه المسيح والذي «لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ» (يوحنا ١٠: ١٠). إن قصده واستراتيجيته هما على العكس تمامًا من خطة الله، لأن المسيح في نفس الآية يقول: «وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ».

وكمدمِّر للحياة، فإن الشيطان بالتأكيد لا يرغب في تشجيع الإنجاب. فكل طفل مولود له القدرة على أن يعيق أهدافه بقبوله نعمة الله وصيرورته تابعًا لملكوت الله. وأي شيء يعوق النساء ويثنيهن عن تتميم الدعوة المعطاة لهن من الله ليكنَّ حاملات للحياة وحاضنات لها، من شأنه أن يزيد من مجهودات الشيطان.

الإجهاض، وقتل الأطفال، والمثلية الجنسية؛ هي أمثلة للممارسات المحطِّمة للحياة، والتي أصبحت جائزة على نطاق واسع في مجتمعاتنا. المسيحيون الذين يؤمنون بالكتاب المقدس بصفة عامة قادرون على دحض مثل هذه الممارسات الشيطانية الصارخة بسرعة. ومع ذلك، فالعالم المسيحي - متضمنًا الكثير من الآراء الصريحة "لمعارضي الإجهاض" - وصل إلى قبول عدد من الفلسفات والممارسات الخبيثة التي هي "ضد الأبناء" و "ضد الحياة".

واحدة من المعتقدات الأساسية لنظرية المساواة بين الجنسين كانت دائمًا حق المرأة

في أن تقرِّر لنفسها إذا كانت تريد، ومتي تريد، أن تنجب أطفالاً، وكم عدد الأطفال الذين ستنجبهم. تحدثت "شولميث فيرستون"، وهي مفكِّرة مؤيدة للمساواة بين الجنسين وكاتبة في الستينات والسبعينات، عن حركة المساواة عندما قالت بإصرار: "إن لُب ظلم المرأة هو دورها في إنجاب الأولاد وتربيتهم"[٢٢].

لقد تأثر العالم المسيحي، دون أن يدري، بهذا الأسلوب من التفكير، مما أدى إلى إضفاء الشرعية والترويج لمثل هذه الممارسات، ومنها منع الحمل، والعقم الصناعي، وتحديد النسل. وكنتيجة لذلك، ملايين من النساء والأزواج المسيحيين، قد ساعدوا دون أن يعلموا، في دفع محاولات الشيطان لتحديد التوالد البشري، وبالتالى هدم وتحطيم الحياة.

وكما تشير "ماري برايد" في كتابها المؤثر "الطريق إلى البيت"،

> تحديد النسل هو أبو الإجهاض. فقد كان يجب أن جيلاً يعتنق مفهوم تحديد النسل وفقًا للقناعات الشخصية، قبل أن يكون الإجهاض شيئًا شائعًا بين العامة. نحن المسيحيين نرفع صرخة عالية ضد الإجهاض اليوم، وحسنًا نفعل. لكن السبب في أننا يجب أن نخوض تلك المعارك اليوم هو أننا خسرناها منذ ثلاثين عامًا مضت. فحالما بدأ الزوجان يفكران في الأطفال كشيء من صُنعهما الخاص، يمكن أن يخططا لوجودهم في حياتهما حسبما يختارون أو لا يختارون، فقد ضاعت كل مهابة وقيمة للحياة الإنسانية...
>
> الإجهاض هو اتجاه قلب؛ "أنا أولاً"، "وظيفتي أولاً"، "سمعتي أولاً"، "ما يلائمني أولاً"، "ظروفي المادية أولاً". وهذه الاختيارات بعينها هي ما يعنيه تحديد النسل تمامًا، والذي تعززه الكنائس لمدة ثلاثين عامًا[٢٣].

إن التقدير الذي على أساسه معظم الناس - حتى "المؤمنين"- يحدِّدون حجم عائلاتهم يكون مدفوعًا غالبًا بالخوف، والأنانية، والأسباب الإنسانية الطبيعية مثل:

- "كيف سنقدر أن نقوم بأعباء مزيد من الأطفال؟ نحن بالكاد نوفر لأولادنا الآن. وماذا عن التكاليف الجامعية؟".
- "لا أستطيع جسمانيًا أن أحتمل مزيدًا من الأطفال. أشعر بالإعياء لمحاولة الاعتناء بالطفلين اللذين عندي الآن".
- "ليس لديَّ الصبر لأدبِّر أمر أطفال كثيرين".
- "إن أنجبنا أطفالاً آخرين، فلن يكون هناك وقت لنقضيه كلينا معًا".
- "أصدقائي (أو والديَّ) سيعتقدون أننا مجانين إن أنجبنا أطفالاً جدد. إنهم يعتقدون أن لدينا الكثير الآن".
- "إن تركنا الرب يقرِّر لنا كم طفلاً ننجب، سيكون لنا دستتان من الأطفال!"

العالم يقول: "الأبناء عبء". وكلمة الله تقول الأبناء هم أعظم بركة يمكن أن يعطيها الله للزوجين (مزمور ١٢٧: ٣-٥). لكننا ما زلنا ننظر إلى السماء ونقول: "يا الله، من فضلك لا ترسل مزيدًا من البركات!"

العالم يقول: "الغرض من الزواج هو أن يجعلك سعيدة. وهذا ربما يتضمن، أو لا يتضمن، وجود أطفال." وعلى الجانب الآخر، كلمة الله تعلِّم أن أحد الأغراض الحيوية للزواج هو إنجاب الأولاد الذين يخافون الرب ويكرمونه (ملاخي ٢: ١٥).

تذكِّرنا رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس أن إنجاب الأولاد هو دور أساسي، معطى من الله للنساء. ينصح الرسول بولس الأرامل الحدثات أن «يَتَزَوَّجْنَ وَيَلِدْنَ الأَوْلاَدَ وَيُدَبِّرْنَ الْبُيُوتَ، وَلاَ يُعْطِينَ عِلَّةً لِلْمُقَاوِمِ مِنْ أَجْلِ الشَّتْمِ» (١ تيموثاوس ٥: ١٤). في آخر عدد من الأصحاح الثاني، يقول إن النساء: «سَتَخْلُصُ بِوِلاَدَةِ الأَوْلاَدِ، إِنْ ثَبَتْنَ فِي الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْقَدَاسَةِ مَعَ التَّعَقُّلِ».

بالطبع، هذا لا يوحي بأن المرأة يمكن أن تحصل على الخلاص الأبدي بواسطة إنجاب الأولاد. هذا العدد له نفس التركيب اللغوي الذي لنصيحة بولس لتيموثاوس (١٦:٤): «لاَحِظْ نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمْ عَلَى ذلِكَ، لأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هذَا، تُخَلِّصُ نَفْسَكَ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَكَ أَيْضًا».

يقول بولس إن الوعظ كان دور تيموثاوس، وأن المثابرة على تتميم دعوته سيصاحبها تحول حقيقي. لم يكن الوعظ وسيلة لخلاص تيموثاوس، لكن ثمرة حتمية له. وبالطريقة ذاتها؛ فإن إرادة المرأة في أن تقبل – بدلاً من أن تتجنب – دورها المعطى لها من الله ودعوته لها ("الإنجاب") هي ثمرة حتمية تصاحب الخلاص الحقيقي – إنها دليل أنها تنتمي إلى الله وأنها تتبع طرقه.

(هذا لا يعني أن كل النساء مدعوات من الله للزواج والإنجاب، لكن ببساطة، بصفة عامة، هذا هو الدور المركزي الذي عيَّنه الله للنساء.)

مريم التي من الناصرة، مثال رائع للمرأة التي تُظهر الإيمان عن طريق استعدادها لإنجاب طفل، حتى عندما لم يكن في توقيتها هي. بإمكاننا أن نتصور الاعتراضات التي ربما اختبرها قلب هذه الشابة الصغيرة عندما أعلن لها الملاك أنها ستلد ابنًا:

- "أنا صغيرة جدًا على ذلك! لست على استعداد أن أحتضن طفلاً."
- "لن أقدر أن أقضي وقتًا مع يوسف ومع أصدقائي إذا تقيَّدتُ بطفل."
- "أريد أن أستقر ببيتي الجديد أولاً."
- "ماذا سيقول الناس عني، لن يفهم أحد."
- "لا نقدر على تحمل أعباء طفل بعد. يوسف بالكاد يقدر على تسيير عمله."
- "سيولد الطفل خلال وقت إجراء التعداد السكاني لقيصر، ولن أكون حتى قد وصلت إلى البيت!"

لا توجد أية إشارة لمثل هذا التردد أو التحفظ من جانب مريم. كانت إجابتها بكل

بسـاطة: «هُوَذَا أَنَـا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِـي كَقَوْلِكَ» (لوقـا ١: ٣٨). وكأنها في الواقع تقول: "أنت ربي. وأنا أَمَتك. جسـدي هو ملكك، أنا أقبل كل تعب أو صعوبة سيسـببها لي هـذا الأمـر. كل ما يهمني هـو تتميم القصد الذي لأجله خلقتني. وبكل سـرور أسـلِّم نفسي لكي تستخدمني حسب مشيئتك."

كم أنا شاكرة، من أجل أمٍّ استجابت بذات الطريقة لدعوة الله في حياتها. عندما تزوجت "نانسـي سوسـومون" من "آرت دي ماس" في عمر التاسعة عشر، وهي شخصية موسيقية موهوبة، كانت خطتهما أن ينتظرا خمسة سنوات على الأقل قبل أن ينجبا أطفالاً حتى تتمكن مـن مواصلـة مهنتها فـي الأداء الغنائي. لكن كان للـرب مخطَّط آخر. ففـي خلال الخمس السنوات الأولى لزواجها، أعطاهما الرب ستة أطفال! وفي ذات الوقت كانت والدتي تساعد والدي ليبدأ عملاً خاصًا به. وطوال تلك السـنوات المبكرة من الزواج وإنجاب الأولاد، ثم زيادة طفل سـابع بعد بضعة سـنوات، كانت ترحِّب بكل طفلٍ أعطاها الله. لم أسمع والدتي قَطّ تعبِّر عن أي شيء إلا الشكر من أجل بركة إنجاب الأطفال وكونها أمًّا.

مريم التي من الناصرة ووالدتي، سيدتان تشبَّهان بالرب يسوع، الذي رحب بالأطفال في حياته، وخصَّص وقتًا لهم، وحرَّض أتباعه أن يفعلوا هكذا (متى ١٩: ١٣-١٥).

٢٨ "يحتاج الأبناء أن ينفتحوا على "العالم الحقيقي" ليتعلموا تأدية عملهم فيه بفاعلية"

إذا لم يقدر الشـيطان أن يمنع النســاء المؤمنات من إنجاب الأطفال، فسـيفعل ما في وسـعه ليخدعهن من جهة الكيفية التي يجب أن يكون عليها أولادهن. سـوف يستخدم

مـع الوالدين ذات التكتيك الذي استخدمه مع حـواء. لقد أقنعها أنـه بأكلها من الثمرة المحرمـة، سـوف تتعلم شـيئًا كانت تحتاج أن تعرفـه: «يَوْمَ تَـأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِـحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ... عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّـرَّ». » (تكوين ٣: ٥). كان الشـيطان محقًّا؛ فعندما أكلت حواء، انفتحت عيناها (ع٧)، وتعلَّمت شيئًا لم تعرفه من قبل: اختبار الشر. ونتيجة هذه المعرفة كانت الخزي، والذنب، والابتعاد عن الله وعن زوجها.

لم يقصد الله أبدًا، لكِ ولي، أن نعرف الشر باختباره بأنفسنا. بل رغبته هي أننا يجب أن نكون «حُكَمَاءَ لِلْخَيْرِ وَبُسَـطَاءَ لِلشَّرِّ» (رومية ١٦: ١٩). لكن الشيطان يقول: "لا بد أن تتذوقيه بنفسك." ويقول للوالدين: "أولادكم يحتاجون أن يتذوَّقوه بأنفسهم. إن كنتم تحمونهم من العالم الحقيقي، فلن يقدروا أبدًا أن يندمجوا معه ويظلوا أحياءً فيه."

الحق هو، أن واجبنا ليس أن نربي أولادًا "يندمجون مع" العالم أو أن "يبقوا على قيد الحياة" فحسب. فالتحدي لكل أب وأم مؤمنين أن يربّيا أولادًا يحبّون الله بكل قلوبهم ونفوسهم وأفكارهم وقوتهم، لهم علاقة حَيَّة وشخصية مع الرب يسوع، وحياتهم لامعة كأنوار مضيئة، تخترق الظلام الذي حولهم. الوالدان المسـيحيان يجب أن ينشـئا ليس فقط أولادًا يتمتعون "بالكياسة" بل أولادًا يقبلون الحق بشغف وحماسة، أولادًا يحبّون البر ويبغضون الشر، أولادًا يستخدمهم الله لتغيير هذا العالم.

لا أستطيع أن أقدم شكرًا كافيًا للرب لقيادته لوالديَّ أن يغرسا فينا حبًّا عميقًا للقداسة وبغضًا شديدًا للخطية، ليس بدافع الخوف مما قد يسبِّبه لنا المجتمع من حولنا، قدر ما هو بدافع مهابة ومحبة الرب.

وبالرغـم مـن أنهما كانـا قادريـن أن يلحقانا بواحدة مـن أفضل المـدارس العلمانية بمنطقتنـا، لكنهمـا اختارا بـدلاً من ذلك أن يودعانا مدرسـة مسـيحية أقل كفـاءة. كان البعـض يجـادل أننـا ربما كنا سـنتلقى مسـتوى أفضل مـن التعليم في مـكان آخر، لكن والـديَّ فهمـا أن «رأس الحكمة مخافة الرب»، وأن أفضل إعداد للحياة هو التدريب في

حق كلمة الله؛ إذ أنها تحوي كل ما يمكن أن يحويه أي انضباط أكاديمي.

لقد اتخذا خطوات عملية لحماية عقولنا وقلوبنا الصغيرة من التعرض لمبادئ وتأثيرات نظام هذا العالم. أعطي الله أمي حسًّا مرهفًا وفطنة لبعض الأشياء ربما لا يفكر فيها على الإطلاق كثير من الآباء والأمهات هذه الأيام. فعلى سبيل المثال، في حين كانت كل البنات الصغيرات تقريبًا يلعبن "بعرائس باربي"، كنا بالكاد نعرف ما هي تلك اللعبة. وبالحكمة أدركت أنه بالنسبة لبنات صغيرات، أنْ يلعبن بعرائس لهن قوام كامل النمو لن يساعد في غرس النظرة المقدسة عن الجنس.

عندما كنت طفلة صغيرة، كانت بلادنا في معانة شديدة بسبب العصيان، والشغب وأحداث الثورة. والمختلفون في الرأي رفعوا صوتهم بمعارضتهم للحرب في فيتنام بمسيراتهم في الشوارع وحرقهم للأعلام. وكان ملايين من الشباب يُفرطون في المخدرات، والجنس، وموسيقي الروك. و حكمت المحكمة العليا أن النساء لها الحق الشرعي في الإجهاض. كان "خرشوف" يهدد بدفن الولايات المتحدة. كنا ندرك ما يحدث من كل هذه التطورات، لكن لم نكن لنستمع إليها في أخبار المساء. كان والديَّ يعتقدان أن بعض الموضوعات ليست مناسبة لعقول الأطفال ليفكروا بها، وشعروا بمسؤولية أن يشكِّلوا رؤيتنا عن ما كان يحدث في العالم.

والنتيجة؟ كنت كشابة صغيرة السن تحت حماية كبيرة. لا أذكر أبدًا سماع كلمة بذيئة قبل أن أتخرج من المدرسة الثانوية. لم أعرف تقريبًا أي شيء عن شخصيات الكرتون، والأفلام، والبرامج التليفزيونية المعروفة في ذلك الوقت.

لكن، بنعمة الله، وبفضل تأثير والدين تقيين، عرفت بعض الأشياء التي تعرفها القليلات من الشابات الأخريات: عرفتُ الفرق بين الصواب والخطإ. كان لديَّ معرفة عامة جيدة للكتاب المقدس، بالإضافة إلى المذبح العائلي وسماع التعليم الكتابي السليم في الكنيسة، ومنهج المدرسة الابتدائية كان يتضمن رحلتين في طول الكتاب

المقدس. خبأتُ أجزاء كبيرة من الكتاب في داخل قلبي، وكان لديَّ فهم أساسي للتعاليم الرئيسية للإيمان المسيحي، وكنت قادرة على الترتيل غيبًا لمقاطع شعرية من التراتيل الغنية بالتعاليم اللاهوتية. قرأت السيرة الذاتية لكثيرين من أبطال حقيقيين، رجال ونساء، مثل هدسون تيلور، وجورج مولر، ويليام كاري، وجلاديس إيلوارد.

ولكن الأكثر أهمية من "معرفة" كل هذه الأشياء، أنه كانت لي علاقة حيَّة شخصية مع الرب يسوع؛ تلك العلاقة التي تساعدني عندما أكون بعيدة بمفردي، وتدفعني لأختار اختيارات صحيحة بمجرد أن أخرج خارج جدران الحماية في بيتنا. لقد أصبح "إيمان آبائي" هو إيماني الشخصي.

أنا لا أفتخر بأيٍّ من هذه الأشياء، فلا يمكن أن أنسب أي فضل فيها لنفسي، لأنها كانت عطايا من الرب ومن أبي وأمي اللذين تحملا بجدية مسؤوليتهما لتربية بنات وأبناء يخافون الله.

سوف تنشأ في الأبناء شهية لما تغذوا به في سنيّ تشكيلهم الأولى. لقد عرفت شبابًا من بيوت مسيحية "مكرسة" يعرفون عن نجوم الفن وفرق الروك أكثر مما يعرفون عن الأنبياء أو التلاميذ. يمكنهم الغناء مع كل الأغاني المشهورة، لكن لا يعرفون تراتيل الإيمان العظيمة. فقط يمكنني أن أفترض أن لهم شهية لمحتوى المناخ الذي نشأوا فيه.

إن كنا نسمح لأولادنا بسماع موسيقي، ومشاهدة أفلام، وقراءة كتب ومجلات، وقضاء وقت مع أصدقاء يشجعون على النجاسة، والسلوكيات السلبية، والعلاقات الجنسية غير الشرعية، والتمرد، والعنف؛ فلا نندهش عندما يتبنوا فلسفات عالمية.

بينما أكتب هذا الفصل، يوجد في الخارج ثمانيي بوصات من الثلج على الأرض، لقد ظل الثلج يتساقط بلا توقف طوال اليوم. لن يفكر أحد في أخذ نبتة صغيرة رقيقة وزرعها في الخارج في يوم مثل هذا اليوم، ثم يأمل أنها تعيش. ولأجل هذا توجد

الصوبات الزراعية؛ للتزويد بالمناخ الأمثل للنباتات لكي تنمو. ثم، بعد أن تنمو جذورها بالقدر الكافي لتكون قادرة على احتمال الشدة، يمكن أن تُزرع في الخارج.

عندما كنت في السابعة عشر من عمري، أرسلني والداي إلى ولاية بعيدة لأبدأ أولى سنوات الدراسة الجامعية في جامعة غير مسيحية في جنوب كاليفورنيا. ورغم أنني عشت مع عائلة تقية لمدة سنتين، إلا أني، فجأة، شعرت بمزيد من "الحرية" أكثر جدًا مما كان لي في حياتي من قبل. كان بإمكاني أن أذهب إلى حيث أريد أن أذهب، وأن أفعل ما أريد أن أفعل. لكن "أريد أن" التي بداخلي كانت قد تشكَّلت - أحببت الرب، وكنت أريد أن أفعل ما عرفت أنه "مُسِرٌّ" له. لم تكن قراراتي مدفوعة بالخوف مما يفكر فيه والداي؛ بل بالحري، بشعور قوي لحضور الله، وقداسته، ومحبته.

في تلك السنوات، تعرضت لفلسفات وأساليب للحياة كانت غريبة بالنسبة لي. لكن لم يكن لديَّ شهية لأي شيء لم يكن متوافقًا مع كلمة الله. كنت أشفق على أولئك الذين يؤمنون بهذه الأشياء ويمارسون أساليب الحياة تلك، وكنت أريد أن أراهم يقبلون إلى معرفة الرب. أما طُرقهم فلم تجتذبني.

لقد شهدت بنفسي في بيتنا بركات المحبة المتوهجة لله والتسليم بقلب مسرور لطرقه؛ هذه التنشئة زرعت في داخلي قلبًا يسعى ليرضي الرب ويسلك في الحق.

يحذِّر الرسول بولس المؤمنين في كل عصر وكل ثقافة «وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ»، أو بعبارة أخرى "لا تجعل العالم من حولك يصبك داخل قالبه" (رومية ١٢: ٢). بل يحرضنا أن نتخذ قرارًا حاسمًا بأن "نقدِّم أجسادنا ذبيحة حية" (رومية ١٢: ١). وأن "نتغير بتجديد (أذهاننا)" (رومية ١٢: ٢). لا نتشكل بالثقافة التي حولنا، كما هو الحال مع كثيرين من المؤمنين اليوم، لكن بالأحرى، نمتلئ من الروح القدس وكلمة الله، حتى حياتنا تخترق الثقافة التي حولنا وتدينها. هذا هو التحدي الذي يواجه الوالدين: تنشئة جيل من الشباب لا يتأثر بل يؤثِّر.

٢٩ "كل الأبناء سيمرون بمرحلة من العصيان والتمرد"

يريد العدو أن يصدِّق الأباء والأمهات أنه لا أمل في أن يعيش أبناؤهم حياة مقدسة خاضعة، في فترة المراهقة وسنيّ الشباب المبكرة. وتصديق هذه الأكذوبة يتسبب في أن الآباء يَرهبون فترة المراهقة في حياة أولادهم بدلاً من أن يبادروا فيعدّوا العدة لها. وقد يتجاوزون أو يتغاضون عن مواقف وسلوكيات من العصيان والتمرد. والأبناء الذين يعرفون أن والديهم يتوقعون منهم العصيان، غالبًا سيحققون هذا التوقع.

الواقع هو، أننا جميعًا بالطبيعة عصاة. آباؤنا كانوا خطاة، ونحن وُلدنا خطاة، أولادنا وأحفادنا مولودون بنفس الميل المتأصِّل ناحية العصيان (مزمور ٥١: ٥؛ ٥٨: ٣؛ إشعياء ٥٩: ٢-٨).

هنا يظهر الإنجيل برسالته. فبمجرد أن عصا الزوجان الأولان الله، كان قد وَضَعَ خطة للفداء – وسيلة لإنقاذهم وإنقاذ أولادهم من عصيانهم. وبواسطة تقديم الذبيحة المُعَدَّة كبديل، جعل الله نعمته متاحة للخطاة الساقطين.

كان قصد الله أن كل جيل من الأجيال المتعاقبة ينال نعمة الله، ويحفظ وصاياه، ومن ثَم يسلِّم الأمر ذاته لأولادهم. والآباء المسيحيون تحت إلزام مقدس أن يقودوا أولادهم ليخضِعوا حياتهم للرب يسوع كالسيد، وأن يأخذوا أولادهم معهم إلى "فلك الخلاص". هذه الدعوة السامية والمقدسة يصحبها مصادر إلهية من روحه ومن مواعيده.

كانت سارة إدواردز، زوجة القس جوناثان إدواردز من ولاية "نيوإنجلند" في القرن

الثامن عشـر، امرأة عميقة روحيًا، سـعت لتصديق الحق والسلوك بموجبه في كل ناحية مـن نواحـي حياتها. لم يظهر هذا الأمر بجلاء فـي أي مكان آخر أكثر منه في دورها كأم لأحد عشـر طفلاً. و تكشـف مذكرات جوناثـان إدواردز أنها تلقت هـذه الدعوة الهامة جدًا بكل ثقة، والتزام أن تُعلِّم أبناءها الطاعة في سن مبكرة جدًا قدر ما يمكن.

> كان لها طريقة رائعة في ممارسة السلطة على أولادها... لم تكن تحتاج أن تتكلم إلا مرة واحدة، كانت تُطاع بسـرور، لم تكن الدمدمة ومعاودة الرد معروفـة بينهم. في سـلوكهم وتصرفهـم، كانوا يحترمـون والديهم بطريقة غير معتادة... الشـجار والتنافـس، الذي يحدث كثيرًا بين الأطفال، لم يكن معروفًا تمامًا في عائلتها... أسـلوبها في التربية بدأ في سـن مبكرة، وكانت القاعـدة عندها أن تقـاوم أول مرة، وأيضًا كل مرة تاليـة، يظهر فيها الانفعال أو عـدم الطاعـة فـي طفلها، مهما كان صغيـرًا، إلى أن تُخضِـع إرادته لإرادة الوالديـن؛ مُظهـرة بحكمة أنه إلـى أن يطيع الطفل والديـه، لا يمكن أن يأتي إلى طاعة الله [٢٤].

أخبرتنـي أم مؤخَّـرًا أنه عندما كان ابنهـا الأول لا يزال صغيرًا، بـدأت تعلِّمه أنه ليس لأن معظـم الشـباب يختارون أن يكونوا متمردين في سـني المراهقة، فهـذا يعني أنه هو أيضًا يجب أن يفعل ذات الشـيء. هي وزوجها غرسـا في أطفالهما الثلاثة كيف يمكن أن يكونـوا مختلفين. لقد أكدا وعاشـا مثـالاً لأولادهما في أهمية وفائـدة اختيار طريق الطاعة.

عندما تطفو بذور التمرد، فإن الوالدين الحكماء لا يهزون أكتافهم ويقولون: "أعتقد أن كل الأبنـاء لا بد أن يمروا في هذا الأمر". هم يدركون أن أولادهم يختبرون تغيرات في أجسـامهم وفي هرموناتهم وقد ينتج عنها تقلبـات عاطفية، لكنهم يعلِّمون أولادهم كيف يتعاملون مع العواطف سـريعة التقلب، وكيـف يمنعونها من التحكم في حياتهم.

وكلما احتاج الأمر، يكون التعامل معهم في بعض المسائل بالمواجهة، بمحبة وحزم، بقصد الحفاظ على العلاقات، واستمرار قنوات التواصل مفتوحة، لبقائهم مستمرين في توجيه أولادهم إلى الرب. توجد عواقب لاختيارات أولادهم الخاطئة، وتوجد نعمة عندما يتوبون. هذان الوالدان يجب ألا يخافا أن يكونا نموذجًا ومثالاً للتواضع وأن يطلبا الغفران عندما يفسدان الأمر كآباء.

وفوق الكل، أن يصلّي الآباء والأمهات بكل جدية من أجل أولادهم، ويثقوا أن روح الله يملك قلوبهم، ويعلّموا أبناءهم المراهقين أنهم ينتظرونهم أن ينقلوا عصا عهد فداء الله للأجيال القادمة.

وفي وسط جيل يتفاقم فيه العصيان، نحتاج إلى الوالدين اللذين يريان أنفسهما كوكلاء على نعمة الله، أمهات وآباء لهم جرأة أن يتمسكوا بوعوده من أجل أولادهم وأحفادهم، ويؤمنون بالحق:

أَمَّا رَحْمَةُ الرَّبِّ فَإِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ
عَلَى خَائِفِيهِ، وَعَدْلُهُ عَلَى بَنِي الْبَنِينَ...
لِكَيْ يَكُونَ بَنُونَا مِثْلَ الْغُرُوسِ النَّامِيَةِ
فِي شَبِيبَتِهَا. بَنَاتُنَا كَأَعْمِدَةِ الزَّوَايَا
مَنْحُوتَاتٍ حَسَبَ بِنَاءِ هَيْكَلٍ...
وَكُلَّ بَنِيكِ تَلاَمِيذَ الرَّبِّ،
وَسَلاَمَ بَنِيكِ كَثِيرًا.

مزمور ١٠٣: ١٧؛ ١٤٤: ١٢؛ إشعياء ٥٤: ١٣

٣٠. "أعرف أن ابني مؤمن لأنه صلّى ليقبل المسيح في سن مبكرة"

على مر السنين، نساء بلا حصر شاركنني قلقهن بشأن ابن أو ابنة بعيدين عن الله – ابن (أو حفيد) ليست لديه محبة أو رغبة في الأمور الروحية، يحيا حياة ليس فيها الله. وبالرغم من ذلك، فإن هؤلاء النسوة لديهن اقتناع بأن أولادهن مؤمنون. والملاحظات التالية هي من أمهات يمثلن فكرة رئيسية مكررة أسمعها بتكرار متزايد:

> لي ابنة تعمل في مسرح الإثارة ولي ابن شاذ جنسيًا. أريد أن يرجعا إلى الرب. كلاهما نال الخلاص والمعمودية.

❧ ❧

> لا أحد من أولادي يعيش للرب. لقد قبلوا الرب كأطفال، لكنهم فقدوا كل شيء عندما ذهبوا بعيدًا للالتحاق بالجامعة.

أعتقد أن الشيطان يعمي كثيرين من الآباء عن الحالة الروحية الحقيقية للأبناء حتى يُبقي الأبناء في عبودية مملكة الظلمة. الوالدان الأكثر عرضة لهذه الأكذوبة هم أولئك الذين ربوا أولادهم في داخل الكنيسة، والذين "علموهم الصواب من الخطإ"، وأولادهم كانوا قد قدّموا نوعًا من الإعلان لإيمانهم كأطفال وفي سن مبكرة، ربما كان لهم رغبة عظيمة في الأمور الروحية في وقتٍ ما. هؤلاء الآباء يفترضون دائمًا بناء على أن كل ما سبق ذكره هو حقيقي، لذلك فالابن أو الابنة هم بالفعل مؤمنون حقيقيون.

على أنه واضح من الكتاب المقدس أنه ربما يعرف شخص كل شيء عن الله، ويقول كل الأشياء الصحيحة، وربما يكون له اختبارات دينية تبدو عميقة؛ دون أن تكون حياته قد تغيرت قَطّ. الله وحده هو مَنْ يعرف قلوب الجميع. لكنه أعطانا بعض المقاييس

الملموسة وبها يمكن لنا أن نقيس الإيمان المُجَاهر به - سواء كان إيماننا الشخصي أو إيمان الآخرين. كُتبت رسالة يوحنا الرسول الأولى لكي تُعطي تأكيدًا للخلاص لهؤلاء الذين تحولوا إلى الله بصدق وبلا رياء - ولكي تحذر أولئك الذين ليس لهم أساس صحيح لإيمانهم الذي يجاهرون به. ويحدِّد يوحنا الصفات التي تميز بين هؤلاء المخلَّصين بالفعل وأولئك الذين يعلنون أنهم مخلَّصون لكنهم مجرد متدينين:

وَبِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا قَدْ عَرَفْنَاهُ: إِنْ حَفِظْنَا
وَصَايَاهُ. مَنْ قَالَ: «قَدْ عَرَفْتُهُ» وَهُوَ لاَ يَحْفَظُ
وَصَايَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيهِ...
بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا فِيهِ: مَنْ قَالَ: إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ
يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ (الرب يسوع)
هكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا...
مَنْ قَالَ: إِنَّهُ فِي النُّورِ وَهُوَ يُبْغِضُ أَخَاهُ،
فَهُوَ إِلَى الآنَ فِي الظُّلْمَةِ...
إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ...
لَوْ كَانُوا مِنَّا لَبَقُوا مَعَنَا. لكِنْ لِيُظْهَرُوا أَنَّهُمْ
لَيْسُوا جَمِيعُهُمْ مِنَّا...
بِهذَا أَوْلاَدُ اللهِ ظَاهِرُونَ وَأَوْلاَدُ إِبْلِيسَ: كُلُّ مَنْ لاَ
يَفْعَلُ الْبِرَّ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ، وَكَذَا مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ.

---

١ يوحنا ٢: ٣-٦، ٩، ١٥، ١٩؛ ٣: ١٠

جوهـر الخلاص ليس هو مسـألة إعـلان، أو أداء شـيء ما، بل هو تحـول كلي: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (٢كورنثوس ٥: ١٧). والذي تعرف بالرب بالفعل له حياة جديدة، وقلب جديد، وطبيعة جديدة، وولاء جديد، وسيد جديد: «الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ» (كولوسي ١: ١٣).

يتضمن العهد الجديد التأكيد بأننا سنحتفظ بإيماننا. لقد وعد الله: «وَأَجْعَلُ مَخَافَتِي فِي قُلُوبِهِمْ فَلاَ يَحِيدُونَ عَنِّي» (إرميا ٣٢: ٤٠). ويوضح كاتب رسالة العبرانيين أن المثابرة إلى النهاية هي علامة الإيمان الحقيقي: «لأَنَّنَا قَدْ صِرْنَا شُرَكَاءَ الْمَسِيحِ، إِنْ تَمَسَّكْنَا بِبَدَاءَةِ الثِّقَةِ ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ» (عبرانيين ٣: ١٤).

حـذَّر الرسـول بولـس المؤمنين في أفسـس من هؤلاء الذيـن يتظاهـرون بمعرفتهم للمسيح لكن حياتهم لا تحمل علامات التغير الحقيقي.

فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ هذَا أَنَّ كُلَّ زَانٍ أَوْ نَجِسٍ أَوْ طَمَّاعٍ ـ الَّذِي هُوَ عَابِدٌ لِلأَوْثَانِ ـ لَيْسَ لَهُ مِيرَاثٌ فِي مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ وَاللهِ. لاَ يَغُرَّكُمْ (يخدعكم) أَحَدٌ بِكَلاَمٍ بَاطِلٍ، لأَنَّهُ بِسَبَبِ هذِهِ الأُمُورِ يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ.

أفسس ٥: ٥- ٦

عندمـا يفتـرض الآبـاء أن أولادهم قد ولدوا ثانيـة بينما حياتهـم لا تحمل أي دليل علـى ذلك، قـد يؤدي ذلك لعدة نتائج خطيرة. مثل تهدئة هؤلاء الأبناء بشـعور زائف

مـن الأمان بخصـوص مصيرهـم الأبدي. كمـا أنها قد تمنع الآباء مـن الصلاة بطريقة ملائمـة، ومن خوض حرب روحيـة بخصوص نفوس أولادهم. إنهـا تخلق نوعًا من "النعمـة الرخيصـة" التـي تقلّـل من قيمة شـخص المسـيح ودمه. وهي تمـلأ مقاعد الكنائـس بأعضاء يعتقدون أنهم على ما يرام، وهـم يصدقون هذا حتى بالرغم من أنهم بلا علاقة حقيقية مع المسيح وحياتهم تتعارض مع كلمة الله وتضلل العالم عن ما هي المسيحية بالفعل.

طبعًـا مـن الممكن بالنسـبة لأولئك الذين تغيـروا بالفعل أن يعصوا اللـه أو أن يكون لهـم فترات من الضعف، لكن لا يوجد مؤمـن حقيقي يمكن أن يخطئ بتعمد أو بطريقة اعتيادية دون أن يختبر تبكيت روح الله.

الحـق هو، أنه بغض النظر عن "التدريـب المنزلي" الذي حصل عليه ابن أو ابنة (أو أم أو أب) علـى الأمور الروحية، وبغض النظر عن مقدار حماسـتهم التي ربما تكون قد ظهرت في وقت من الأوقات؛ فإذا لم يكن لديهم محبة لله وجوع حقيقي إليه، وإن كانوا يرفضون كلمة الله وطُرقه بشـكل مسـتمر، فيلزمهم أن يعيدوا التفكير في ما إذا كانوا في المقام الأول قد تغيروا يومًا بالفعل.

٣١. "نحن غير مسؤولين عن كيفية ما سيكون عليه أولادنا"

ربما يكون نوع طلبات الصلاة الأكثر شـيوعًا والتي شـاركت به النسـاء معي على مر سنوات هي من أجل أولادهم وأحفادهم المعاندين. يمكنني أن أملأ كتابًا بالألم والأمل الذي عبَّرت عنه أمهات مثل هؤلاء:

ابنتي ذات الستة عشر، تركت البيت منذ تسعة أشهر وانتقلت لتعيش مع صديقها - الألم بداخلي عميق جدًا.

ابنتي البالغة من العمر ثمانية وعشرين عامًا أنكرت إيمانها بالمسيح وانخرطت في علاقة مع الشواذ.

صلوا لكي يكسر الله قلب ابني البالغ من العمر ثمانية عشر عامًا، ويحرره من إدمان المشاهدات الإباحية (منذ سن مبكر).

أنا أصارع مع فشلي في ابني المراهق الذي لا يكترث لأمور الرب كثيرًا، ومع خيبة الأمل في أن أربي أولادي في التقوى.

أولئك اللائي لم يجتزن في مثل هذه الأشياء لا يمكنهن أن يتصورن مقدار الحزن الذي تحمله أولئك النسوة. لقد لاحظت أن العدو يستخدم أكذوبتين متناقضتين لكي يضع الوالدين في عبودية. الأولى هي أنهم ليس لهم تحكم أو تأثير على الكيفية التي يصبح عليها الأولاد - وهم ليسوا مسؤولين، وأن الموقف لا يمكن أن يُصلح. تصديق هذه الأكذوبة يقود الآباء إلى التخلص من المسؤولية الشخصية والشعور بأنهم ضحايا بلا حيلة.

والأكذوبة الثانية التي يصدقها الآباء هي أنهم مسؤولون ١٠٠٪ عن الكيفية التي يكون عليها الأولاد - والخطأ خطأهم بالكامل. إنهم يخفقون في إدراك أنه، بغض النظر عن مستوى كفاءة أو رداءة كل واحد كأب أو أم، فإن كل فرد لا بد أن يكون مسؤولاً عن اختياراته أو اختياراتها الشخصية.

عندما يتمرد الأبناء، يبدو كأن الشيطان أحيانًا يجعل الآباء يتأرجحون ما بين واحدة من هذه الأكاذيب إلى الأخرى. فإما أن يغرقوا في الخزي، أو يهربوا إلى التخلي عن المسؤولية. كلتا الأكذوبتين هما في الواقع تشويه مضلل للحق، ومن شأنه أن يترك الآباء في حالة من الشعور بالقنوط واليأس.

كما يكون الأب هكذا يكون الابن

يتضمن الكتاب المقدس قصص رجال أتقياء كان لهم أبناء بلا تقوى لله، وبالمثل رجال غير أتقياء كان أولادهم يحبون الله. لم نُعطَ إلا القليل من التفسير لماذا يحدث هذا الأمر هكذا. ومع ذلك، فقد أُعطيت لنا بعض المفاتيح التي تمنح بصيرة للآباء الذين يريدون أن يصبح أولادهم أتباعًا حقيقيين للمسيح.

قصة لوط ابن أخي إبراهيم ترسم صورة لمدى تأثير قدوة الوالد ومبادئه. فقد اختار لوط نوع الحياة الذي يتميز بالسهولة والغنى والشعبية. قادته مبادؤه العالمية أن ينقل عائلته إلى مدينة تتصف بالغطرسة، والفجور، والفساد. فهل هناك غرابة، بعد ذلك، أن بناته تزوجن برجال استهزأوا "بمعتقدات" لوط الروحية، ورفضوا توسلاته للهروب من القضاء الآتي؟ هل يدهشنا بعد الفرار من سدوم، أن بنتيه خطَّطتا لأن تسكِرا أباهما ثم تضطجعان معه الواحدة تلو الأخرى حتى لا تبقيان بلا نسل؟

يخبرنا العهد الجديد أن لوط كان "رجلاً بارًا". لم يشترك لوط شخصيًا في شرور سدوم الكثيرة، في الواقع، «كَانَ الْبَارُّ، بِالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، يُعَذِّبُ يَوْمًا فَيَوْمًا نَفْسَهُ الْبَارَّةَ بِالأَفْعَالِ الأَثِيمَةِ» (٢بطرس ٢: ٨). بالرغم من أنه كان مؤمنًا، لكنه لم يحفظ قلبه، كان له شهية للأمور العالمية. كان لوط يحاول أن يضع قدمًا واحدة في ملكوت الله والأخرى في العالم، وبمثاله قاد عائلته إلى محبة العالم.

والثمـن الذي دفعه لوط لمبادئه الدنيوية يبدو باهظًا، لكن مبدأ الزرع والحصاد يعني أن البذرة التي زُرعت سوف تُنتج حصادًا مضاعفًا. وكما أشار أكثر من شخص: "إن ما يتجاوز عنه الآباء بطريقة معتدلة، يتجاوز عنه الأبناء بإفراط."

قصة عائلة عالي توضِّح أهمية أن يضع الآباء مقاييسًا لحياة التقوى في سلوك أبنائهم ثم ممارسة التأديب اللازم لتطبيق تلك المقاييس. ككاهن في إسرائيل في الفترة المظلمة لحكـم القضـاة، كان عالي خادمًا مكرَّسًـا للـرب. وبالرغم من ذلـك، كان ابناه، حفني وفينحـاس، اللذان تربيا في بيت ومناخ شـديد التدين والتدقيـق، يقول الكتاب المقدس إنهما كانا شريرين جدًا و«لَمْ يَعْرِفُوا الرَّبَّ» (١صموئيل ٢: ١٢).

وكأولاد لكاهنٍ كان الاحتمال ألا يمارسـوا وظيفة الكهنوت ضئيلاً. لكنهم أفسـدوا دعوتهم المقدسـة، وسـلبوا الشـعب باغتصابهم التقدمات التي هي للرب، وذهبوا أبعد من ذلك إلى حد التورط في علاقات جنسية مع النساء الخادمات في الهيكل (١صموئيل ٢: ١٣-١٧، ٢٢). كيف يصل الأمر بشـخص مكـرَّس لله أن يكون له مثل هذين الابنين؟ بلا شـك، إنهم تأثروا بالثقافة المنحلَّة من حولهم، لكـن الكتاب المقدس يخبرنا بعض الأشياء التى تدل على أن أباهم أسهَم في هذه النتيجة.

كان عالـي فـي وقت موتـه ثقيل الوزن (١صموئيـل ٤: ١٨)، فهل يمكـن أن تكون هناك علاقـة بين عدم ضبط للنفس في الأمور الجسـمانية وبيـن خطية أولاده من ملء بطونهم باللحم المسروق من أولئك الذين أتوا ليقدِّموا ذبائح؟

يخبرنا الكتاب المقدس أنه في مناسـبة واحدة على الأقل، سـمع عالي بما كان يفعله أولاده وواجههم بسـلوكهم الشرير (١صموئيل ٢: ٢٢-٢٥). ولكنه، في ذلك الوقت، كان "شيخًا". وربما نتساءل: لماذا انتظر طويلاً؟ أو هل قد تغاضى عن سلوكهم قبل ذلك الوقـت؟ وعلـى أي حال، أولاده «لَمْ يَسْـمَعُوا لِصَـوْتِ أَبِيهِمْ» (ع ٢٥). وفي مناسـبتين لاحقتين، أرسـل الله رسـولاً إلى عالي ليواجهه بمسـؤوليته عن هذا الشـأن. وبرغم أن

خطية أولاده كانت شـديدة الوضوح ومعروفة على نطاق واسع، فالواقع هو، أنهم كانوا انعكاسًا مكبَّرًا لأبيهم:

فَلِمَاذَا تَدُوسُونَ ذَبِيحَتِي وَتَقْدِمَتِي...
وَتُكْرِمُ بَنِيكَ عَلَيَّ لِكَيْ تُسَمِّنُوا أَنْفُسَكُمْ
بِأَوَائِلِ كُلِّ تَقْدِمَاتِ إِسْرَائِيلَ شَعْبِي؟
وَقَدْ أَخْبَرْتُهُ بِأَنِّي أَقْضِي عَلَى بَيْتِهِ إِلَى الأَبَدِ
مِنْ أَجْلِ الشَّرِّ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ بَنِيهِ قَدْ أَوْجَبُوا
بِهِ اللَّعْنَةَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يَرْدَعْهُمْ

١ صموئيل ٢: ٢٩؛ ٣: ١٣

لقد دفع عالي ثمنًا باهظًا من أجل طرقه المتساهلة.

هذه الأمثلة لا تدلِّل على أن هناك علاقة "سـبب ونتيجة" مباشـرة بين الحالة الروحية للآباء والناتج الروحي في حياة كل ابن. لكنها، توضِّح أن للآباء تأثيرًا هائلاً وهم مسؤولون عن تشكيل قلوب وحياة أولادهم. قد يسهل تحويل اللوم لشريك الحياة، أو للمعلمين، أو لوسـائل التسـلية، أو لمجموعات الشباب بالكنيسـة، أو للثقافة العلمانية؛ لكن الواقع هو، أننا مسؤولون عن الحالة الروحية للقطيع الذي أعطاه الله لنا لكي نرعاه.

أريد أن أشاركُكن ما في قلبي: أعتقد أن الآباء المؤمنين ببساطة أُعموا عن تأثير قدوتهم الشـخصية في حياة أبنائهم، وأيضًا عن القرارات التي يتخذونها (أولاً يتخذونها) بشـأن أولادهم. أعترف أنني أندهش، وأيضًا أنزعج بشـدة، عندما أسمع عن بعض اختيارات

يسمح بها آباء مؤمنون حسنو النية لأولادهم أن يعملوها- كما لو لم يكن لهم (الآباء) شيء يقولونه في هذا الشأن. هم يسمحون لأولادهم أن يكون لهم علاقات مع آخرين ليس لهم محبة للرب، بدون أية رقابة منهم، وأن يكونوا بلا احترام للآخرين وعنيدين، وأن تكون ملابسهم غير لائقة، وأن يتسلوا بالموسيقي العالمية، والتلفاز والأفلام - ثم بعد ذلك يتساءلون لماذا يحب أولادهم العالم ويمتعضون من المسيحية.

منذ وقت مضى، طُلب مني أن أُلقي كلمة إلى أعضاء الإدارة وهيئة الأساتذة في مدرسة مسيحية كُبرى. وكانت المسؤولة في الهيئة، التي أرسلت الدعوة، عبَّرت عن قلقها بخصوص الحالة الروحية للطلاب. قالت لي: "الأولاد في هذه المدرسة يكرهون الله، ويكرهون الكتاب المقدس. ليس لديهم أية رغبة في الأمور الروحية". وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد أن نكون صادقين بما يكفي لأن نسأل أنفسنا: ماذا رأى هؤلاء الشباب (أو لم يروا) في بيوتهم حتى أنتج هذه النتيجة؟

نشكر الله لأجل أقلية جديرة بالذكر في هذا الجيل ليست كذلك. لكن خبرتي في رصد مجموعات الشباب بالكنيسة في جميع أنحاء البلاد قادتني للاعتقاد بأن الغالبية العظمى للشباب الذين نشأوا في "بيوت مسيحية" لديهم شهية ضعيفة، أو ليس لديهم شهية على الإطلاق، لأمور الله.

الحق هو أن هناك شيئًا خطأ فينا - جيلنا هذا من المؤمنين البالغين - عندما يكبر أولادنا بلا رغبة في أية علاقة مع الله، والأسوأ من ذلك، الادعاء بأنهم مسيحيون بينما هم يعيشون حياة مناقضة تمامًا لكلمة الله. هذا لا يعني أنه إذا كان الآباء أتقياء فسيكون لهم أبناء أتقياء؛ لكن عندما يوجد وباء واسع الانتشار من شباب وشابات تربوا في بيوت مسيحية وهم يرفضون ما يُفترض أن الآباء متمسكون به، لا بد أن نُقِرّ أن هناك شيئًا مفقودًا في جيل الآباء هذا.

إذا كنا نُصِرّ على تصديق الأكذوبة أننا غير مسؤولين عن أولادنا، فنحن نداعب أيدي العـدو، الذي اعتزم أن يطالب بالجيل القادم لحسـاب مملكتـه. يعلّمنا الكتاب المقدس أن كل جيل عليه مسؤولية تسليم الجيل التالى ميراث التقوى. وهذا يُعتبَر امتيازًا عظيمًا، كما أنه مسؤولية جسيمة. الواقع المتزن هو أننا مسؤولون عن البذور التي نبذرها، ولا بد أن نتعايـش مـع الحصاد الناتـج. فلا يمكن أن نزرع بـذور حياة القلب المنقسـم، وعدم التأديب، والأشياء العالمية؛ ثم نأمل في ألا ينمو المحصول في الجيل التالي.

بالطبـع، فـإن الحـق الكتابي المتـوازن هو أن كل جيل مسـؤول عن سـلوكه وطاعته الشـخصية، بغـض النظر عما فعلـه آباؤهـم أو لـم يفعلوه من الصواب، ويومًا ما سـوف يعطي كل فرد حسابًا لله عن اختياراته (تثنية ٢٤: ١٦؛ إرميا ٣١: ٢٩-٣٠).

أن نكون آباء فهذه دعوة عُليا ومقدَّسة. ولا يوجد أكثر من هذا العمل يتطلب الكثير. وأفضل ما يفعله الآباء هو اعتمادهم بالتمام على الروح القدس حتى يتمكنوا من "إصابة الهدف" مع أولادهم؛ ولهذا فإن أعظم مصدر للمعونة للأم هو الصلاة.

يضلِّـل العدو الوالدين فـي محاولة لتخريب وتعطيل انتقال الحق من جيل إلى جيل. والآبـاء الذين يصدقون أكاذيبه ويتصرفون بموجبها سـوف يضعون أنفسـهم وأولادهم فـي العبودية. لكـن الآباء الذيـن يصدِّقون الحـق، ويتصرفون بموجبه، سـينطلقون في الحريـة لكي يحبـوا أولادهم، ويتمتعـوا بهم، ويدربوهـم، ويحتضنوهـم؛ وبنعمة الله، سوف يطلقون أولادهم لكي يعكسوا مجد الله ونعمته للجيل القادم.

الأكذوبة

٢٧. إنه أمر يخصنا أن نحدِّد حجم العائلة

الحق

- الله هو الخالق والمعطي للحياة.

تكوين ١: ٢؛ ٢: ٧

- أي شيء من شأنه أن يمنع أو يعوق النساء من تتميم دعوتهن المعطاة لهن من الله أن يكنّ حاملات وحاضنات للحياة سوف يدفع مخطط الشيطان ويحفِّز مجهوداته.

إرميا ٢٩: ١١؛ يوحنا ١٠: ١٠

- أحد أهداف الزواج هو إنجاب "نسل صالح".

مزمور ١١٣: ٩؛ ١٢٧: ٣-٥؛ ملاخي ٢: ١٥

- إنجاب الأولاد هو دور أساسي للنساء معطى من الله. يجب أن يُقبل الأولاد كبركة معطاة من الله.

مزمور ١٢٧: ٣-٥؛ ١تيموثاوس ٢: ١٥؛ ٥: ١٤

الأكذوبة

٢٨. يحتاج الأبناء أن ينفتحوا على "العالم الحقيقي" ليتعلموا تأدية عملهم فيه بفاعلية

الحق

- ليس واجبنا أن نربي أولادًا ليندمجوا في هذا العالم أو يبقوا فيه على قيد الحياة فحسب؛ لكن أن نربي أولادًا سيستخدمهم الله ليغيّروا هذا العالم

رومية ١٢: ٢

- مثل تلك النبتة الصغيرة الرقيقة، يحتاج الأبناء أن نحميهم من التأثيرات العالمية حتى يصيروا ناضجين روحيًا إلى الدرجة الكافية لصمودهم.

مزمور ١٠١؛ رومية ١٦: ١٩

الأكذوبة

٢٩. كل الأبناء سيمرون بمرحلة من العصيان والتمرد

الحق

- توقُّع الآباء أن أبناءهم سيتمردون سوف يزيد من احتمال أنهم سيفعلون ذلك.

تكوين ١٨: ١٧-١٩؛ مزمور ٧٨: ١-٧

- وعد الله بالبركة للآباء الذين يحفظون وصاياه والذين يعلِّمون أولادهم أن يفعلوا هكذا أيضًا.

مزمور ١٠٣: ١٧-١٨؛ أعمال ٢: ٣٩

- لا يقدر الآباء على إكراه الأبناء على السير مع الله، لكنهم يقدرون أن يكونوا نموذجًا للتقوى، وأن يخلقوا في البيت مناخًا يوجد شهية لله ويؤدي إلى تغذية أبنائهم روحيًا ونموهم.

مزمور ١٤٤: ١٢-١٥؛ إشعياء ٥٤: ١٣؛ متى ٥: ١٣-١٦

الأكذوبة

٣٠. أعرف أن ابني مؤمن لأنه صلّى ليقبل المسيح في سن مبكر

الحق

- هؤلاء الذين ليس لهم محبة لله أو أي جوع لأمور الله ولهم نمط متكرِّر في رفض كلمة الله وطرقه، ليس لهم أساس لتأكيد خلاصهم.

٢كورنثوس ٥: ١٧؛ أفسس ٥: ٥-٦؛ ١يوحنا ٢: ٣-٩، ١٥، ١٩؛ ٣: ١٠

- الآباء الذين يفترضون أن أولادهم يعرفون الرب، بغضّ النظر عن أسلوب حياتهم، قد يعطون أبناءهم شعورًا خادعًا بالأمان، وربما لا يُصلّون لأولادهم بطريقة مناسبة.

إرميا ٣٢: ٤٠؛ عبرانيين ٣: ١٤

الأكذوبة

٣١ نحن غير مسؤولين عن كيفية ما سيكون علية أولادنا

الحق

- للآباء تأثير هائل في تشكيل حياة أولادهم بقدوتهم، وتعليمهم وقيادتهم.

تكوين ١٩؛ أمثال ٢٢: ٦؛ متى ١٩: ١٣-١٥؛ اكورنثوس ١١: ١؛ أفسس ٦: ٤

- كل جيل مسؤول أن يُسلِّم الجيل التالى ميراث القلب الذي يعرف الله ويسير معه.

اصموئيل ٢: ١٢-٢٥، ٢٩؛ ٣: ١٣؛ مزمور ٧٨: ١-٨؛ اتسالونيكي ١: ٢-٦؛ ٢: ١-١٣

- سيعطي الآباء حسابًا لله عن الحالة الروحية لحياة الذين ائتمنهم عليهم للاهتمام بهم.

أمثال ٣: ١٢؛ ١٣: ٢٤؛ ١٩: ١٨؛ عبرانيين ١٣: ١٧

- كل فرد مسؤول عن سلوكه الخاص وطاعته. بصرف النظر عن أي نوع من الآباء كان له، وسيعطي كل شخص حسابًا لله عن اختياراته الشخصية.

تثنية ٢٤: ١٦؛ إرميا ٣١: ٢٩-٣٠؛ يوحنا ٦: ٣٩؛ ٢بطرس ٣: ٩

تطبيقات عملية

١- وافقي الله

ما هي الأكاذيب التي صدقتيها عن الأمومة وعن الأبناء؟

٢- تحملي المسؤولية

كيف ظهر تصديقك لهذه الأكاذيب في أسلوب الحياة التي تعيشينها (مثلاً الاتجاهات، الأفعال)؟

٣- أعلني الحق

اقرأي بصوت مرتفع كل جزء من أجزاء الحق الواردة في الصفحتين السابقتين. أيٌّ من هذه الأجزاء تحتاجين أن تتمسكي به بصفة خاصة في هذا الوقت؟

جــددي ذهنك (تفكيرك) بكلمة الله. اقرأي الفقرات التالية بصوت مرتفع. ماذا تعلن هذه الأعداد عن وجهة نظر الله في الأبناء والآباء؟

مزمور ١٢٧

متى ١٩: ١٣-١٥

مزمور ٧٨: ١-٨

١تسالونيكي ٢: ٧

٤- تصرفي طبقًا للحق.

ما هي الخطوة أو الخطوات الفعلية للتصرف والتي تحتاجين أن تتخذيها لتتوافق حياتك مع الحق؟

٥- اطلبي من الله أن يساعدك للسلوك في الحق.

أشكرك لأجل قلبك الأبوي، يا إلهي المحب. أشكرك لأنك جعلتني ابنتك بالإيمان بالمسيح، ولأجل اعتنائك بي، وتسديد كل احتياجاتي، وعملك لكي أصل إلى النضوج الروحي. أشكرك لأجل محبتك للأولاد، ساعدني لكي أقْبَلهم وأحبهم كما تفعل أنت تمامًا. أشكرك لأنك خلقتني امرأة لأكون حاملة وحاضنة للحياة. من فضلك أرني كيف أتمم دعوتي كأم - سواء لأولادي الحقيقيين أو لأولاد روحيين تعطيني إياهم. أعنّي لكي أعتني بكل أمانة بهؤلاء الذين ائتمنتني للعناية بهم. ليت حياتي تخلق في الجيل الآتي جوعًا وعطشًا للبر، وشوقًا ليكونوا مثل أبيهم السماوي. في اسم الرب يسوع. آمين



الفصل الثامن

أكاذيب تصدقها المرأة

... عن المشاعر

مذكراتي العزيزة،

مضـــى مـــا يقرب من العامين منذ أن فقدنا هابيل! أفكـــر فيه طوال الوقت - ما زال الأمر يؤلمني كثيرًا. لم نسمع أي شيء عن قايين لشهور. أشعر أحيانًا بالغضب تجاهه لما فعل بنا، وأحيانًا أخرى أود أن أحمله وأؤرجحه، وأغني له كما كنت أفعل عندما كان طفلاً صغيرًا.

آدم لا يتكلم عن مشـــاعره - أحيانًا أتســاءل إذا ما كان يشـــعر بأي شيء على الإطلاق. يبدو أنه يتضايق كثيرًا عندما أحاول أن أجعله يتفهم مشاعري.

يبدو أني لا أستطيع أن أخرج خارج هذه الحفرة من الفراغ والوحدة. في بعض الأيام أشعر بصعوبة بالغة أن أجُرّ نفســـي خارج الفراش. أشـــعر أن الظلام يكاد يبتلعني. لا أعرف إلى متى ســـوف أقوى على الاحتمال. لا أتذكر كيف كانت الأيام بدون ألم. هل يمكن أن أكون سعيدة من جديد؟

في مؤتمر للسيدات حضرته منذ بضعة سنوات مضت، أُعطيت كل واحدة مغناطيس كتب عليه قائمة من الكلمات تصف مجموعة من المشاعر المختلفة – كلمات مثل مشوشة، مبتهجة، غاضبة، محبطة، حزينة، واثقة، سعيدة، وحيدة، ومكتئبة. وفوق كل كلمة رسم وجه يعبِّر بطريقة فكاهية عن هذا الشعور بالتحديد.

كان مع هذه القائمة مغناطيس أصغر حجمًا على شكل برواز وكان يقول: "اليوم أنا أشعر ..." وكانت هذه القطعة مصمَّمة لتوضع فوق أيٍ من تلك الرسومات لتعبِّر عن "كيف أشعر اليوم".

وإذا كان البعض منا يغيِّرن العلامة الخاصة في كل مرة تتغير فيها مشاعرنا، فهذا يعني أننا سنكون منشغلين تمامًا بذلك. في الواقع، نساء كثيرات يختبرن غالبية هذه المشاعر على الأقل مرة كل شهر! وأكثر من أي شيء آخر، فقد تكون مساحيق التجميل التي نضعها لمشاعرنا النسائية هي التي تجعل الرجال ينفضون أيديهم ويقولون: "لقد يئستُ. لا أستطيع أن أفهمِك!" وإلى حدٍ ما، مَنْ يقدر أن يلومهم؟

عندما نصارع مع مشاعرنا الجامحة، من السهل أن نستنتج أن العواطف خاطئة بالوراثة وغير صحيحة ويجب أن يُكبح جماحها. نحتاج أن نتذكر أن كوننا مخلوقين على صورة الله يعني أن لنا القدرة أن نختبر ونعبِّر عن الكثير من العواطف. فالله يُظهر سلسلة من العواطف الخالصة النقية، منها الفرح، والبهجة، والغضب، والغيرة، والحزن. وقد صمَّمنا لنكون قادرين أن نشعر ونعبِّر عن الكثير من المشاعر المختلفة بطريقة تعكس قلبه وتمجِّده.

ليست المشكلة أن لنا عواطف؛ فهي عطية من الله. لكن المشكلة هي أن عواطفنا (على العكس من عواطف الله) قد أُفسدت بالسقوط. والتحدي الذي أمامنا هو أن نسمح لروح الله أن يقدس عواطفنا حتى نقدر أن نعبِّر عنها بطرق صحيحة تمجِّد الله.

لا أعرف وسائل يستخدمها العدو بقوة وفاعلية ليقودنا نحن النساء إلى العبودية أكثر من مشاعرنا. وهو يفعل هذا بأن يجعلنا نصدِّق أشياء عن مشاعرنا هي ليست حقيقية بالفعل.

٣٢. "إذا شعرت بشيء ما فلا بد أن يكون حقيقيًا"

يريدنا العدو أن نصدِّق أنه إذا شعرنا أننا غير محبوبات فنحن غير محبوبات، إذا كنا نشعر أننا لا نستطيع أن نواجه الضغوط فلا بد أن هذا واقع وأننا غير قادرات، إذا كنا نشعر أن الله تخلى عنا أو أنه فعل شيئًا بغير إنصاف في مسألة تهمنا فهو ربما قد خذلنا، إذا كنا في موقف يائس فربما ليس هناك أمل، إن كنا لا نشعر أننا مخلَّصات إذًا فربما نحن لسنا هكذا، إن شعرنا أننا لم يُغفر لنا فبالتأكيد لسنا مغفوري الخطايا.

الحق هو أنه، بسبب طبيعتنا الساقطة، فإن مشاعرنا أحيانًا، لا ترتبط كثيرًا بالحقيقة. ففي أمثلة كثيرة، لا تكون المشاعر ببساطة معايير موثوقًا بها لما هو حقيقي بالفعل. عندما نسمح لها أن ترتبط بظروفنا – التي تتغير بصفة مستمرة – بدلاً من أن ترتبط بأمور الله الحقيقية غير المتغيرة وحقّه الثابت؛ فإن مشاعرنا تميل إلى التقلب والتذبذب إلى حد بعيد.

لا يتطلب الأمر الكثير حتى نجعل مشاعرنا في ارتفاع وتحسن، يكفي يوم مشرق ومشمس، ترقية في العمل، إطراء من صديقة، إتمام مشروع كبير بنجاح، أو إنقاص بضعة كيلوجرامات من الوزن. وفي ذات الوقت، فإن الخوار العاطفي قد يكون نتيجة عوامل مختلفة والتي تتضمن (لكن لا تقتصر على) أيامًا متتابعة تمتلئ بالسحب والغيوم، يوم عمل شاق، اتصالاً تليفونيًا محبطًا، اكتشاف أن ملابسنا قد ضاقت علينا، وقتًا محددًا من الشهر، ليلة من الأرق، أو بيتزا كنا قد تناولناها متأخرًا الليلة السابقة.

وعند إضافة أشياء "كبيرة" مثل ميلاد طفل رابع في خلال خمسة أعوام، انتقال وتغيير كبير، فقدان وظيفة، موت زوج أو ابن، الاعتناء بأب أو أم يعانيان من فقدان الذاكرة، المرور في تغيرات الحياة، تشخيص بسرطان؛ فتلك المشاعر يمكن أن تصل إلى حد الجنون.

مشاعرنا أحيانًا تجعلنا كما لو كنا في قطار الملاهي المرعب الذي يتلوى ويصعد

وينخفض، وفي وسط هذه الحالة لا بد أن نستحضر عقولنا وأفكارنا دائمًا رجوعًا إلى الحق. الحق هو أن الله صالح، سواء شعرت أنه صالح أو لم أشعر. الحق هو أن الله يحبني، سواء شعرت أنني محبوبة أم لا. الحق هو أنه بواسطة الإيمان بدم يسوع المسيح المسفوك من أجلي قد غُفر لي، سواء شعرت بأنه قد غفر لي أم لا. الحق هو أن الله لن يتركني ولن يهملني، هو دائمًا معي، حتى عندما أشعر أني وحيدة ومهجورة.

إذا أردنا أن نعيش في الحرية ينبغي أن ندرك أن مشاعرنا ليست بالضرورة محل ثقة، وعلينا أن نكون على استعداد أن نرفض أي شعور لا يتوافق مع الحق.

"كووني" تعترف أنها أسَّست إيمانها على ما كانت تشعر به، بدلاً من الحق. لاحظي كيف أن طريقة تفكيرها تغيرت بالكامل بمجرد أن أدركت أنها قادرة أن تدع الحق يحكم مشاعرها:

> برغم كوني ابنة لله، فقد صدَّقت طوال حياتي أن بعض جوانب الحق تنطبق على الجميع إلا أنا، فالله صالح لهم وليس لي، يحبهم ولا يحبني، الأخريات لهن قيمة عظيمة بالنسبة لله، أما أنا فلا. عرفت "حقائق" أن الله صالح، وأنه يحبني، وأن قيمتي عظيمة عنده؛ لكن كان هناك انفصال في عقلي بين الحقائق وبين ما كنت أشعر به. فبالتأكيد، إذا كان الله يحبني وكنت أعني الكثير بالنسبة له، لَكنت قد شعرت أنني محبوبة وذات قيمة.
>
> وفي أثناء محاضراتك "أكاذيب تصدقها النساء"، أعلن الله أن حقه قائم، بصرف النظر عن شعوري. لا شيء يقدر أن يغيِّر الله أو حق كلمته أو صفاته. هو صالح لي. هو يحبني. يمكنني أن أختار التمسك بالحق أو أن أختار تصديق أكاذيب الشيطان. لكن حق الله لا يتغير ولا يُدحض.

في الفصل الأخير من رسالة فيلبي، يعطي الرسول بولس وصفة طبية للعقل السليم والاتزان العاطفي:

اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ... لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ... كُلُّ مَا هُوَ حَق... فَفِي هذِهِ افْتَكِرُوا.

والنتيجة

وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْل، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ... وَإِلهُ السَّلاَمِ يَكُونُ مَعَكُمْ.

فيلبي ٤ : ٤، ٦-٩

٣٣. "لا أستطيع التحكم في مشاعري"

يستخدم العدو هذه الأكذوبة لكي يجعلنا نُصدِّق أنه ليس لدينا الاختيار إلا أن تحكمنا مشاعرنا. وبينما قد يكون من الحقيقة، إلى درجة ما، أننا لا نقدر أن نتحكم في الكيفية التي نشعر بها؛ فالحق هو أننا لا ينبغي أن ندع مشاعرنا تدير حياتنا.

قد تكونين غير قادرة على التحكم في مشاعر الخوف والقلق من جهة فحص طبي مُقبل،

لكن هذا لا يعني أنك لا تستطيعين التحكم في القلق والتوتر من جهة النتيجة. قد لا تكونين قادرة على السيطرة على مشاعر الانفعال وسرعة الغضب في وقت محدَّد من الشهر، لكن هذا لا يعني أنك غير قادرة على التحكم في التكلم "بفظاظة" أو التصرف بخشونة تجاه أيًا مَنْ كان في طريقك في تلك الأيام. قد لا تكونين قادرة على السيطرة على الشعور بأنك عرضة للسقوط في فترة من فترات الوحدة في حياتك عندما يبدي رجل متزوج إعجابه بكِ، لكن هذا لا يعني أنك غير قادرة على التحكم في بدء "علاقة عاطفية" معه.

الحق هو أنه بغض النظر عن نوع المشاعر التي تدور بداخلنا، بنعمة الله، نستطيع باختيارنا أن نثبّت أفكارنا فيه وأن "نثق ونطيع". وعندما نفعل ذلك، سنختبر سلام الله والنعمة التي تجعلنا أمناء، حتى برغم عدم تغير ظروفنا.

أبتُليت الكاتبة المحبوبة جدًا "هانا وايتل سميث" بظروف كان من الممكن أن تتركها حطامًا. إذ كانت زوجة لمبشر وتبين أنه لم يكن مستقرًا روحيًا وعاطفيًا، ولم يكن مُخلصًا لها المرة تلو الأخرى. واثنان من أولادها الخمسة ماتا بسبب الحمي القرمزية. وابنتها هجرت زوجها وهربت مع رجل يعمل بمجال الفن، وابنة أخرى تزوجت بشخص ملحد يجاهر بإلحاده. "هانا" نفسها عانت من ألم المفاصل الحاد. لكنها رفضت أن تكون المشاعر هي المتسلطة على حياتها. تعكس كتاباتها عزمها الراسخ في تدريب إرادتها في طاعة الله، بصرف النظر عن مشاعرها.

> لا بد أن نختار توجّه إرادتنا من ناحية الله، بدون أي اعتبار لمشاعرنا. ويجب أن ندرك أن مشاعرنا ما هي إلا خادمة لإرادتنا...
>
> يمكن لإرادتنا أن تحكم مشاعرنا إن كنا فقط، بعقل واعٍ، نعتزم أن نفعل ذلك. في أوقات كثيرة عندما كانت مشاعري تعلن شيئًا مخالفًا للحقائق، كنت أغير تلك المشاعر بالكلية وبكل إصرار وحزم، إلى ما هو على العكس تمامًا...
>
> المشاعر المندفعة – والتي تشبه سفينة تتمايل مع الأمواج لكنها تستسلم تدريجيًا إلى جذب المرساة الثابتة – منجذبة بقوة الله العظيمة بفعل الإرادة،

لا بد أنها آجلاً أو عاجلاً تخضع لله [٢٥].

يمتلئ الكتاب المقدس بالوعود والوصايا الإلهية التي تقدِّم الوسـائل التي بها يمكن أن تهدأ مشاعرنا في قلب أية عاصفة:

- كلمة الله تَعِد: «وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متى ٢٨: ٢٠). لذلك يجب ألا ننهزم بالشعور بالوحدة.
- كلمـة اللـه تَعِد: «فَيَمْـلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُـمْ» (فيلبي ٤: ١٩). لذلـك يجب ألا يصيبنا الأرق بالليل، قلقين من جهة الكيفية التي ستسدَّد بها ديوننا.
- كلمـة الله تَعِـد: «فَإِنَّ الْجِبَـالَ تَـزُولُ، وَالآكَامَ تَتَزَعْزَعُ، أَمَّا إِحْسَـانِي فَلاَ يَـزُولُ عَنْكِ» (إشعياء ٥٤: ١٠). لذلك يجب ألا نحيا في فزع من مستقبل يمتلئ بالغموض.
- كلمـه اللـه تقول: «لاَ تَضْطَـرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَـبْ» (يوحنـا ١٤: ٢٧). وهذا يعني أننا يجب ألا نستسلم للخوف، بغض النظر عن ظروفنا.
- كلمـة اللـه تقول: «لاَ تَهْتَمُّوا بِشَـيْءٍ» (فيلبي ٤: ٦). وهذا يعني أننا حتى في عمق شـدة الظروف ووطأتها، يجب ألا نعول الهمّ.
- كلمة الله تقول: «اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ» (١تسالونيكي ٥: ١٨). وهذا يعني أنه بإمكاننا أن نختار أن نكون شاكرين، حتى عندما يبدو أن كل شيء حولنا ينهار.
- كلمـة اللـه تقول: «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُـمْ» (متى ٥: ٤٤). هذا يعني أنـه، بقوة الروح القدس، يمكننا أن نحب الجميع، مهما كان مقدار إساءتهم إلينا.
- كلمة الله تقول: «اغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَـيْءٌ» (مرقس ١١: ٢٥). هذا يعني أنه لا يوجـد أحـد لا نقدر أن نغفر له باختيارنا، مهما كان عمـق الألـم الذي ربما نتألم به، ومهما كان الخطأ الموجَّه ضدنا.

عندمـا نثبِّـت أفكارنا على المسـيح ونُخضع كل فكر للحق، فالروح القدس سـوف يطهِّر ويقدِّس عواطفنا ويمنحنا نعمة فائقة، وراحة، وسلامًا:

إِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ. اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ

كولوسي ٣: ١-٢

مُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ

٢كورنثوس ١٠: ٥

ذُو الرَّأْيِ الْمُمَكَّنِ تَحْفَظُهُ سَالِمًا سَالِمًا، لأَنَّهُ عَلَيْكَ مُتَوَكِّلٌ

إشعياء ٢٦: ٣

٣٤. "لا أقدر أن أتحكم في ردود أفعالي عندما تكون الهرمونات غير متوازنة"

إذا كنا نقبل الأكذوبة أننا لا نستطيع التحكم في مشاعرنا؛ فسوف نصدِّق أيضًا أننا لا نقدر أن نتحكم في تصرفاتنا عندما تثور مشاعرنا أو تصبح خارج نطاق السيطرة. فنحن لسنا فقط سريعي التصديق لمشاعرنا، بل نحن أسرع كثيرًا في إطاعتها.

لذلك عندما نشعر فجأة برغبة مُلِحّة لطبق كبير من "الأيس كريم" بالشيكولاتة الساعة العاشرة مساءً، نتوجه صوب "الفريزر" ونسحب علبة الأيس كريم. وعندما نشعر برغبة للسهر لمشاهدة أحد الأفلام في ساعة متأخرة من الليل، فنحن نفعل ذلك. وإن كنا لا نرغب في النهوض من فراشنا الصباح التالي، فنحن نشد الغطاء فوق رؤوسنا ونتصل تليفونيًا بمكان العمل لنخبرهم أننا مرضى. إن لم نشعر برغبة في إعداد وجبة غذاء ذات مساء، نطلب خدمة التوصيل إلى المنازل لتحضر لنا البيتزا. وإن لم نشعر برغبة في تنظيف منزلنا، نتساهل في الأمر إلى أن تصل الفوضى إلى الذروة، ونصاب بالاكتئاب بالفعل.

المشكلة هي، أننا إذا كنا نراعي مشاعرنا وندعها تتحكم في تصرفاتنا في هذه الأشياء من الروتين اليومي، فسنكون أكثر عرضة لأن نكون محكومين بمشاعرنا في تغيرات الحياة الكبيرة والفترات الصعبة منها.

في العقود الأخيرة، كان هناك الكثير من الأبحاث والكتابات والمناقشات فيما يتعلق بفصول حياة المرأة، والاهتمام الرئيسي لبعضها قد زاد من فهمنا للطريقة التي خُلقنا بها «امْتَزْتُ عَجَبًا» (مزمور ١٣٩: ١٤)، ومع ذلك فقد تسببت في أن كثيرات من السيدات امتلأن بالهواجس عن أنفسهن، كما أنها قدمت لهن الاعذار لمواقف وسلوكيات لا تقبل الأعذار.

أعرف بعض النساء اعتدن أن ينسبن مزاجهن السلبي وردود أفعالهن إلى مواقيت الدورة الشهرية (كما أنغوي أنا نفسي أن أفعل ذلك أحيانًا). هذه الطريقة من التفكير كادت تكلف "ماري" حياتها الزوجية:

> عمري اثنان وخمسون عامًا، وأرى كيف أن هذه الأكذوبة خدعت قلبي تمامًا. حاول زوجي أن يواجهني بالأمر ويساعدني لأرى الحق، لكنني كنت مخدوعة جدًا، وكان سلوكي معززًا بمؤيدي فكرة الأعراض التي تواكب حدوث الدورة الشهرية، حتى لم يكن هناك وسيلة لإقناعي. كان عليَّ أن أواجه احتمال مفارقة زوجي لي قبل أن تنفتح عيناي.

بالنسبة لبعض النساء، فإن صعوبة فترة الحمل قد "تفسر" أو "تبرر" تقلب المزاج بصورة غريبة والسلوك المتذبذب. تقابلتُ مع نساء أخريات كنَّ على ما يبدو يجهزن أنفسهن للانهيار عند بلوغهن سن اليأس.

بكل تأكيد فإن ما يحدث في أجسادنا يؤثر علينا عاطفيًا، وذهنيًا، وحتى روحيًا. ولا يمكننا أن نفصل هذه الأبعاد المختلفة عن حقيقة مَنْ نكون – فهي مضفورة معًا بلا انفصال. لكننا نسقط في فخ العدو عندما نبرِّر تصرفات وردود أفعال جسدية خاطئة على أساس حالتنا الجسمانية أو التغيرات الهرمونية.

ما أتذكره عن العام الذي بلغت فيه الثانية عشرة أنني كنت أبكي طوال العام دون أن يكون هناك سبب واضح. عندما أسترجع هذا الأمر، فإنني الآن، أكثر مما كنتُ آنذاك، أدرك بعضًا من التغيرات التي كانت تحدث في جسدي بينما كنت في تلك المرحلة في طريقي لأن أكون امرأة. لكنني أيضًا أدرك الآن، أكثر مما كنت أدركه في ذلك الوقت، أن ما كان يحدث في جسدي لم يكن مبرِّرًا لتقلب المزاج والثرثرة اللتين كانتا جزءًا من نمط سلوكي في تلك السنة.

أتذكر مناسبة منذ سنوات مضت عندما كنت مستنزفة جسديًا وعاطفيًا بسبب برنامجي المكثَّف. كان أسلوبي وكلامي متقلبين، كنت سلبية ويصعب العيش معي بصفة عامة. وبلا وعي كنت أبرِّر نفسي بسبب ما كنت أشعر به. وحدث أن صديقة مِمَن طالتهم تصرفاتي السلبية هذه نظرت إليَّ وقالت ببساطة: "لا تتخذي التعب مبررًا لتصرفاتك الجسدية". أعترف أنني في تلك اللحظة لم أُقدِّر بالضبط هذا التوبيخ، لكنه كان هو ما أحتاج أن أسمعه – نبَّهتني للحق بطريقة مؤلمة، لكنها كانت ضرورية.

وكما هو الحال في صور الحياة المختلفة، صمَّم الله أجسادنا لتعمل في فصول وفي دورات. وبكل تأكيد كل فصل من فصول الحياة له تحدياته. واحدة من عواقب سقوط الإنسان أن إنجاب الأولاد سوف يصاحبه حزن وألم. ووقت ولادة الطفل ليس هو

الوقت الوحيد فقط الذي تُستَشعَر فيه تلك العواقب. على سبيل المثال، فإن الصعوبات التـي تختبرهـا بعض النســاء والتي تصاحب الدورة الشـهرية هي تذكـرة عملية لطبيعتنا الساقطة.

لكن كل دورة شـهرية هي أيضًا تذكرة أن الله عملنا نسـاء، ولكوننا نسـاء فلنا القدرة على أن نكون حاملات للحياة وحاضنات لها. حتى في حالة المرأة غير المتزوجة، أرى أن هـذه تذكـرة كريمة وذات قيمة لحقيقـة مَنْ أكون، ولماذا خلقنـي الله، وكيف يمكن أمجِّد الله على أفضل وجه في حياتي هنا على الأرض.

ألم يعمل الله أجسـادنا؟ ألا يعرف كيف تعمل؟ هل تعتقدين أن أشـياء مثل الدورة الشهرية، والهرمونات، وفترات الحمل، وسن اليأس ستأخذه على حين غرة؟

كاتـب المزمـور يحمـد الله لأجـل رعايتـه واهتمامه ولأجـل خطته التي تسـود، في ارتباطها بخليقة أجسادنا:

لأَنَّكَ أَنْتَ اقْتَنَيْتَ كُلْيَتَيَّ.
نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي.
أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَبًا...
لَمْ تَخْتَفِ عَنْكَ عِظَامِي حِينَمَا صُنِعْتُ فِي
الْخَفَاءِ، وَرُقِمْتُ فِي أَعْمَاقِ الأَرْضِ.
رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي، وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا
كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرَتْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا.

مزمور ١٣٩: ١٣-١٦

يا له من فكر يفوق العقل! فقبل أن تولدي بوقت طويل، كل جزء في جسدك، وكل يـوم مـن أيام حياتك، من يوم أن حُبِلَ بِكِ وحتى القبر، كان بحكمة في فكر الله وخطته. لقد عيَّن اليوم الذي ستبدئين فيه الحيض، ومتى وكم عدد المرات ستكونين قادرة على الحَبَـل، ومتى ستتوقفين بالضبط عـن التبويض. هو يفهم تمامًا مـاذا يحدث في داخل جسدك في كل فصل وكل تغيُّر.

هـل من الممكن تصور أن هـذا الخالق الحكيم المحب، ليس لديه إدراك لمستوى الهرمونـات فـي أية مرحلة من مراحل نضوجنا، أو أنه قد أخفق في عمل احتياط مسبق لـكل فصـل من فصول الحياة؟ إنه لا يقدم مراحل سـهلة من النمـو تخلو من المتاعب، لكنـه وعد أن يسـدِّد كل احتياجاتنا ويمنحنا نعمة لمواجهـة كل التحديات والصعوبات التي ترتبط بكل مرحلة من مراحل الحياة.

منـذ عهـد طويـل، قبـل أن يكتـب أحـد كتابًـا عن موضـوع سـن اليـأس أو هرمون الإسـتروجين، كتب "فرانسيس دي سيلس" (١٥٦٧ - ١٦٢٢) كلمات مشورة حكيمة للنساء من كل الأجيال:

> لا تتطلعـي في خوف إلـى تغيرات وتقلبات هذه الحياة، بـل انظري إليها بكل الأمـل فـي أنه: عندما تظهـر، فإن الله الذي أنت له، سـوف يخرجك منها. إنه هو الذي حفظك إلى هذا اليوم، وما عليك أن تفعلى شـيئًا إلا أن تمسـكي بيده بشدة، وهو سيقودك بأمان في وسط كل الأمور، وعندما لا تستطيعين الوقوف سيحملك في حضنه... الآب الأبدي نفسه الذي يعتني بك اليوم، سيعتني بك في الغد، وفي كل يوم. سواء بأن يقيك من الألم، أو بأن يمنحك القوة التي لا تنضب للاحتمال. كوني في سلام إذًا، وضعي جانبًا كل أفكار وتصورات تثير توتّرك[٢٦].

لم تكن صلاة بولس في نهاية رسالته الأولى إلى تسالونيكي فقط لأجل مؤمني القرن الأول. ولـم تكـن فقط للرجال. أؤمن أنها صلاة يمكن أن ترفعها جميع النسـاء في كل

فصل من فصول حياتهن. إنها صلاة علينا أن نتوقع إستجابة الله لها، بينما ندرب الإيمان وندع الله يفعل أيضًا:

وَإِلهُ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ. وَلْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ (متضمنة تلك المشاعر) وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. أَمِينٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُوكُمُ الَّذِي سَيَفْعَلُ أَيْضًا.

١ تسالونيكي ٥: ٢٣-٢٤

٣٥ علاج الاكتئاب لا بد أن يكون باللجوء أولاً إلى الأدوية أو العلاج النفسي

بينما كنت أكتب هذا الفصل، تلقيت اتصالاً هاتفيًا من زوجة راعٍ. بدأت تسكب قلبها وتتحدث عن معركة دامت سنوات طويلة كان زوجها يخوضها مع الاكتئاب. كانت تأثيراتها هائلة في حياتها وفي زواجهما.

وفي أثناء المحادثة، وجَّهت أنواعًا من الأسئلة التي تسألها الكثيرات في ظروف مماثلة: هل يمكن أن تكون هذه المشكلة وراثية؟ (يوجد حالة انتحار في خلفية عائلة زوجها.) هل يمكن أن تكون شيئًا عضويًا أو كيميائيًا؟ هل يمكن أن تكون متصلة بأعمال شيطانية؟ وهل

هناك حق روحي هو لا يدركه تسبب في هذا الاضطراب العظيم والعبودية؟

الاكتئاب مسألة أساسية بالنسبة للنساء - فمن بين الذين يعانون من الاكتئاب عدد النساء يمثل ضعف عدد الرجال. ولم يحدث من قبل هذا الانتشار الواسع للإصابة بالاكتئاب بين النساء كما نختبره في الغرب اليوم. وبالرغم من سهولة تشخيص الأطباء للاكتئاب وتقديم العلاج النفسي مع العقاقير، فإن عدد الذين يعانون من الاكتئاب يتزايد، ونسبيًا فإن أقلية قليلة هم الذين يجدون شفاءً مستديمًا.

أظهرت دراسة للاكتئاب واليأس من خلال الكتاب المقدس أنه، في بعض الحالات، يكون الألم الذي نعرِّفه كضغط عاطفي هو ببساطة أحد العواقب التي لا يمكن تجنبها بسبب العيش في عالم ساقط. في رومية ٨، يشير بولس إلى أن كل الخليقة "تئن" تحت وطأة حالتها الساقطة، مشتاقة إلى الفداء الأخير من هذا العالم الذي لُعن بالخطية.

أُجريت الكثير من الأبحاث العلمية والطبية في محاولة لفهم العلاقة المتبادلة بين الاكتئاب، والاستعداد الوراثي، وعوامل نفسية أخرى. ولا يزال أمامنا الكثير لنتعلمه عن هذه الأمور وعن التأثير طويل المدى للأنواع المختلفة للعلاج. لكن ما نعرفه بالفعل أنه في حالات كثيرة تكون الأعراض النفسية المرتبطة بالاكتئاب هي ثمار قضايا لها جذور في دواخل النفس والروح - قضايا مثل الجحود وعدم الشكر، نزاع لم يُحَلّ، عدم القدرة على تحمل المسؤولية، الشعور بالذنب، المرارة، عدم الغفران، عدم الإيمان، الإصرار على المطالبة بالحقوق، الغضب، والتمركز حول الذات.

إن لم تُعَالَج هذه القضايا الجوهرية بحسب فكر الله؛ فالعواقب ستظهر حتمًا في أجسادنا ونفوسنا، مُنشئة مشكلات جسدية وعاطفية حقيقية بالفعل. في بعض الحالات، قد يساعد العلاج في تخفيف أعراض الاكتئاب. لكن، إذا كان منشأ الاكتئاب شيئًا آخر غير الاعتلال الجسدي (الفسيولوجي)، فالعلاج لن يحل المشكلة بصفة دائمة. قد يساعد العلاج المناسب الشخص الذي يعاني من الاكتئاب المزمن للحصول على

التوازن الكافي لكي يفكِّر بوضوح، فيهيء فرصة للشخص ليبدأ في التعامل مع القضايا التي أوجدت المشكلة. لكن لا توجد وصفة طبية تقدر أن "تصلح" قضايا الروح الأكثر عمقًا. وبكل أسف، يوجد أناس كثيرون جدًا مِمَن يعانون من الاكتئاب قد وصلوا لاعتبار أن الدواء هو "حل" مشكلاتهم. لكن إن لم تعالج من تعاني من الاكتئاب قضايا القلب الداخلية، فلا تأمل أبدًا أن تتحرر بالفعل.

قد تندهش إذا علمت أن أشخاصًا كثيرين جدًا في الكتاب المقدس كانوا يعانون مما يمكننا أن نطلق عليه اليوم اعتلال الاكتئاب. وقصصهم تعطي بصيرة تساعد على فهم الأسباب التي تساهم في حدوث الاكتئاب.

فعلى سبيل المثال، أصيب الملك آخاب بالاكتئاب عندما لم يحصل على ما يريد. عندما رفض جاره أن يبيع له قطعة الأرض التي كان يريدها بشدة، اعترته نوبة من الغضب وأصبح «مُكْتَئِبًا مَغْمُومًا ... وَحَوَّلَ وَجْهَهُ وَلَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا» (١ملوك ٢١: ٤). حاولت إيزابل، زوجة آخاب، أن تجذبه بعيدًا عن هذا الاكتئاب بأن وعدته أن تساعده ليحصل على ما يريد. قالت له: «قُمْ كُلْ خُبْزًا وَلْيَطِبْ قَلْبُكَ. أَنَا أُعْطِيكَ كَرْمَ نَابُوتَ الْيَزْرَعِيلِيِّ» (١ملوك ٢١: ٧).

بالنسبة لحياتي الشخصية، فلا بد أن أعترف أن اضطراب مشاعري كان عامةً نتيجة لرد فعلي لأشياء لم تسر "كما أريد": في أعماقي، أشعر بالغضب، لكن بدلاً من أن أعبِّر عن هذا الغضب بشكل ظاهري أسقط في حفرة عاطفية، على أمل أن يلحظني أحد ويحاول أن يجعلني أهدأ، ولو كما فعلت إيزابل مع آخاب.

و تصوِّر قصة يونان كيف أن الاكتئاب والتفكير في الموت يمكن أن يكونا متأصلين في الغضب من اختيارات الله. عندما لم يُهلك الله شعب نينوى كما شعر يونان أنهم يستحقون، «فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ. وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ... فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي» (يونان ٤: ١-٣). لكن جواب الرب أجبر

يونـان على أن يواجه غضبه «فَقَالَ الرَّبُّ: هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ؟» (٤: ٤). تكرر الحوار نفســه بعـد ذلك بوقت قصيـر، عندما اغتم يونان أكثر بعد أن يبست اليقطينة التي كانت تظلل رأسه وماتت. أراد الله أن يُري النبي أن الظروف لم تكن في الواقع هي السبب في اكتئابه، بل رد فعله الغاضب على اختيارات الله صاحب السلطان.

كانت حنة امرأة تقية، واكتأبت عندما كان عليها أن تتعامل مع خليط من تطلعات غير مُتمَّمـة وعلاقـة متوترة امتدت وقتًا طويلاً. كان زوجهـا رجلاً صالحًا وكان يحبها جدًا. ومـع ذلك، فلأسـباب لا يعرفهـا إلا الله وحده، كان قد أغلـق رحمها. كانت صراعات حنة مع العقم تتفاقم بسـبب ضرتها، فننة، التي لم تكن لديها صعوبة في الحبل وإنجاب الأولاد ولـم تتردد في تذكير حنة بتلك الحقيقة:

كَانَتْ ضَرَّتُهَا تُغِيظُهَا أَيْضًا غَيْظًا لأَجْلِ
الْمُرَاغَمَةِ، لأَنَّ الرَّبَّ أَغْلَقَ رَحِمَهَا.
وَهكَذَا صَارَ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ، كُلَّمَا صَعِدَتْ
إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ، هكَذَا كَانَتْ تُغِيظُهَا.
فَبَكَتْ وَلَمْ تَأْكُلْ.

---

١ صموئيل ١: ٦-٧

عندما نخفق في أن نرى يد الله في ظروفنا، أو عندما نجادل معه بخصوص اختياراته لحياتنا؛ فإننا نكون عُرضة للاكتئاب والحزن، عاطفيًا وروحيًا.

توضِّح حياة الملك داود أنه في بعض الأحيان تكون خطيتنا هي السبب في كآبتنا، بينما

في أحيان أخرى تكون فقط بسبب الألم الناتج عن العيش في عالم ساقط.

ومزمور ٣٢ يتعلق بالألم الجسدي والعاطفي الذي نتج عندما رفض أن يعترف بخطيته بشأن بثشبع وأوريا:

لَمَّا سَكَتُّ (عن خطيتي) بَلِيَتْ عِظَامِي
مِنْ زَفِيرِي الْيَوْمَ كُلَّهُ،
لأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَارًا وَلَيْلاً.
تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ الْقَيْظِ.

مزمور ٣٢: ٣-٤

بالمقابلة مع الكآبة التي اختبرها بسبب خطيته، كان داود يواجه بصفة دورية أوقاتًا من ظلمة المشاعر الكثيفة لم تكن ذات صلة مباشرة بخطيته. وعبَّر في بعض المزامير عن أعماق حزنه:

أَتَحَيَّرُ فِي كُرْبَتِي وَأَضْطَرِبُ...
يَمْخَضُ قَلْبِي فِي دَاخِلِي،
وَأَهْوَالُ الْمَوْتِ سَقَطَتْ عَلَيَّ.
خَوْفٌ وَرَعْدَةٌ أَتَيَا عَلَيَّ، وَغَشِيَنِي رُعْبٌ...
صَارَتْ لِي دُمُوعِي خُبْزًا نَهَارًا وَلَيْلاً.

مزمور ٤٢: ٣؛ ٥٥: ٢، ٤-٥

في أوقات مثل هذه، تعلَّم داود كيف يدع الله يصل إليه في أدنى حالاته على الإطلاق. لقد فهم أهمية التكلم بالحق إلى نفسه، سائلاً نفسه الأسئلة العسرة، مستشيرًا قلبه وفقًا للحقّ الذي تعلمه عن طبيعة الله:

لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟
ارْتَجِي اللهَ، لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ،
لأَجْلِ خَلاَصِ وَجْهِهِ.
يَا إِلهِي، نَفْسِي مُنْحَنِيَةٌ فِيَّ، لِذلِكَ أَذْكُرُكَ...
بِالنَّهَارِ يُوصِي الرَّبُّ رَحْمَتَهُ،
وَبِاللَّيْلِ تَسْبِيحُهُ عِنْدِي.

مزمور ٤٢: ٥-٦، ٨

في كتابه الكلاسيكي "الاكتئاب الروحي"، يستخدم د. مارتن لويدجونز هذه الفقرة ليوجِّه حديثه إلى هؤلاء الذين يشعرون بالاكتئاب:

> يجب أن تقول لنفسك، «لماذا أنت منحنية» - ما هي القضية التي تجعلك تئنين؟ لا بد أن... تخضع نفسك وتقول لنفسك: «ارتجي الله» - بدلاً من التذمر بهذه الطريقة المكتئبة غير المبتهجة. ثم يجب أن تستمر في تذكير نفسك بالله، ومَنْ هو الله، وما هو الله، وماذا عمل الله، وماذا تعهد الله أن يفعل [٢٧].

في الأصحاح الأخير من رسالة يعقوب، نكتشف جزءًا يقدِّم مساعدة عملية لأولئك الذين يعانون من الاكتئاب:

أَعَلَى أَحَدٍ بَيْنَكُمْ مَشَقَّاتٌ؟ فَلْيُصَلِّ.
أَمَسْرُورٌ أَحَدٌ؟ فَلْيُرَتِّلْ.
أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ
فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ،
وَصَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ، وَالرَّبُّ
يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ.
اِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ،
وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ، لِكَيْ تُشْفَوْا.
طَلِبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا.

يعقوب ٥: ١٣- ١٦

أول حق يبرز في هذا الجزء هو أنه بصرف النظر عما نشعر به أو نجتاز فيه، فإن رد الفعل الفوري يجب أن يكون هو التحول إلى الرب. سواء كنا ناجحين أو متألمين، فرحين أو حزانى، بصحة جيدة أو مرضى - قبل أن نفعل أي شيء، لا بد أن نُقِرّ بحضور الله ونسأله أن يصحبنا بطول هذه التجربة، لكي يرشدنا إلى كيفية الاستجابة للظروف، ويمدنا بالوسائل التي تساعدنا في مواجهة الموقف.

في أكثر الأحيان، يبدوا أن أول تجاوب منا هو أن نتحول إلى شخص ما أو شيء ما غير الرب. عندما نتألم، نسرع إلى مصادر ملموسة في بحث عن تعزية، وراحة، أو هروب. وبعد ذلك، يسهل جدًا أن نتصل بصديقة لتتعاطف معنا بدلاً من أن نركع وكتابنا مفتوح ونسمع ما يريد الله أن يقوله لنا في "ليل نفوسنا الحالك". من الأسهل

كثيرًا أن نضع قناعًا فوق الألم بالإفراط في الأكل أو النوم بدلاً من اختيار أن ننكر الجسد ونسلك بالروح. من الأسهل أن نغرق مشاعرنا أمام شاشة التلفاز المتوهجة بدلاً من أن نتضع ونطلب الغفران من الله ومن الآخرين بسبب غضبنا. من الأسهل أن ندفع المال لإعادة صرف روشتة الدواء المضاد للاكتئاب بدلاً من أن نسأل الله ليظهر لنا ما إذا كان لدينا روح عدم الشكر، والطلب اللحوح، أو المرارة. هذه الوسائل قد تمنح قدرًا من الارتياح، لكنها غالبًا ما تكون غير كافية وتأثيرها قصير الأجل. ليس أقل من «إله كل تعزية» يقدر أن يقابل أعمق احتياجاتنا في أوقات مثل هذه.

هذا لا يعني أن كل تلك الأشياء الأخرى ليست صحيحة. فليلة يملأها النوم الهادئ تصنع فرقًا كبيرًا في مشاعر أم لديها طفلان في مرحلة الحضانة مع طفل رضيع. والتغيير في نظام التغذية أحيانًا يكون له الأثر البالغ لصالح أجسادنا، وبالتبعية سيؤثر على فائدتنا عاطفيًا وعقليًا. والتمارين الرياضية لها فائدة هائلة في علاج الأعراض الجسدية المرتبطة بالاكتئاب. الأصدقاء يمكن أن يقدموا تشجيعًا، خاصة إذا وجَّهوا تفكيرنا عودة إلى الحق. والطبيب يكتشف ويصحِّح المشكلة العضوية التي تؤثر على حالتنا العاطفية. لكننا نميل إلى الاعتماد على أخصائيين محترفين وعلى حبوب الدواء لكي نحل ما هو، في أغلب الحالات، مشكلات للنفس والروح؛ الأمر الذي ترك ملايين من النساء تحت تأثير كميات كبيرة من الدواء، وفي إفلاس مادي، وخيبة أمل، ولسن في حال أفضل من وقت البداية.

الحق الثاني الذي يؤكِّد عليه يعقوب هو أهمية جسد المسيح (الكنيسة) ودوره في تقديم المعونة الروحية وشفاء القلوب المتألمة.

في العقود القليلة الأخيرة، نمت لدينا نزعة فكرية أن "الأخصائيين المحترفين" فقط هم المؤهلون لمساعدة الأشخاص المصابين بحالات مختلفة من الاضطراب العاطفي والعقلي. لدرجة أن كثيرين من الخُدّام والمسؤولين بالكنائس باتوا يشعرون بأنهم غير مؤهلين للتعامل

مـع تلك المسـائل، ومن ثمَّ يحوّلون بطريقـة روتينية المرضى الذين يحتاجون للمشـورة إلى "الخبراء" – الأطباء النفسيين المدرَّبين بطريقة خاصة، والأخصائيين النفسيين.

أنـا لا أدّعـي أنـه لا يوجـد مكان لأشـخاص قد تدربـوا في هـذا المجـال، إذا كانت مشـورتهم مبنيـة علـى كلمة الله وطرقـه. لكن دعونا ألا ننسـى أن الله وضـع في داخل جسـد المسـيح موارد لخدمة اليائسـين والمحتاجين. لقد أعطانا كلمته وروحه. نحن نحتاج أن نتعلم أن نأخذ مسحة كلمة الله ونضعها على المتألمين في جسد المسيح.

ولذلـك، يقـول يعقـوب، عندما تتألميـن، عندما تكون نفسـك مريضة، دعي جسـد المسـيح يقدِّم رسـالة النعمة في اسم الرب يسـوع. بعد أن تكوني قد صلَّيت أنت أولاً، اتخـذي المبادرة لتشـاركي احتياجاتـك مع "الآخريـن"، خاصة مع القـادة الروحيين؛ اطلبي منهم الصلاة لأجلك. اعترفي بأية خطية قد تكون سببًا لأي ضعف عاطفي أو أي مرض في حياتك، وكوني مسؤولة أمام جسد المسيح خلال مرحلة الشفاء والترميم.

عندما يصل الأمر إلى التعامل مع المشاعر، يجب أن نتذكر أن "الإحساس بالراحة" ليـس هو الغرض الأسـمى في حياة المسـيحي. لـم يَعِد الله أولئك الذين يسـيرون معه بالإعفاء من كل الأحاسـيس الصعبة. في الواقع، طالما نحن في هذه الأجسـاد، فسوف نختبر درجات مختلفة من الألم والضيق.

وكمـا سـنرى في الفصـل التالـي، إن هـدف حياتنـا الفعلي يجـب ألا يكون هـو تغيير أو "إصلاح" أشياء لكي نتمتع بشعور أفضل، لكن هو مجد الله ومقاصد خلاصه في هذا العالم. وكل شيء آخر يمكن أن نضحي به. يأتي الفرح الحقيقي من إنكار الذات إلى أقصى درجة.

الأكذوبة

٣٢. إذا شعرت بشيئ ما فلا بد أن يكون حقيقيًا

الحق

- لا يمكن أن أثق بمشاعري دائمًا. هي لا ترتبط كثيرًا بالواقع، ومن السهل أن تخدعني لكي أصدّق أشياءَ ليست حقيقية.

مزمور١١٩: ٢٩-٣٠؛ إرميا ١٧: ٩-١٠

- لا بد أن أختار أن أرفض أي مشاعر لا تتوافق مع الحق.

مزمور ٣٣: ٤؛ ٥١: ٦؛ ٥٦: ٣-٤؛ أفسس ٤: ١٤-١٥؛ فيلبي ٤: ٨-٩

الأكذوبة

٣٣. لا أستطيع التحكم في مشاعري

الحق

- لا يجب أن أكون محكومة بمشاعري.

مزمور ٦: ١-١٠؛ إشعياء ٥٤: ١٠؛ متى ٥: ٤٤؛ ٢٨: ٢٠؛ أفسس ٤: ٢٦؛ فيلبي ٤: ٤-٧؛ ١تسالونيكي ٥: ١٨

- أستطيع أن أختار أن أثبّت ذهني على الحق، وأن أستأثر كل فكر للحق، وأن أدع الله يتحكم في مشاعري.

مزمور ٤٢: ١١؛ إشعياء ٢٦: ٣؛ ٥٠: ١٠؛ يوحنا ١٠: ١٠؛ ١٧: ١٧؛ ٢كورنثوس ١٠: ٥؛ فيلبي ٤: ٨-٩؛ كولوسي ١: ٢-٣

الأكذوبة

٣٤. لا أقدر أن أتحكم في ردود أفعالي عندما تكون الهرمونات غير متوازنة

الحق

- بنعمة الله، أستطيع أن أختار أن أطيعه بغضّ النظر عن مشاعري.

رومية ٥: ٢؛ يعقوب ٤: ٦

- لا يوجد مبرِّر لأي موقف، أو رد فعل، أو سلوك ليس حسب فكر الله.

١تسالونيكي ٥: ٢٣-٢٤

- الدورات والفصول الجسدية والعاطفية هي تحت سلطان ذاك الذي خلقني، ويهتم بي، ويدبِّر مسبقًا لكل مرحلة في حياتي.

مزمور١٣٩: ١-١٨

الأكذوبة

٣٥. علاج الاكتئاب لابد أن يكون باللجوء أولاً إلى الأدوية أو العلاج النفسي

الحق

- الأعراض الجسمانية والعاطفية للاكتئاب ربما تكون نتاج قضايا روحية تحتاج إلى العلاج.

  اصموئيل ١ : ٦-٧ ؛ ١ملوك ٢١ : ٤، ٧ ؛ مزمور٣٢ : ٣-٤ ؛ ٤٢ : ٣-٨ ؛ ٥٥ : ٤-٥ ؛ مراثي ٣ : ١-٢٣ ؛ يونان ٤ : ١-٤

- إذا لم يكن منشأ الاكتئاب هو مشكلة جسمانية فلن يفيد العلاج طويلاً.

  يعقوب ٥ : ١٣-١٦

- ليس لديَّ "حق" أن "أشعر بالراحة". وبصرف النظر عن كيف أشعر، أستطيع أن أختار أن أشكر، وأن أطيع الله، وأن أساعد الآخرين.

  فيلبي ٤ : ٤-٧

- أعطانا الله مصادر قوية – نعمته، وروحه، وكلمته، ومواعيده، وجسد المسيح – ليخدم احتياجاتنا العاطفية.

  مزمور ٢٥ : ٤-٥ ؛ رومية ٨ : ٢٦ ؛ ٢كورنثوس ١٢ : ٩

تطبيقات عملية

١- وافقي الله

ما هي الأكاذيب التي صدقتيها عن عواطفك؟

٢- تحملي المسؤولية

كيف ظهر تصديقك لتلك الأكاذيب في أسلوب الحياة التي تعشينها (مثلاً، المواقف، التصرفات)؟

٣- أعلني الحق

اقـرأي بصوت مرتفع كل جزء من أجزاء الحق الواردة في الصفحة السـابقة. أيٌّ من هذه الأجزاء تحتاجين أن تتمسكي بها بصفة خاصة في هذا الوقت؟

جـدّدي ذهنك (تفكيرك) بكلمة الله. اقرأي الفقرات التالية بصوت مرتفع. ماذا تعلن هذه الأعداد عن كيفية التعامل مع عواطفنا؟

فيلبي ٤ : ٤-٨

كولوسي ٣: ١-٤

إشعياء ٢٦: ٣-٤

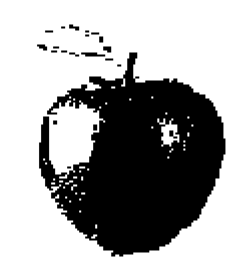
إشعياء ٥٠: ١٠

٤- تصرفي طبقًا للحق.

ما هي الخطوة (أو الخطـوات) الفعلية للتصرف والتي تحتاجين أن تتخذيها حتى تتوافق حياتك مع الحق؟

٥- اطلبي من الله أن يساعدك للسلوك في الحق.

أشــكرك، أيها الآب، لأجل عطية العواطف - لأنك ســمحت أن نختبر الفرح والبهجة في كل ما هــو صالــح، وأن يكون لنا القدرة على اختبار حتى الألم. أدرك أن الألم في هذا العالم الســاقط هو واقع لا يمكن الهروب منه. أعترف أنني أحيانًا أختار أن أصدِّق مشــاعري وأتصرف بموجبها دون أن أتوقــف لكن أفكر فيما إذا كانت تلك المشــاعر مؤسَّســة على الحــق أم لا. أحيانًا كثيرة أسمح لردود فعلي أن تحكمها مشاعري وظروفي، بدلاً من كلمتك وروحك. أشكرك لأنه، بصرف النظــر عن كيف أشــعر أو ما تحدثني به عواطفي، فحقّك أكيــد ولا يتغير. أعِنّي لكي أثق بك حتى في وسط دموعي، وآلامي، وتشوش فكري، أو خسارتي؛ ولكي أطيعك، بغضِّ النظر عن مشاعري. أشكرك لأجل وعدك بالسلام، في وسط أي ظروف، ما دمت أثبِّت قلبي وأفكاري عليك. في اسم الرب يسوع. آمين.



الفصل التاسع

أكاذيب تصدقها المرأة ...عن الظروف

مذكراتي العزيزة،

يا له من عام! لقد وصل إلينا خبر أن أحد أحفاد قايين قد سقط وارتطم بالأرض بينما كان يعمل في تشـييد بناء مع والده. على ما يبدو أنه قد أصيب إصابات بالغة. كان من الصعب أن نعرف كل التفصيلات، بسـبب الروابط القليلة مع قايين وعائلته، فالعلاقات ما زالت متوترة والذكريات مؤلمة في بعض الأوقات.

حصاد هذه السـنة كان الأضعف على ما أتذكر. كان لا بد أن يشتغل آدم ساعات عمل إضافيـة حتى يمكنه أن يوفر فقط القوت اللازم لبقائنا أحياء. وعندما يصل إلى البيت في نهاية اليوم، يكون منهكًا ولا يشعر برغبة في التكلم أو فعل كثير من الأشياء.

أتمنى لو كنت أسـتطيع أن أقول إنني كنت مشـجعة له في وسـط كل هذه الأمور، لكن كان لـي صراعاتي الخاصة - فليس لديَّ الطاقة التي كانت لي، وأشـعر أحيانًا أني أغرق في

محاولاتي لأن أســتمر في ملاحقة متطلبات المنزل، خاصة مع أربعة أولاد ما زالوا بالبيت. حياتنـا تمتلئ بالقلق، من الصعب أن أعرف كيف أوازن بين زوج، وأولاد، وأحفاد، وأعمال المنزل، وأن أجد وقتًا لنفسي مع كل هذا.

هذه الضغوط تؤثر فيَّ أحيانًا، وأجد نفســي فَظّة مع كل شــيء وكل فرد حولي. أشــعر بالأسف بسبب الطريقة التي أخرج بها غضبي بالإساءة إلى أولادي، وآدم. أنا متعبة جدًا.

لقــد مضي وقـت طويل منذ أن كان لي وقــت مع آدم - نحن الاثنين فقــط. أتمنى لو أستطعت أن أجد طريقة لأذهب بعيدًا عن كل هذا، لفترة وجيزة، ربما أعانني ذلك أن أكون أكثر قدرة على المقاومة. أعرف أن شيئًا لا بد أن يتغير.

كان "واحـد مـن تلك الأيام" التي ربما مررتِ بها، عندما لا يسـير أي شـيء بطريقة صحيحـة. ربمـا قـرأت عن ذلك اليـوم الخاص في كتاب "ألكسـندر واليـوم الرهيب، العصيب، غير الجميل، والثقيل جدًا" للكاتبة "جوديث فيورسـت". يبدو أن كل شيء كان يسير في الاتجاه المعاكس مع هذا المسكين ألكسندر.

> ذهبت للنوم وفي فمي علكة (لبان) والآن لصقت العلكة بشعري. وعندما نهضت من الفراش تعثرت بلوح التزلج وسقطت مني السترة الصوفية بطريق الخطإ في البالوعة بينما كان الماء جاريًا. وأدركت فورًا أن هذا اليوم سيكون رهيبًا، عصيبًا، غير جميل وثقيلاً جدًا[٢٨].

لقد كان صائبًا.. كان يوم ألكسـندر رهيبًا بالمدرسة، كان هناك موعد غير محبب مع طبيب الأسنان، وانتظار ثقيل لدى محل الأحذية. ولم تكن هذه هي النهاية.

> كان الغذاء فاصوليا بيضاء وأنا أكره الفاصوليا البيضاء. كان حمامي ساخنًا جـدًا، ودخل الصابـون بعينـي، والبلية الرخاميـة انزلقت إلى مصـرف المياه. وكان يجب أن أرتدي البيجامة التي عليها رسم قطار السكة الحديد، وأنا أكره

البيجامة التي رسم عليها قطار السكة الحديد. وعندما ذهبت إلى الفراش أخذ "نك" الوسادة التي قال إنني يمكن أن أحتفظ بها، و احترقت السهارة التي عليها "ميكي ماوس"، وعضضت لساني. والقطة تريد أن تنام مع "أنتوني" وليس معي. لقد كان يومًا رهيبًا، عصبيًا، غير جميل، وثقيلاً جدًا[٢٩].

مَنْ يستطيع أن يلوم هذا الولد المحبط الذي تنهد في نهاية اليوم، "أعتقد أنني سأنتقل إلى أستراليا!" [٣٠]

ألكسندر ليس هو الوحيد الذي شعر بهذا الشعور. فجميعنا ربما تمنينا في أوقات أن يدعونا الله إلى مناطق من الأرض لا يسكن فيها أحد!

في الواقع، هذا بعينه ما سأله كاتب المزمور في مناسبة واحدة على الأقل. كان يبدو أن كل شيء يضغط عليه بشدة، وكان يشعر أنه لا يقدر على الاحتمال:

فَقُلْتُ: لَيتَ لِي جَنَاحًا كَالْحَمَامَةِ، فَأَطِيرَ وَأَسْتَرِيحَ!... كُنْتُ أُسْرِعُ فِي نَجَاتِي مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَمِنَ النَّوْءِ.

مزمور ٥٥: ٦، ٨

عندما خلق الله الأرض في بداية الأمر، رأى كل ما عمله وقال، إنه «حسن». بدايةً من الجزيء البالغ الصغر وحتى المجرَّات الممتدة في هذا الكون الفسيح، كان كل شيء في ترتيبٍ تام، وتوافق بديع. لم يكن هناك شيء من الارتباك، أو الحزن، أو الصراع، أو الإحباط.

وكما رأينا، تمتع آدم وحواء ببيئة مثالية. كان منزلهما الأول يمكن أن يجعل "مارثا

ستيوارت"، سيدة الأعمال الشهيرة، تمتلئ بالغيرة والحسد. كل شيء كان يعمل بكفاءة. لم يكن هناك شيء مكسورًا أو يحتاج إلى إصلاح. لم يكن أحد متأخرًا، أو متعبًا أو سريع الغضب على الإطلاق. لم يتثقل أحد بدينٍ، أو بألم في الرأس، أو كان مريضًا، أو مات. لم تؤذَ مشاعر أحد ولم يَقُل أحد شيئًا بإحساس متبلد، ولم يُقِم أحد دعوى على أحد. لم يكن هناك احتياج لمتخصصي علاج طبيعي أو محامين أو أطباء أو لمتخصصي علاج نفسي.

لكن تغيَّر كل هذا في اللحظة التي أصغت فيها حواء لكذب الشيطان وتصرفت بموجبه. فالأرض التي كانت يومًا تقدِّم بسرور طعامًا إلى الرجل والمرأة ليأكلا، الآن أصبح لزامًا على الرجل أن يصارع مع الشوك والحسك ليقوت عائلته. كانت ولادة طفل حدثًا مفرحًا وطبيعيًا للمرأة، والآن لا بد أن تتحمل المخاض والألم في ولادته.

وبالإضافة إلى الشوك وآلام المخاض، فإن التجربة الإنسانية الساقطة قد تشمل:

الخوف، والخزي، والشعور بالذنب	الأعاصير، والفيضانات، والزلازل
خيبة الأمل	الجريمة، وأعمال العنف
النزاعات والدعاوى قضائية	الفقر، والجوع، والتفرقة العنصرية، والحرب،
الدموع ونوبات الغضب المزاجية	آلام المفاصل، الأورام، والسرطان

كان لدخول الخداع والتضليل إلى العالم عواقب بعيدة المدى. مثل نقطة من المادة الملونة للطعام عندما تصَبّ في كوب ماء، هكذا الخطية لطَّخت كل شيء يتعلق بالبشر وبيئتهم المحيطة بهم.

الغالبية تعيش في خيبة أمل، وغضب، ويأس، غير لازمة؛ لأنهن كُن قد خُدعن فيما يتعلق بظروفهن والمعاناة المحتومة في هذا العالم الساقط.

٣٦. "لو كانت الظروف مختلفة لكنت أنا مختلفة"

أذكر حديثي، منذ سنوات مضت، مع أم صغيرة السن كان لديها طفل في الثانية من العمر وتوأمين في عامهما الأول. قالت متنهدة، "لم أكن أبدًا إنسانة غير صبورة؛ إلى أن أنجبت التوأمين!" هذه السيدة صدَّقت ما يمكن أن يصدّقه معظمنا في وقت أو آخر: إننا نعيش بهذه الطريقة بسبب ظروفنا.

والمتضمَّن هنا هو أن ظروفنا جعلتنا ما نحن عليه. وربما تريدين أن تقولي، كما كنت أقول أنا: "لقد جعلتني كالمجنونة!" وما نقوله هو: "أنا امرأة طيبة، رقيقة، محبة، منضبطة، ممتلئة بالروح. ولكن... لا يمكنك أن تصدقي ما فَعَلَته...!"

ونُصِّر على أنه "ما كنت لأفقد هدوئي، لو لم يملأ ابني جهاز التنشيف بالماء ولم يدهن أثاث غرفة المعيشة بالزبدة!"

أو، "لم أكن لأصارع كثيرًا في زواجي، إن لم يعاملني والداي هذه المعاملة السيئة بالفعل، ويجعلاني أشعر أنني بلا قيمة".

أو "لم أكن لأمتلئ بالمرارة، إن لم يكن زوجي قد ذهب بعيدًا مع تلك السيدة الأخرى".

نحن نقول: "شيء ما، أو شخص ما، جعلني ما أنا عليه". نحن نشعر أنه لو كانت ظروفنا مختلفة – تنشئتنا، بيئتنا، الأشخاص المحيطين بنا – لَكنّا مختلفين. لَكنَّا أكثر صبرًا، أكثر حبًّا، أكثر اكتفاءً، ويسهل التعايش معنا.

إذا كانت ظروفنا هي التي جعلتنا ما نحن عليه، فهذا يعني أننا جميعًا ضحايا. وهذا

تمامًا ما يريدنا العدو أن نصدقه؛ لأننا إذا كنا ضحايا، فنحن إذا غير مسؤولين، ولا نستطيع أن نتحكم في ما نحن عليه. لكن الله يقول إننا مسؤولون – ليس عن أخطاء الآخرين، لكن عن استجابتنا الشخصية وعن حياتنا.

الحق هو أن ظروفنا لا تجعلنا ما نحن عليه. هي فقط تكشف حقيقتنا. فتلك الأم الساخطة التي صدّقت أنها لم تكن إنسانة غير صبورة على الإطلاق إلى أن أنجبت التوأم، لم تكن تعرف أنها كانت دائمًا غير صبورة، هي فقط لم تدرك إلى أي حد كانت غير صبورة، إلى أن أحدث الله بضعة ظروف في حياتها لكي يريها حقيقة ما هي عليه بالفعل – حتى يستطيع أن يغيرها.

يحاول العدو أن يقنعنا أن الطريق الوحيد لنا لكي نكون مختلفين بالفعل هي لو أن ظروفنا تغيرت. فنبدأ لعبة "لو فقط".

لو فقط لم نضطّر للانتقال بعيدًا...

لو فقط كنا نعيش أكثر قُربًا من والديَّ...

لو فقط كان لنا منزل أكبر (خِزانات أكثر، مخازن أكثر)...

لو فقط كان لدينا مال أكثر...

لو فقط لم يضطر زوجي للعمل لساعات طويلة...

لو فقط كنت متزوجة...

لو فقط كنت متزوجة بشخص مختلف...

لو فقط كان لديَّ أولاد...

لو فقط لم يكن لديَّ أولاد كثيرون...

لو فقط لم أفقد ذلك الطفل...

لو فقط تواصل زوجي معي...

لو فقط كان زوجي قائدًا روحيًا...

لقد خُدعنا عندما صدقنا أننا يمكن أن نكون أكثر سعادة إذا كانت ظروفنا مختلفة.

الحق هو أنه، إن لم يكن عندنا رضا في وسط ظروفنا الحاضرة، فالأرجح أننا لن نكون سعداء في أي ظروف أخرى.

كاتبة القرن التاسع عشر "إليزابث برينتس"، عندما كانت في الخمسينات من عمرها، علمت أن زوجها سيستلم وظيفة جديدة تتطلب منهما أن يتركا بيتهما في ولاية نيويورك لينتقلا إلى مدينة شيكاغو. كان هذا الانتقال يعني ترك أصدقائهما وتعرض صحتها الهشة للخطر. وفي رسالة أرسلت بها إلى صديقة كتبت:

> لا نريد أن نعرف إلا مشيئة الله في هذه المسألة... تجربة الشتاء الماضي تركت لديَّ الانطباع عن حقيقة أن المكان والمركز ليس لهما أية علاقة بالسعادة، حتى إننا قد نكون تعساء في داخل قصر، متألقين في داخل سجن مظلم... ربما يكون انسحاق قلبنا الآن هو ما نحتاج إليه تمامًا لنذكِّر أنفسنا... أننا غرباء ونزلاء على هذه الأرض [٣١].

عبَّرت "مارثا"، زوجة "جورج واشنطن"، عن اقتناعها بذات الرأي في خطاب بعثت به لصديقتها "مرسي وارين":

> ما زلت أعزم أن أكون فرحة وسعيدة في أي موقف قد أُوجَد فيه، لأني تعلمت أيضًا من الخبرة أن الجزء الأكبر من سعادتنا أو شقائنا يتوقف على طبعنا وأمزجتنا وليس على ظروفنا. نحن نحمل معنا بذور هذه أو تلك في عقولنا، أينما نذهب [٣٢].

تعلم الرسول بولس أنه قادر على الفرح والاكتفاء والإثمار في أي ظروف، لأن فرحه وسعادته لا يتوقفان على ظروفه بل على محبة الله وأمانته الثابتة وحالة علاقته مع الله. لذلك استطاع أن يقول:

قَدْ تَعَلَّمْتُ أَنْ أَكُونَ مُكْتَفِيًا بِمَا أَنَا فِيهِ. أَعْرِفُ أَنْ أَتَّضِعَ وَأَعْرِفُ أَيْضًا أَنْ أَسْتَفْضِلَ. فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ قَدْ تَدَرَّبْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَأَنْ أَجُوعَ، وَأَنْ أَسْتَفْضِلَ وَأَنْ أَنْقُصَ.

فيلبي ٤: ١١-١٢

لقد فهم بولس أننا ربما لا نقدر أن نتحكم في ظروفنا، لكن لا يجب أنَّ ظروفنا تحكمنا.

الحق هو أننا نستطيع أن نثق في إلـه حكيم، محب، وكلي القـدرة؛ ليتحكم في كل ظـروف حياتنـا. يأتي الفرح، والسـلام، والثبات مـن إيماننا بأن كل ظـرف يمس حياتنا قـد سـبق مروره من خلال فلتر أصابع محبته، وهو جـزء من الخطة العظيمة الأبدية التي يصنعها الله في هذا العالم وفي حياتنا.

٣٧. "لم يكن من المفروض أن أتـألم"

كثير مـن الجهود الكرازية الحديثة قد وعدت الخطاة بسـلام لا ينتهي، وفرح، وبيت في السـماء، وحيـاة ناجحـة ما بين هنا وهناك، إذا هم ببسـاطة أتوا إلى المسـيح. هذا النوع من الوعظ، المجرَّد من الدعوة للتلمذة وحمل الصليب، أنتج جيلاً رخوًا ضعيفًا من "التلاميذ" الذين ليس لهم الرغبة في خوض معارك الحياة المسيحية. فعندما تخيب آمالهم بالتجارب والمحن، يبدأون في الشكوى والأنين ويندفعون إلى أسرع طريق للهروب.

حيـن نقتنع أننا غير مسـتحقين لمعاناتنا وأنها ليسـت لازمة، عندئـذ ينجح العدو أن

يجعلنا نستاء من إرادة الله ومقاصده ونقاومها.

إن الرسالة التي نادى بها الرب يسوع نفسه، ونادى بها تلاميذه الذين تبعوه، كانت دعوة لحمل الصليب، والمشاركة في معركة، دعوة للمعاناة.

علَّم الرسول بولس أن الألم هو درس جوهري في منهج الله لجميع المؤمنين: «بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ» (أعمال ١٤: ٢٢).

خدم "آرثر ماتيوس" كمرسل إلى الصين في الفترة ما بين ١٩٣٨-١٩٤٩ عندما تولى الشيوعيون الحكم. وكان واحدًا من أواخر الذين غادروا الصين عام ١٩٥٣ من أعضاء إرسالية الصين الداخلية، بعد أن تم اعتقاله واحتجازه في منزله لمدة أربع سنوات مع زوجته وابنته. وكانت كتاباته تعكس تعهده بإنكار الذات، ورغبته في قبول خطة الله ومقاصده في الألم:

> نحن نميل إلى أن ننظر إلى ظروف الحياة من حيث ما يمكن أن تحدثه لآمالنا وراحتنا اللتين نعتز بهما، ونحن نشكِّل قراراتنا وردود أفعالنا وفقًا لذلك. عندما تهددنا مشكلة، نسرع إلى الله، لا لنطلب فكره، بل لنطلب منه أن يزيل المشكلة. وقلقنا على أنفسنا يأخذ الأولوية فوق كل ما يحاول الله أن يفعله من خلال المشكلة... جيل يهرب من الواقع، يرى أن الأمان، والنجاح، والراحة الجسدية هي أدلة على بركة الله. ولذلك عندما يسمح الله بالألم والمحن في حياتنا، فإننا نخطئ في فهم إشاراته ونسيء تفسير مقاصده[٣٣].

إذا كنا لا نثق في قلب الله ومقاصده، فمن الطبيعي أن نقاوم الألم. لكن، كما يحرضنا الكاتب البيوريتاني في القرن السابع عشر "ويليام لو"، يجب أن نرحِّب بالألم ونقبله كسبيل إلى القداسة وكمدخل إلى علاقة أعظم مع الله:

> افتح كلتا يديك واقبل كل مشكلة من الداخل ومن الخارج، وكل خيبة أمل، وألم، وخوف، وتجربة، وظلمة، وخراب؛ على أنها فرصة حقيقية

ومناسبة مباركة لإنكار الذات، والدخول إلى علاقة كاملة مع مخلِّصك الذي أنكر نفسه متألمًا [٣٤].

الحق هو أن الله يهتم بقداستنا أكثر كثيرًا من سعادتنا اللحظية والمؤقتة – فهو يعرف أنه بعيدًا عن كوننا مقدسين، لن نكون أبدًا سعداء بالفعل.

الحق هو أنه من المستحيل أن نكون مقدسين بالانفصال عن الألم. حتى الرب يسوع نفسه، خلال سني حياته هنا على الأرض، وبطريقة يصعب تفسيرها، "كُمِّل بالألم" (عبرانيين ٢: ١٠)، و«مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ» (عبرانيين ٥: ٨). نحن نقول إننا نريد أن نشبه يسوع، ثم نقاوم الوسيلة التي يستخدمها الله ليتمم تلك الرغبة.

كل كُتّاب العهد الجديد أدركوا أن هناك ثمرة للخلاص والقداسة لا يمكن أن تنتج في حياتنا بالانفصال عن الألم. بطرس يذهب أبعد من ذلك ليقول إن الألم هو دعوتنا جميعًا – ليس فقط لمجموعة مختارة من القادة المسيحيين أو الشهداء بل لكل ابن لله: «لأَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ» (١ بطرس ٢: ٢١).

الفرح الحقيقي ليس هو غياب الألم بل في التقديس، ومؤازرة حضور الرب يسوع في وسط الألم. خلال هذه العملية بطولها، سواء كانت مسألة أيام، أو أسابيع، أو شهور، أو سنين، لنا وعده:

وَإِلهُ كُلِّ نِعْمَةٍ الَّذِي دَعَانَا إِلَى مَجْدِهِ الأَبَدِيِّ
فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، بَعْدَمَا تَأَلَّمْتُمْ يَسِيرًا،
هُوَ يُكَمِّلُكُمْ، وَيُثَبِّتُكُمْ، وَيُقَوِّيكُمْ، وَيُمَكِّنُكُمْ.

١ بطرس ٥: ١٠

٣٨. "ظروفي لن تتغير أبدًا، سوف يستمر الأمر إلى الأبد هكذا"

هذه الأكذوبة تسجن كثيرات من النساء في سجن اليأس والقنوط.

الحق هو، أن ألمك - وليكن مرضًا جسديًا، أو ذكريات لسوء المعاملة، أو زواجًا مضطربًا، أو قلبًا كسيرًا بسبب ابن متمرد - قد يستمر لوقت طويل، لكنه لن يبقي إلى الأبد. ربما يمتد إلى نهاية حياتك هنا على الأرض، لكن مدة الحياة هي ليست إلى الأبد.

الحق هو، أنها بضع لحظات من الآن (في ضوء الأبدية)، وإذ نوجد في محضر الرب، فإن كل ما حدث هنا في هذه الحياة سيكون مجرد نسمة- فصلة صغيرة.

منذ عدة أيام مضت اتصلت سيدة تطلب مشورة في كيفية التعامل مع موقف معقَّد ومؤلم يخصّ زواجها. كان الوضع قد استمر طويلاً بطول ما تعيه ذاكرتها، ولم تكن هناك أية علامة أن شيئًا سوف يتغير في المستقبل. وخلال فترة المحادثة، تأثرت جدًا بينما كانت هذه الزوجة العزيزة المتألمة تقول: "إذا استمر الحال هكذا، بطول حياتنا، فليكن. أعرف أن الوقت هنا قصير وأن الأبدية طويلة. يومًا سيصبح هذا كله مجرد بقعة ضوئية صغيرة فوق شاشة مرئية" لم تكن تتكلم كمن تستسلم "لقَدَرِها". فهي تشتاق لتغيير الأشياء الآن. لكن كان لديها رؤية للزمان والأبدية تمكِّنها من أن تكون أمينة في وسط هذه "النيران".

جاءت إليَّ سيدة أخرى منذ سنوات مضت بعد انتهاء أحد المؤتمرات وقالت لي: "أريد أن أقدم لك شكري لأجل ما قلته عن البقاء أمينات للأزواج مهما كان الأمر". واستمرت متحدثة لتخبرني قصتها كيف عاشت لمدة أربعين سنة في زواجها من رجل

شـرير. قالـت: "خلال كل تلك السـنوات، أشـخاص كثيرون – بما فـي ذلك مؤمنون حسـنو النية – أشـاروا أنني لا بد أن أخرج خارج هذا الزواج. لكن بطريقة ما، ظل الله يشدني رجوعًا إلى ذلك العهد الذي أخذته، ولم أكن أؤمن أنه من الصواب أن أمضي". توقَفَـت لحظة، لتكمل قائلة: "إني سـعيدة لأنني انتظـرت. فمنذ عام مضى، نال زوجي الخلاص أخيرًا، والله يصنع فيه تغييرًا فعليًا، بعد كل هذه السنين". ثم أضافت بصوت رقيق، والدموع تملأ عينيها: "ليس هذا فقط، فلن تصدقي التغيرات الرائعة التي يصنعها الله في حياتي كنتيجة لاحتمال الألم".

المشـكلة هـي أننا أرضيون إلـى درجة أنه بالنسـبة لكثيرين منا فإن أربعين سـنة تبدو وكأنها الأبدية! نحن لا نقدر أن ندرك الاحتمال إلى هذا المدى. ليتنا فقط نسـتطيع أن نرى أن هذه الأربعين سنة – أو أكثر – ليست بهذه الأهمية في ضوء الأبدية.

ومهما طال وقت الألم والمعاناة، فإن كلمة الله تؤكد لنا أنه لن يدوم إلى الأبد:

لِذلِكَ لاَ نَفْشَلُ...
لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ
تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا.
وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى،
بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى.
لأَنَّ الَّتِي تُرَى (مثل ضيقاتنا الحاضرة) وَقْتِيَّةٌ،
وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى (مثل الأمجاد التي
تنتظرنا) فَأَبَدِيَّةٌ.

---

٢ كورنثوس ٤: ١٦–١٨

فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ
لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا.

رومية ٨: ١٨

عِنْدَ الْمَسَاءِ يَبِيتُ الْبُكَاءُ، وَفِي الصَّبَاحِ تَرَنُّمٌ.

مزمور ٣٠: ٥

قد يدوم ليل بكائك لشهور أو سنين. لكن إذا كنت ابنة لله، فلن يستمر إلى الأبد. لقد حدَّد الله وقت الألم بالضبط، ولن يطول لحظة واحدة أكثر مما يعرف الله أنه ضروري لكي تحققي قصده المقدس الأبدي في حياتك ومن خلالها.

في الحالات التي لا يوجد فيها راحة من الألم في هذه الحياة، يوجد حرفيًا مئات من المواعيد في كلمة الله أنه ذات يوم ستنتهي كل هذه الآلام، والإيمان سيصبح عيانًا، والظلمة ستتحول إلى نور، وستكافأ أماناتنا بأفراح لا تنتهي. هو يعد أنه ذات يوم،

تَفْرَحُ الْبَرِّيَّةُ وَالأَرْضُ الْيَابِسَةُ، وَيَبْتَهِجُ الْقَفْرُ
وَيُزْهِرُ كَالنَّرْجِسِ. وَمَفْدِيُّو الرَّبِّ يَرْجِعُونَ
وَيَأْتُونَ إِلَى صِهْيَوْنَ بِتَرَنُّمٍ، وَفَرَحٌ أَبَدِيٌّ
عَلَى رُؤُوسِهِمْ. ابْتِهَاجٌ وَفَرَحٌ يُدْرِكَانِهِمْ.
وَيَهْرُبُ الْحُزْنُ وَالتَّنَهُّدُ.

إشعياء ٣٥: ١، ١٠

وبصرف النظر عما تبدو عليه قوة أجناد الظلمة هنا والآن، لقد كُتب الفصل الأخير – والنصرة للرب! إن تصديق الحق عما هو موضوع أمامنا يملأنا بالرجاء ويمكِّننا من المثابرة بين الآن والأبدية.

٣٩. "لا أقدر على احتمال أكثر من ذلك"

هذه أكذوبة أخرى يعمل العدو جاهدًا ليجعلنا نصدقها، لأنه يعرف أننا إن صدقناها، فسوف نعيش في هزيمة وبلا أمل. كتبت سيدة تقول:

> عندي توأمان من الأولاد في عامهما الأول، وهما مصابان بالتهابات حادة مزمنة في الأذن ونزلة برد استمرت لمدة شهرين، مما جعلهما كثيري البكاء، وسريعي الانفعال بصفة مستمرة. ظللت أقول لنفسي، ولزوجي، وكل من يمكن أن يسمعني: "لا أستطيع أن أحتمل أكثر من ذلك". كانت الأكذوبة إيحاء لإقناع نفسي، وكانت تضغط عليَّ بشدة. وعندما قلت أخيرًا: "نعم، أستطيع أن أحتمل وسأقوم بواجبي تجاههما"، كان الجزء الأكبر من التوتر والضغط الذي كنت أشعر به قد تلاشى وتبدد.

جميعنا كان لنا أوقات شعرنا فيها أننا لا نقدر على الاستمرار، ولا أن نحتمل أكثر. وكما هو الحال مع كل منطقة من مناطق التضليل، فإن المفتاح لأن نهزم هذه الأكذوبة هو أن نقابلها بالحق. وبدون اعتبار لما قد تخبرنا به عواطفنا أو ظروفنا، فإن كلمة الله تقول: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي» (٢كورنثوس ١٢: ٩). معظمنا يعرف هذه الآية؛ لكن عندما يتعلق الأمر بظروفنا وتجاربنا في حياتنا، أقلية منا هن اللاتي يصدقنها. ما نصدقه بالفعل هو

"لا أقدر على المواصلة...

- لا أقدر أن احتمل ليلة أخرى من السهر مع هذا الطفل المريض.
- لا أستطيع الاستمرار في هذا الزواج.
- لا أحتمل أن تؤذي حماتي مشاعري مرة أخرى.
- لا أستطيع المواصلة مع ثلاثة في سن المراهقة وأم تعيش معنا في البيت وتعاني من الزهايمر...

ومع ذلك، سواء كنت أختار أن أصدق الأمر أم لا، فإني إذا كنتُ ابنته، فالحق هو أن "نعمته تكفيني." (هذا يفترض بالطبع، أنني لم آخذ على عاتقي مسؤولية لم يقصد لي الرب أن أحملها. إذا كان الحمل معطى من الله، أستطيع الاستمرار بنعمته). نعمته تكفي لكل لحظة، ولكل ظرف، ولكل التفاصيل، ولكل احتياج، ولكل فشل في حياتي.

عندما أكون مستنزَفة وأعتقد أنني لا أقدر أن أواجه مهمات ما زالت أمامي لم تكتمل، نعمته تكفيني.

عندما يصعب عليَّ مجاوبة أحد أفراد عائلتي أو ذلك الشخص الذي يكدِّرني في العمل، نعمته تكفيني.

عندما أغوى بأن أُنفِّس عن إخفاقي بأن أنطق بكلمات لاذعة، نعمته تكفيني.

عندما أستسلم للشهوة للطعام لمرات لا تُحصى ذات اليوم، نعمته تكفيني.

عندما أفسد الأمر مع عائلتي وأصبح حادة وحتى متذمرة، نعمته تكفيني.

عندما لا أدري في أي اتجاه أسير أو أي قرار أتخذه، نعمته تكفيني.

عندما ينكسر قلبي ويغمرني ذلك الشعور بالخسارة والحزن بينما أقف إلى جانب مقبرة أحد أحبائي، نعمته تكفيني.

في أي شيء تحتاجين لنعمة الله؟ أولاد متمردين؟ جسد متألم؟ زوج لا يحب؟ لا أموال في البنك؟ كفاح لأجل تربية ثلاثة أطفال والأب ليس بالمنزل؟ لا تعرفين من أين يأتي إيجار الشهر القادم؟ فقدت وظيفتك؟ انتقلت إلى مدينة جديدة ولا تعرفين أحدًا؟ الكنيسة تمر بحالة من الانقسام؟ وحيدة إلى حد اليأس؟ مثقلة بالذنب؟ تعتمدين على العقاقير؟ الهرمونات في حالة من الجنون؟

املأي الفراغات. كيفما تكون قصتك، كيفما يكون موقفك، الآن، نعمته تكفيكِ. موارده الإلهية متاحة لتملأ احتياجك، مهما عظُم. هذا هو الحق والحق يحررك.

يا ابنة الله العزيزة، إن أباكِ السماوي لن يقودك إلى أي مكان لن تؤازرك فيه نعمته. لن يضع عليكِ حملاً أكثر من النعمة المعطاة لكِ للاحتمال. عندما يبدو الطريق أمامك طويلا ومستحيلاً، تشجعي. ارفعي عينيكِ. تطلعي بعيدًا إلى ذلك اليوم عندما تنتهي كل هذه المعاناة والمشقة، وكل دموع وأحزان الحياة بطولها ستبهت بالمقارنة مع جمال وجهه ومجده. ومن المؤكد، أنكِ ستقولين، "نعمته العجيبة قد أحضرتني إلى موطني بأمان."

٤٠. "كل شيء يتعلق بي"

ملقى على مكتبي نوعان من الإعلانات – أحدهما لمورِّد للأدوات الكتابية، والآخر لسلسلة محلات تجزئة شهيرة. وعنوان المقال في كلا الإعلانين يقول: **كل شيء يتعلق بك.**

الفكرة وراء هذه الحملات الإعلانية، هي قديمة قِدَم الجنس البشري. في الواقع، هذا عين ما قالته الحية لحواء: "كل شيء يتعلق بكِ". إنها حملة إعلانية قادتها الحية بنجاح منذ ذلك الحين.

علَّق على ذلك أحد الكُتَّاب بأنه "بالنسبة لغالبية الناس فإن أعظم الأشخاص في هذا

الكون هم أنفسهم. حياتهم مصنوعة من أشكال مختلفة لا حصر لها من كلمة «أنا»" ٣٥.

هـذا حقيقي، برغم مـا يقال عن ضعف الصـورة الذاتية، فإن رد فعلنـا الغريزي تجاه الحيـاة مـا زال متمحورًا حول الذات: كيف يؤثر هذا فيَّ؟ هل هذا سيجعلني سـعيدًا؟ لماذا يحدث هذا لي؟ كيف تظن صديقتي فيَّ؟ هذا دوري أنا. أين نصيبي؟ لا أحد يهتم بأفكاري. لقد آذى مشـاعري. لا بد أن أخصص وقتًا لنفسـي. أريد أن أكون بمفردي. هو لا يشعر باحتياجاتي. (لاحظي ياء الملكية في كل ما سبق)

نحن لا نكتفي بأن نكون محور وجودنا الخاص، بل نريد أن نكون محور وجود كل الآخريـن أيضًـا – بما في ذلك الله. وعندما لا يركع الآخرون أمامنا مكرِّسـين أنفسـهم لإسـعادنا ومقابلة احتياجاتنا، نشعر بالألم ونبدأ في البحث عن طرق بديلة لنشبع ونملأ جدول أعمالنا الأناني.

قد تعتقدين أن الكنيسة هي المكان الوحيد الذي يتمركز حول الله أكثر من الإنسان. لكن الأمر ليس بالضرورة هكذا. في كتاب "البحث عن الله"، يقدم "د. لاري كراب" تحليلاً ثاقبًا لمدى ما وصلت إليه الكنيسة في الاستسلام لهذا الخداع:

> تقديم المساعدة للناس كي يشعروا أنهم محبوبون وجديرون بالاهتمام أصبح هو المهمة الرئيسـية للكنيسـة. نحن لا نتعلم أن نعبد الله بإنكار للنفس وبخدمة مضحية، بل أن نعانق طفولتنا الداخلية، نشفى من ذكرياتنا، نتغلب على الإدمان، نعالج اكتئابنا، ونحسِّـن صورتنا الذاتية، ونبني حدودًا لحفظ الذات، مسـتبدلين إنكار الذات بمحبة الذات، ومستبدلين الخزي بقبول مطلق لمن نكون نحن.
>
> الشـفاء من الألم يسـتنزف قسـطًا متزايـدًا من طاقة الكنيسـة. وهـذا ينذر بالخطر... لقد أصبحنا ملتزمين أن نخفف الألم الناتج عن مشكلاتنا بدلاً من استخدام ألمنا لنصارع بأكثر حماسة مع الله وقصده. أصبح الشعور بالراحة أكثر أهمية من اكتشاف الله...

كنتيجة لذلك، نحن نعسكر ونخيِّم بسرور عند أفكار كتابية تساعدنا أن نشعر أننا محبوبون ومقبولون، ونمر مرور الكرام على المكتوب الذي يدعونا إلى صعود المرتفعات. نحن نحوِّل حق الله الرائع عن قبوله، ومحبته الفادية، وهويتنا الجديدة في المسيح، إلى عنصر أساسي لإكرام أنفسنا بدلاً من رؤية هذه الحقائق الكتابية كما هي في حقيقتها: إن الوحي المذهل الممتلئ بالنعمة التي تكفي لأن يحب الله الذين أبغضوه، تجعلنا نرى فيه إلهًا يستحق أن يُكرَم فوق كل بشر وكل شيء آخر.

... لقد أعدنا ترتيب الأشياء حتى أصبح الله يستحق الإكرام لأنه أكرمنا. نحن نهتف: «مستحق هو الخروف» لا كتجاوب منا مع نعمته العجيبة، بل لأنه استرد ما نقدِّره كثيرًا وهو: قدرتنا على أن نحب أنفسنا. نحن يهمنا الآن أنفسنا أكثر من الله[٣٦].

لقد فهم الرسول بولس أن الله ليس موجودًا لأجلنا بل نحن موجودون لأجله:

فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ.

كولوسي ١: ١٦-١٨

لمـاذا كان بولـس قـادرًا أن يرنـم ترنيمات للـه في منتصـف الليل من قلب السـجن الرومانـي؟ كيـف اسـتطاع أن يبقى أمينًا "ويفـرح كل حين" بينما كان يُرجَم، وتنكسـر به السـفينة، وتُقدَّم ضده شـهادة زور، ويُرفَض من أصدقائه وأعدائه أيضًا على السـواء؟ كيف اسـتطاع أن "يفرح كل حين" عندما كان جائعًا ومتعبًا؟ السـر في ذلك أنه سـوَّى مسـألة لمـاذا كان يعيـش حياته. لم يكن يعيش ليرضي نفسـه أو ليُشـبع احتياجاته. منذ نقطـة تحوّله في الطريق إلى دمشـق، كانـت له رغبة متقدة: أن يعيـش لأجل مجد الرب ورضاه. كل ما كان يشغله هو أن يعرف الرب وأن الجميع يعرفون الرب.

وَلكِنَّنِي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ، وَلاَ نَفْسِي
ثَمِينَةٌ عِنْدِي، حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي
وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ،
لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ.

أعمال ٢٠: ٢٤

كانت النقطة الأساسية بالنسبة لبولس «ليَ الحياة هي المسيح». حالما تُقرِّر ذلك فلا اعتبار لأي شيء آخر.

كورام ديو

الكلمـة "كـورام ديـو *Coram Deo*" كلمـة لاتينية تعني "أمام وجه اللـه". منذ عدة سـنوات مضت، أرسـلت لي سـيدة قطعة فنية داخـل إطار كُتب عليها بخـط اليد تذكرة بارعة الإيجاز لما يعنيه أن نعيش حياتنا كما صمَّمنا الخالق لنعيش:

"كورام ديو"
عِش كل الحياة
في محضر الله
تحت سلطان الله
ولمجد الله

أريد أن أختم هذا الفصل بمشاركتي معكن ثلاثة مشاهد لنساء صوَّرن فيها ماذا يعني أن نعيش في ضوء محضره:

"سيندي" شاركت معي قصتها في خطاب مطوَّل. تزوَجَت في سن الثامنة عشر، وعندما بلغت الحادية والعشرين كانت قد أنجبت ثلاثة أطفال. ومع أنها كانت قد اعتمدت وهي طفلة، إلا أنها لم تكن تعرف ماذا يعني أن يكون لها علاقة شخصية مع الرب يسوع المسيح. في الثلاثينات من عمرها، بينما كانت والدتها ترقد في المستشفي في غيبوبة، تصارع مع الموت بسبب السرطان، أمسكت "سيندي" بنسخة للكتاب المقدس وصرخت إلى الرب ليعينها. "من تلك اللحظة فصاعدًا" كما كتبت هي "كانت رغبة قلبي أن أعرف الله".

وفي السنوات التي تلت ذلك، صارت حياتها الزوجية والعائلية متزعزعة بصورة متزايدة. كانت تدور في حلقة مفرغة من السلوكيات والكلمات القاسية، ابنتها ذات الأربعة عشر ربيعًا تركت البيت وكان أبناها كانا في اضطرابات مستمرة مع المدرسة ومع الشرطة. عند نقطة معينة، تركت "سيندي" زوجها لمدة أسبوعين، وهي تنوي أن تطلَّق منه؛ ومن خلال سلسلة من الأحداث، أعطاها الرب محبة لزوجها، وعادت إلى منزلها.

في وسط هذا الاضطراب العظيم في البيت، توجهت سيندي لحضور اجتماع في كنيسة على مقربة منها، حيث سمعت الأخبار المفرحة عن محبة الله وكيف أن الرب يسوع مات ليخلِّص الخطاة، فسلَّمت قلبها للرب يسوع وصارت خليقة جديدة.

استمرت الحياة في البيت إلى الأردأ. أولادها، الآن في عمر المراهقة، أصبحوا خارج نطاق السيطرة بالكامل. انتهى الأمر بابنتها أن تعيش في الشارع لمدة عام، بعد أن رفض والدها يومًا أن يعيدها إلى المنزل. وفيما بعد، تزوجت الابنة وأنجبت خمسة أطفال، والآن هي في طريقها للطلاق، بعد خمسة وعشرين سنة من زواجها. لم يشأ والدها أبدًا أن يتحدث إليها ولم يكن يعرف أحفاده أو أبناءهم. أحد الأبناء طُرد طردًا مشينًا من البحرية وقضى أربع سنوات في السجن؛ كان هو ووالده منفصلين ولم يتحدثا معًا لعدة سنوات. والابن الآخر أصبح مدمنًا للمخدرات وهو أيضًا طُرد من العسكرية بطريقة مشينة. وكان متورطًا في جريمة قتل في حانة، وقضى اثنين وعشرين سنة في إصلاحية. وبرغم أنه اقَّر بالإيمان بينما كان في السجن، إلا أنه لم يظهر أية رغبة بعد ذلك للأمور الروحية.

سيندي أنهت رسالتها بأن سلطت الضوء على احتياجات عائلتها ومكانها وسط كل ما كان يحدث:

> لا يوجد احتفال للكريسماس أو لعيد الشكر في البيت. هل يوجد شفاء لعائلتي عاطفيًا وروحيًا؟ الرب وحده يعلم لكن الله هو رب حياتي، وأنا أؤمن أنه يريد أن يستخدمني لأكون شهادة ونورًا لعائلتي. أذا لم أظهر لهم الحق عن نعمة الله العجيبة، فمن سيفعل؟ قد يكون من السهل جدًا أن أخطو بعيدًا وأذهب إلى جزيرة نائية حيث أجد سلامًا وفرحًا، لكن الله اختارني لأكون حيث أنا، لأكون شاهدة لزوجي غير المخلَّص ولأولادي.
>
> كيف يمكنني أن أساعد زوجي ليري أن كبرياءه في يوم من الأيام ستبعد بعيدًا عنه ولا بد أنه يواجه المسيح؟ كيف أساعد ابنتي لترى الحق عن محبة الله غير المشروطة؟ كيف أقدر أن أساعد ابني الأكبر، الذي حوَّل ظهره لله منذ أن غادر السجن؟ كيف يمكن أن أساعد زوجي ليتصالح مع ابنه الآخر وابنته؟ فقط، بواسطة قوة الله، وخكمته، ومحبته. لذلك بكل قلبي، وعقلي، وجسدي، ونفسي، أقول "نعم، يا رب – سأفعل مهما تريدني أن أفعل".

"جيني تومبسون" سيدة صغيرة انطلق زوجها ليكون مع المسيح منذ وقت ليس ببعيد، بعد معركة شرسة لسنتين مع اللوكيميا. في رسالة كتبتها بعد ثلاثة أشهر من انتقال زوجها روبرت، هذه الأرملة، وهي أم لأربعة أولاد تتراوح أعمارهم بين السابعة وأقل، تعبِّر فيها عن نظرتها الرائعة لقلب الله ومقاصده:

> لقد كان الرب أمينًا في مساندتنا خلال هذا الوقت. لم أكن أبدًا لأختار هذا الطريق لنفسي أو لأولادي. لكننا تعلمنا الكثير جدًا في ظروفنا، ومن خلالها، ما لم يكن ممكنًا أن نتعلمه بأية طريقة أخرى. لقد تعظم الرب وتمجد بطريقة لم يكن من الممكن أبدًا أن تحدث بدون ظروفنا هذه، لذلك فإني أحمده لأجل هذه الظروف.
>
> ليست مهمة الله أن يجعلنا "سعداء"؛ لكنه يهتم أن يقبل المجد الذي يستحقه كخالقنا وإلهنا القدير. سعادتنا هي نتاج كوننا في مشيئته ومتممين لها. هذا، وهذا فقط، هو السبب الذي أستطيع به أن أكون باكية عند قبر أغلى أصدقائي، زوجي، وأبي أولادي وأظل بعد سعيدة.

في خريف ١٩٩٨، بدأت صديقتي العزيزة وشريكتي في الصلاة لمدة طويلة، "جانيس جريسوم" تشعر بنوع من فقدان الإحساس والوخز في يديها ثم في ذراعيها. وفي أوائل عام ١٩٩٩، وبعد العديد من الفحوصات وزيارات الأطباء، أكَّد طبيب الأعصاب أنها مصابة بمرض خطير في الأعصاب. كانت جانيس في الواحد والأربعين من عمرها وأمًا لأربعة أطفال تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة والثانية عشرة.

في خلال العشرة الشهور التالية كان المرض قد ساد على جزء بعد الآخر من جسدها الذي كان يضعف بطريقة متواصلة. وخلال تلك الأشهر، كلما أتيحت لنا الفرصة لنتحدث من خلال الهاتف، كانت جانيس دائمًا ترفض أن تركز الحديث على نفسها

أو المتوقع حدوثه بالنسبة لمرضها. وكانت كلما تسمع صوتي، تقول بطريقة لا تتغير: "نانسي، إنني مثقلة بكِ! كيف يمكنني أن أصلي لأجلك؟"

وفي شهر أكتوبر من هذا العام، قمت بزيارة جانيس وزوجها في منزلهما بمدينة "ليتل روك". وفي هذا الوقت، كانت تجلس حبيسة المقعد ذي التجهيزات الخاصة، غير قادرة على استخدام ذراعيها أو رجليها، وهي تتكلم فقط بصعوبة بالغة، وقد فقدت خمسين بالمائة من قدرة رئتيها. ومرة أخرى، تأثرت بشدة بكيفية وعي هذين الزوجان لأمور الله، وكيف كان الله محور حياتهما، حتى عندما كانا يواجهان الخراب والإتلاف الذي أحدثه هذا المرض. أتذكر ذلك المساء عندما كانت جانيس تقول المرة تلو الأخرى: "لقد كان الله صالحًا جدًا من نحونا!" وعندما بدأ المساء ينحسر، التف بعضٌ منا حول كرسيها، وصلينا معًا، ثم رنمنا واحدة من ترنيماتها المفضلة:

سلام الله الكامل، يجري كالنهر البهي
يهوه أساسه الوطيد، وفيضه لا ينتهي
وجدت فيه راحتي، حضوره ما أشتهي[٣٧]

خلال الأسابيع التالية، كانت حالة جانيس الجسدية تتدهور بأكثر سرعة. وبسبب عدم قدرتها على ابتلاع الطعام، نُقلت إلى المستشفى لإدخال أنبوب خاص لإطعامها. لم تعُد بعد ذلك إلى بيتها. وفي ١٣ ديسمبر، اتصلتُ هاتفيًا بزوجها لأستخبر عن حالتها. كانت قوتها قد فارقتها، لم يكن يمكنها الكلام إلا همسًا. "ولكن" يقول زوجها "تيم"، "الشيء المدهش أنها كانت تقضي معظم ساعات صحوها تصلّي من أجل أناس آخرين". وخلال بضعة ساعات، لفظت جانيس أنفاسها الأخيرة لتكون في محضر الرب.

لقد ماتت جانيس جرسوم كما عاشت تمامًا: تبذل نفسها لأجل محبتها للرب وللآخرين. ما كانت تهتم بما لنفسها، أو بصحتها، أو راحتها، أو مستقبلها. كان الكل بالنسبة لها يتعلق

باللـه - كان الشـيء الذي يهمهـا هو أنه يتمجد من خـلال الخضوع لمقاصـده في حياتها. كانـت رغبتهـا الوحيدة، كما عبـر عنها الرسـول بولس، «كَمَا فِـي كُلِّ حِيـنٍ، كَذلِكَ الآنَ، يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ» (فيلبي ١: ٢٠).

تعبِّر "سوزان هانت" الكاتبة وزوجة الراعي عن ذلك بطريقة رائعة:

> التاريخ هو قصة الفداء. هذه القصة أكبر مني بكثير. أنا لسـت الشـخصية الأساسـية في مسـرحية الفداء. أنا لسـت الغاية منها. لكننـي بنعمة الله جزء منهـا. حبكـة حياتـي الثانوية في هـذه القصة هي جزء من كل. إنه شـيء هام جـدًا أن يكـون لي جـزء صغير في هذه القصـة من أن أكون نجمًـا في إنتاجي الهزيل. هذه القصة عظيمة بلا نهاية وسـوف تمتد بطول الأبدية. فهل ألعب دوري بنعمة وفرح، أم إنني أركض نحو القصة قصيرة المدى، التي بلا أهمية ولا معنى أو غاية بالفعل؟[٣٨]

الحـق هـو أن الأمر لا يتعلق بكِ ولا يتعلق بي، كل شـيء يتعلق بـه هو. ربما لا يغيِّر الحـق ظروفـك، علـى الأقـل ليس هنـا والآن - لكنه سـوف يغيرك أنتِ. الحق سـوف يحررك.

الأكذوبة

٣٦. لو كانت الظروف مختلفة لكنت أنا مختلفة

الحق

- ظروفي لا تجعلني "مَنْ أنا"، هي فقط تظهر "مَنْ أنا".

متى ٦: ٢١؛ ١٥: ١٩؛ لوقا ٦: ٤٥

- إذا كنت غير راضية بظروفي الحاضرة، فالأرجح أنني لن أكون سعيدة في أي ظروف أخرى.

فيلبي ٤: ١١- ١٢

- ربما لا أكون قادرة أن أتحكم في ظروفي، لكن يجب ألا تتحكَّم ظروفي فيَّ.

عبرانيين ١٣: ٥؛ يعقوب ١: ٢-٥

- كل ظرف يمس حياتي كان قد مَرَّ أولاً من خلال "فلتر" أصابع محبته.

تكوين ٤٥: ٨؛ ٥٠: ٢٠؛ أيوب ١: ٨-١٢؛ ١٤: ٥؛ مزمور ١٣٩: ١٦؛ متى ١٠: ٢٩-٣١؛ رومية ٨: ٢٨.

الأكذوبة

٣٧. لم يكن من المفروض أن أتألم

الحق

- لا يمكن أننا نتقدس بالانفصال عن الألم. هناك ثمرة لا يمكن أن تنتج في حياتنا بالانفصال عن الألم.
- لقد دعينا لكي نتألم.

أعمال ١٤: ٢٢؛ عبرانيين ٥: ٨؛ ١بطرس ٢: ٢١؛ ٣: ٩

- الفرح الحقيقي ليس هو غياب الألم، لكن هو حضور الرب يسوع في وسط الألم. الألم هو الطريق إلى القداسة، والمدخل إلى علاقة أقرب مع الله.

مزمور ٢٣: ٤؛ عبرانيين ٢: ١٠، ١٧-١٨؛ ١بطرس ٥: ١٠

الأكذوبة

٣٨. ظروفي لن تتغير أبدًا، سوف يستمر الأمر إلى الأبد هكذا

الحق

- قد تستمر آلامي طويلاً لكن لن تستمر إلى الأبد.

مزمور ٣٠: ٥، ١١-١٢؛ رومية ٨: ١٨؛ ٢كورنثوس ٤: ٨-١٨؛ يعقوب ١: ٢-٤

- لن تستمر ظروفي المؤلمة لحظة واحدة أكثر مما يعرف الله أنها ضرورية لتحقيق مقاصده الأبدية في حياتي ومن خلالها.

تكوين ١٢: ٤-٥؛ ٢١: ٥؛ ٤٠: ٢٣ - ٤١: ١؛ يشوع ١٠: ١٢-١٤؛ يوحنا ١١: ١٧

- يومًا ما، ستزول كل المعاناة، والألم، والدموع إلى الأبد.

إشعياء ٣٥: ١، ١٠؛ رؤيا ٢١: ١-٧

الأكذوبة

٣٩. لا أقدر على احتمال أكثر من ذلك

الحق

- كيفما تكون ظروفي، كيفما تكون حالتي، نعمته تكفيني.

مزمور ١٣٠: ٥؛ ٢كورنثوس ١٢: ٧-١٠

- لن يضع الله عليَّ أكثر من النعمة التي سيعطيني للاحتمال.

٢كورنثوس ١١: ٢٢-٣٠

الأكذوبة

٤٠. كل شيء يتعلق بي

الحق

- الله هو البداية والنهاية وهو محور كل شيء. الكل به وله قد خُلق!

أعمال ٢٠: ٢٤؛ كولوسي ١: ١٦-١٨

- حياتي لا تهم كثيرًا، لقد خُلقتُ لمسرته ومجده.

فيلبي ١: ٢٠-٢١؛ ٣: ٧-١١؛ رؤيا ٤: ١١

تطبيقات عملية

١- وافقي الله

ما هي الأكاذيب التي صدقتيها عن الظروف وعن الألم؟

٢- تحملي المسؤولية

كيف ظهر تصديقك لهذه الأكاذيب في أسلوب حياتك (مثلاً: مواقفك وتصرفاتك)؟

٣- أعلني الحق

اقرأي بصوت مرتفع كلاً من أجزاء الحق المذكورة في الصفحتين السابقتين. أي من هذه الأجزاء تحتاجين أن تقبليها بصفة خاصة في هذا الوقت؟

جـدّدي ذهنك (تفكيرك) بكلمة الله. اقرأي الفقرات التالية بصوت مرتفع. ماذا تُعلّم هذه الأعداد عن كيفية رؤية الظروف الصعبة والمؤلمة من وجهة نظر الله.

فيلبي ٤: ١١-١٣

يعقوب ١: ٢-٥

٢كورنثوس ٤: ١٦-١٨

٢كورنثوس ١٢: ٧-١٠

عبرانيين ١٢: ٢-١١

رؤيا ٢١: ٤-٦

٤- تصرفي طبقًا للحق.

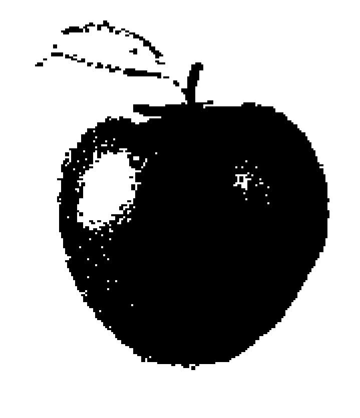
مــا هي الخطــوة أو الخطوات الفعلية للتصــرف التي تحتاجين أن تتخذيها حتــى تتوافق حياتك مع الحق؟

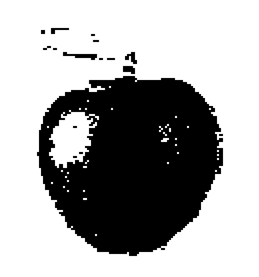
٥- اطلبي من الله أن يساعدك للسلوك في الحق.

راعيَّ العظيم، كيف أشكرك على أنه بصرف النظر عما يحدث لي أو من حولي، فأنت لم تزل الله، ولم تزل صالحًا، ولم تزل على عرشــك. أشــكرك لأنك تستخدم التجارب والضغوط لكي تجعلني معتمــدة عليــك أكثر، ولتشــكلني لأكون على صورتــك، ولتقوّي إيماني، ولكي أمجّد شــخصك في العالم. من فضلك اغفر لي كل الأوقات التي فيها كنت أســتاء من الظروف المؤلمة، وأقاومها، وأهرب منها، بدلاً من أن أقبل الصليب. أشــكرك لأنك لن تتركني ولن تهملني، ولأنه لا يمكن أن شــيئًا يحــدث في حياتي مــا لم يكن قد مرَّ أولاً من خلال فلتر أصابــع محبتك. أعنّي لكي أثق بك عندما لا أســتطيع أن أرى النتائج. أطلقني من مشــغوليتي بنفســي ومن كيفية تأثير ظروفي عليَّ. ليت اســتجابتي للمشــكلات والضغوط تُظهر للعالم عظمة وكفاية نعمتك. أشكرك لأجل وعدك أنه في يوم آت ستنهي كل الأحزان والألم. ليتني أكون أمينة، ومُحبة، ومُمجدة لك حتى ذلك اليوم. في اسم الرب يسوع. آمين.

الجزء الثالث

السلوك في الحق





الفصل العاشر

مقاومة الأكاذيب بالحق

لقد فحصنا عدة أكاذيب مختلفة تصدّقها النساء المسيحيات اليوم على نطاق واسع. ومع ذلك، فنحن لم نستنفد تمامًا الأكاذيب التي في مستودع العدو. للخداع أنواع مختلفة لا نهاية لها، يحيكها الشيطان لتلائم ميولنا الطبيعية. مثل الصياد الماهر، الذي ينتقي الطُعم الذي يعرف أنه من المؤكد سيجتذب فريسته المقصودة - الشيء الذي قد لا نعتبره كثيرًا أنه ضار. فهو لا يهتم بما نصدِّق، طالما أننا لا نصدق الحق. الحق هو الشيء الوحيد الذي لا يقدر أن يصمد أمامه، إنه يسبب الانهيار لمملكته وسيطرته.

وقبل أن نلقي نظرة أخيرة ختامية على الحق الذي يردّ على أكاذيب الشيطان (الفصل ١١)، لنرجع إلى الوراء قليلاً ونسترجع النقطتين الهامتين في هذا الكتاب:

تصديق الأكاذيب يضعنا في العبودية.

الحق له القوة التي تحررنا.

رأينا أن التدرج تجاه العبودية يبدأ عندما نصغي إلى أكاذيب الشيطان. قد نظن أنه لن يحدث ضررٌ إذا كنا نتعرض إلى طرق تفكير غير نقية من برامج تليفزيونية وأفلام نشاهدها، والموسيقى والأغاني التي نستمع إليها، والكتب والمجلات التي نقرأها، والصديقات اللاتي نرتبط بهن. لكننا لا ندرك كم لهذه الفلسفات المضللة من تأثير خادع على تفكيرنا. ولهذا السبب وعد الله ببركة خاصة لمن لا «يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ (لا) يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ (لا) يَجْلِسْ» (مزمور ١: ١).

بمجرد أن نسمح للشيطان بأن يقترب من عقولنا، يستمر التدرج بينما نستغرق في تلك الأكاذيب. إذا لم نرفض فورًا طرق التفكير الخادعة، وسمحنا لأنفسنا بأن نستضيفها في أذهاننا، فآجلاً أو عاجلاً سنبدأ في تصديقها. وما نصدقه هو حتمًا ما نسلك بموجبه.

عندما نسلك بحسب الأكاذيب التي صدَّقناها، فإننا نبدأ في تأسيس نمط في حياتنا سوف يقود في النهاية إلى العبودية.

يصوِّر اختبار "شوندرا" كيف أن تصديق أشياء ليست حقيقية يقود إلى العبودية في علاقتنا مع الله ومع الآخرين:

> تصديق أن الله لم يحبني فعلاً ولم يقبلني، وأني لا أساوي شيئًا، وضعني في عبودية للكمالية، باحثة عن قبول الآخرين لي على أساس أعمال حسنة يمكن أن أقوم بها. في علاقتي مع الله، شعرتُ أني لا يمكن أن أرضيه إلا بأن أكون فقط مسيحية على درجة من الكمال. صدَّقت إني إذا أخطأت، فلن يقبلني. كنتُ مهزومة في حياتي المسيحية لأني عرفتُ أني لم أكن بلا خطية. تفكيري الخاطئ حكم عليَّ ووضعني في عبودية.

أصبحت كبريائي واضحة في طريقتين: (١) أنكرتُ خطيتي – فلم أحتمل أن أعترف بفشلي في البلوغ إلى الكمال، لأنني لم أُرد أن يجدني الله في حالة عدم القبول. (٢) اعتمدتُ على محاولات التحفيز الذاتي لأصل إلى القداسة، حتى برغم أن مجهوداتي الإنسانية كانت دائمًا تؤدي إلى الإخفاق – الأمر الذي جعلني أشعر أكثر جدًا بعدم قبولي لدى الله. هذه الدورة من الجهد / الإخفاق / الخطية/ الشعور بالذنب، منعتني بالفعل من اختبار الغفران، والحرية، والفرح في علاقتي مع الله.

في علاقاتي مع الآخرين، بحثتُ عن الاستحسان والقبول بأن أفعل شيئًا يجعلهم مسرورين. أصبحتُ الإنسانة التي ترضي الجميع "والمرأة التي تقول نعم". ونادرًا ما كنت أهتم بما يريدني الله أن أعمله بخصوص العلاقات، لأن اهتمامي ببقاء الناس في حالة من الرضى والسعادة كان أمرًا خطيرًا جدًا وهامًا بالنسبة لمشاعري. تميزت علاقاتي بعدم الإخلاص، لأنني كنت مدفوعة إلى تجنب المواجهة وعدم التسبب في خيبة الأمل لأي شخص. لبسُت قناعًا لأغطّي مشاعري الحقيقية، فلا أزعج أحدًا بمشكلاتي. شعرت بوحدة شديدة؛ لأن أحدًا لم يكن يعرفني بصدق. أصبحت متمرمرة ومحبطة تجاه كل مَنْ "استغلني" (برغم أني عمليًا قدَّمت لهم الدعوة ليفعلوا ذلك).

لم أستطع أن أقبل أي حدود أو قيود شخصية. كنت أرى كل خطإ أو قصور على أنه فشل مطلق وإثبات أنني بلا قيمة. كنتُ أضع باستمرار أهدافًا يصعب الوصول إليها، وكنت بالطبع أخفق. كنت أطلب الكمال المطلق في نفسي، وأنتقد نفسي بلا رحمة عندما لا أقدر على الوصول إليه. كنتُ تعسة وبائسة. أصبحت الضغوط التي فرضتها على نفسي

> وعشت تحت ثقلها لا تُحتمل، وأوصلتني إلى الاكتئاب في منتصف الثلاثينات من عمري.
>
> منذ شهور قليلة مضت، أدركتُ أنني في عبودية وأحتاج أن أتحرر من طغيان الأكاذيب التي كنت أصدِّقها. ومع ذلك كنت أتردد في الصراخ إلى الرب ليغيثني، لأنني في أعماقي، شعرتُ أنه يمكن أن يرفضني إذا اعترفت بضعفي وحالتي الخاطئة.

عندما حضرت "شوندرا" مؤتمرًا حيث تعلَّمت عن خطورة التضليل وقوة الحق، كانت وكأنَّ نورًا أضاء في داخل قلبها، ولأول مرة بدأت تمتلئ بالأمل والرجاء:

> في أثناء المؤتمر، كان الروح القدس يبكتني بشدة على إهمالي لكلمة الله. كلمته حق، ولكي أهدم معاقل أكاذيب الشيطان في حياتي، أحتاج أن أُشبِّع حياتي بكلمة الله. آمنت بالفعل أن هذا هو أملي الوحيد. لا أستطيع الآن أن أعيش بدون وقت محدَّد أكشف فيه ذهني وقلبي لحق كلمة الله. لقد عزمتُ أن أقضي وقتًا كل يوم في قراءة حق الله والتأمل فيه. أدركت أن تجديد ذهني سيكون عملية مستمرة من المواجهة المتواصلة للأكاذيب ودحضها بواسطة كلمة الله. أعرف أن الكتاب المقدس له قوة خارقة، وأنا أتمسك بوعده أن الحق سوف يحررني!

بعد قراءتك لهذا الكتاب، هل تعرفتِ على أية منطقة من حياتك (أو مناطق) بالتحديد فيها استمعتِ إلى أكاذيب، وصدقتيها، وتصرفتِ بموجبها؟ إذا كان كذلك، فهناك ربما منطقة واحدة أو أكثر من العبودية في حياتك – مناطق لا تسيرين فيها في حرية أمام الله.

قد تكون هذه أمورًا عظيمة، ذات جذور عميقة، أو قد تبدو غير هامة نسبيًا. ربما تكون مناطق هُزمتِ فيها وصرختِ طالبة العتق لسنين طويلة، أو تدركينها الآن لأول مرة.

أيًا كانت، فكما رأينا، إن السبيل من العبودية إلى الحرية يتضمن ثلاث خطوات على الأقل:

١. حدِّدي منطقة (أو مناطق) العبودية والسلوك الخاطئ.

٢. حدِّدي الأكذوبة (أو الأكاذيب) التي تسبِّب هذه العبودية أو السلوك.

٣. استبدلي الأكذوبة (أو الأكاذيب) بالحق.

الحق له القدرة ليقهر كل أكذوبة. وهذا ما لا يريد العدو أن تدركيه. طالما أنك تصدقين أكاذيبه، فهو يبقيك في العبودية. لكن حالما تعرفين الحق، وتبدئين في تصديقه والسلوك بموجبه؛ فإن أبواب السجن ستتأرجح منفتحة وأنتِ ستنطلقين في الحرية.

الحق له القدرة لتحريرنا (يوحنا ٨: ٣٢) وحماية أذهاننا وقلوبنا من الأفكار والمشاعر الخادعة. هناك لحظات أشعر فيها أني محاصرة بمشاعر وأفكار أعرف أنها ليست من الله – غاضبة، غير متعقلة، خائفة، متحكمة، أو مستاءة. وقتها أحتاج أن أجري إلى الحق كالملجإ والملاذ. وكلمة الله تَعِد: «بِخَوَافِيهِ يُظَلِّلُكَ، وَتَحْتَ أَجْنِحَتِهِ تَحْتَمِي. تُرْسٌ وَمِجَنٌّ حَقُّهُ» (مزمور ٩١: ٤).

الحق له القدرة لتقديسنا – أن يطهِّر أذهاننا وقلوبنا وأرواحنا. قبل أن يذهب الرب يسوع إلى الصليب مباشرة، ذكَّر تلاميذه بقوة كلمته المنقية (يوحنا ١٥: ٣). وبعد أصحاحين، صلّى: «أيها الآب... قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَق» (يوحنا ١٧: ١٧). غالبًا، عندما أقترب إلى الكتاب المقدس، أصلي: "أيها الآب، من فضلك، اغسلني بكلمتك. كلامك هو حق. استخدم الحقّ ليطهِّر قلبي، وينقّي ذهني، دعني أسبح وأغتسل في كلمتك."

اختيار سبيل الحق

فـي كل مرة يمطرنـا العدو بوابل من الأكاذيب، يجب أن نتعلم أن نتشـاور مع قلوبنا طبقًا للحق، وأن نتصرف على أسـاس الحق، بغضِّ النظر عما يخبرنا به منطقنا البشـري أو مشاعرنا.

وعندما أجد نفسـي مستسـلمة للضجر، والفشل، أو للجسد فيّ، وعندما يدور عقلي وعواطفي داخل دوامة من أشـياء أعرف أنها ليسـت حقيقية؛ أحاول أن أتوقف وأتعرف على الحق الذي يقاوم تلك الأكاذيب.

أتكلم بالحق لنفسي - أحيانًا بصوت مرتفع، وإذا لزم الأمر، فالمرة تلو الأخرى - إلى أن يطرد الحق الأكاذيب التي صدَّقتها ويحلّ محلها. أصرخ إلى الله من أجل نعمة خاصة لأتصـرف وفقًا لما أعرف أنه حقيقي. كنـت أتعجب مرارًا وتكرارًا من قوة الحق القادرة أن تهدئ عواطفي المضطربة وترجع سكوني وسلامة عقلي إلى أفكاري المشوشة.

منذ فترة، كنتُ في اجتماع حيث كانت بعض القضايا الساخنة قد وصلت إلى حالة الغليان الكامل. وفي أثناء المناقشة، قدَّم أحد الأفراد تقريرًا عني لـم يكن له أساس من الصحة من وجهة نظري وكان مؤذيًا بطريقة بالغة. كنت على وشك الانهيار. وعندما وصلـت إلى البيت ذلك المسـاء، ظللت أبكـي وأبكي. وطوال السـاعات التالية، بدأ الشـيطان يُحـدث دمـارًا فـي عقلي وعواطفـي. كل ما كنـت أفكر به هو كـم كان هذا الشخص مخطئًا، وكم كان جرحي عميقًا. بدأت أُفسح لأفكار الاستياء وحب الانتقام لتترسـخ في عقلي، وأُنهض من قبر ذاكرتي أفـكارًا أخرى، وإهانات قديمة ظننتُ أنها ماتت منذ زمن بعيد. اسـتحوذت عليَّ فكرة محاولة الوصول إلى طريقة لتبرير نفسـي وإثبات براءتي. كانت مشاعري تدور بلا تحكم، وابتدأت أميل تدريجيًا إلى الغضب والرثاء للنفس. والآن أنظر إلى الوراء، فأدرك أني كنت أصغي إلى عددٍ من الأكاذيب

وأصدقها... أكاذيب مثل:

- "فلان" كان حاقدًا وقصد أذيتي.
- أستحق معاملة أفضل، وما كان يجب أن أجتاز في هذه الأمور.
- الشخص الآخر كان مخطئًا ١٠٠٪، وأنا بريئة تمامًا.
- لا أقدر أن أغفر "كذا وكذا".
- لا يمكن إصلاح الأذى.
- علاقتنا لا يمكن أن تعود إلى ما كانت عليه.
- "هذا الشخص" أثار غضبي.
- من حقي أن أكون غاضبة.
- من حقي أن أدافع عن نفسي، وأتأكد أن الآخرين يعرفون الحقيقة.
- لا أستطيع أن أتخلص من هذا الأمر. لا أستطيع التحكم في مشاعري.

تصديق هذه الأكاذيب أسفر عن ساعات من الاضطراب والصراع الداخلي.

في الصباح التالي، عندما فتحت كتابي المقدس وبدأت أقرأ من حيث كنت قد توقفت في اليوم السابق، وجدت نفسي في الأصحاحين الخامس والسادس من إنجيل متى. وهناك تصادمتُ وجهًا لوجه مع الحق:

طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ...
طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ.
طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ...
وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ:

لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ،
بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ
فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا...
أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ...
وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ
وَيَطْرُدُونَكُمْ...
فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَّلاَتِهِمْ،
يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ.
وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَّلاَتِهِمْ،
لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَّلاَتِكُمْ.

متى ٥: ٥، ٧، ٩، ٣٩، ٤٤؛ ٦: ١٤-١٥

والآن، الاختيار لي: هل أستمر في تصديق الأكاذيب، أم أقبل الحق؟ وهنا بدأت المعركة الحقيقية. كانت عواطفي تريد أن تتمسك بالإساءة؛ أردت أن أغذّي الضغينة، أردت أن أظل غاضبة، وأسيء إلى الشخص الذي أساء إليَّ. ولكن في قلبي كنت أعرف أن هذا الاختيار سيقود إلى العبودية.

ركعت أمام الرب، والكتاب المقدس مفتوح أمامي، كنت أصارع مع الحق. عرفت أنني لا بد أن أغفر، أن أطلق المسيء وأنسى الإساءة. شعرت أني لا أستطيع الغفران، لكن في أعماقي، عرفت أن الأمر ليس أني لم أستطع أن أغفر؛ بل إني لم أُرد أن أغفر. عرفت أنني إذا أردت أن أسلك في الحق، فلا بد أن أتخلى عن حصولي على أي حق

من هذا الشخص وأن لا أمنع محبتي عنه.

بدأت أتكلم الحق مع نفسي – لأتشاور مع قلبي وفقًا للحق. ذكَّرت نفسي بعواقب رفض الغفران، والرحمة التي سوف أفقدها إذا رفضت أن أبسط الرحمة للآخرين، والبركات التي سأنالها إذا كانت رغبتي أن أطيع وصاياه.

عرفت أنني لا أستطيع الانتظار حتى أشعر في داخلي بالغفران، بل يجب أن أختار أن أطيع الله، وأن عواطفي سوف تتبع آجلاً أو عاجلاً. وهناك على ركبتيَّ، وعواطفي ما زالت تتصارع؛ أخيرًا، بدأت ألوِّح بالراية البيضاء لأعلن الاستسلام. وكأنني أقول للرب: "أنت الفائز". سلَّمتُ نفسي والقضية بكاملها للرب وقبلت، كفعل إرادي، أن أغفر للشخص الذي أساء إليَّ. وعلى قدر صعوبة الأمر البالغة، فقد قبلت أن "أتنازل".

تحرُر مشاعري لم يحدث فوريًا. لبعض الوقت، كنت أشعر "بالجرح"؛ ففي أوقات، كنتُ أُغوى أن أبدأ من جديد نوبة مشاعر غضب حادة أو أن أثأر بحزم لنفسي. لكن، بنعمة الله، ظللت أتكلم بالحق لقلبي وأختار أن أسلك بالحق. وبدافع إطاعة كلمة الله، بدأت أبحث عن طرق لكي أعيد بناء العلاقة وأن أؤثر إيجابيًا في حياة الشخص الذي سبب لي هذا الأذى.

وفي الأسابيع التي تلت، كانت عواطفي تتبع إرادتي تدريجيًا. كان الحق يبطل الأكاذيب، وتحرَّرت روحي. وفي وقتٍ، أعطاني الله بصيرة أبعد في ما حدث في بادئ الأمر، فقد ألقى الضوء على سبب تصرفي بهذه الكيفية، وأراني أمورًا أعمق في قلبي لم أدركها كانت تحتاج إلى الالتفات إليها. أنا ممتنة أنه أحبني بما يكفي لأن يناغم الظروف معًا لتطفو هذه الأمور إلى السطح، أشكره لأجل استخدامه لهذا الاختبار ليجعلني أُشبه الرب يسوع أكثر.

قوة الحق المغيرة

العتق من العبودية هو الثمرة الحلوة لمعرفة الحق، وتصديقه، والسلوك فيه. وكيف يمكننا أن نعرف الحق؟ يجب أن نتذكر أن الحق ليس مجرد فكرة أو فلسفة. الحق هو شخص الرب يسوع المسيح. لقد قال عن نفسه: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يوحنا ١٤: ٦). فالرب يسوع لم يوجِّه الناس إلى نظام ديني، بل وجَّههم إلى شخصه. وقال للذين أعلنوا أنهم أتباعه:

إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي
فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلاَمِيذِي،
وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ،
وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ...
فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ
فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا.

يوحنا ٨: ٣١-٣٢، ٣٦

توجد الحرية الحقيقية في علاقة حية ناضجة مع الرب يسوع. أعلن الرب يسوع (كلمة الله الحية) عن نفسه في الكتاب المقدس (كلمة الله المكتوبة). إذا كنا نريد أن نعرفه، إذا كنا نريد أن نعرف الحق، فلا بد أن نكرس أنفسنا لقراءة كلمته، ودراستها، والتأمل فيها. لا يوجد بديل، ولا طريق مختصر. يواجهنا العدو بالأكاذيب بلا توقف. ولكي نكون مستعدين لمقاومة طُرقه الخادعة، فلا بد أن تكون عقولنا وقلوبنا ممتلئة

بالرب يسوع ومتشبعة بكلمته.

لكن لا يكفي فقط أننا نعرف الحق، يجب أن نخضع للحق. أي أننا يجب أن نكون راغبين في تغيير تفكيرنا أو أسلوب حياتنا في أي من النواحي التي لا تتوافق مع كلمة الله. ملايين من المعترفين بأنهم مسيحيون هم مضلَّلون، فهم ببساطة يسلكون في طرق لا توافق الكتاب المقدس. قيمهم، وتجاوبهم، وعلاقاتهم، واختياراتهم، وأولوياتهم تعلن أنهم صدَّقوا أكذوبة العدو، وقبلوا طرق التفكير العالمية.

لا يمكن أن نفترض أن وجهة نظر معينة هي حقيقية لمجرد أن الجميع يفكِّرون بهذه الطريقة، أو لأنها كانت دائمًا ما نؤمن به، أو لأن كاتبًا مسيحيًا معروفًا شجَّع على هذا الأمر، أو لأن صديقًا حسن النية أو مشيرًا قال إن هذا الأمر صحيح. كل ما نؤمن به وكل ما نفعله لا بد أن يُقيَّم في ضوء كلمة الله. هذا هو مرجعنا ومستندنا الوحيد والمطلق.

يتطلب العيش طبقًا للحق اختيارًا يقظًا لرفض الكذب والتعلق بالحق. ولهذا السبب صلى كاتب المزمور: «طَرِيقَ الْكَذِبِ أَبْعِدْ عَنِّي... اخْتَرْتُ طَرِيقَ الْحَقِّ. جَعَلْتُ أَحْكَامَكَ قُدَّامِي» (مزمور ١١٩: ٢٩-٣٠).

كل مرة نفتح الكتاب المقدس أو نسمع الكلمة يُنادى بها، لا بد أن تصاحبها صلاة أن يفتح الله عيوننا لنرى أي مناطق كنا فيها مخدوعات، وبرغبة قلب نقول: "يا رب، كلمتك هي حق، سوف أخضع لكل ما تقوله أنت. سواء كان يرضيني أم لا، سواء لديَّ رغبة أم لا، سواء اتفقت معها أم لا، سواء كانت مفهومة أم لا؛ أختار أن أضع حياتي تحت سلطان كلمتك - سوف أطيع".

حالما نعرف الحق ونسلك طبقًا للحق الذي نعرفه، يريد الله أن يجعلنا آلات تجذب الآخرين إلى الحق:

كَيْ لاَ نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ
وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ،
بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلاَلِ.
بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ
إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ...
لِذلِكَ اطْرَحُوا عَنْكُمُ الْكَذِبَ، وَتَكَلَّمُوا
بِالصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ، لأَنَّنَا بَعْضَنَا
أَعْضَاءُ الْبَعْضِ.

أفسس ٤: ١٤-١٥، ٢٥

وكما شاركت في المقدمة، أن التثقل الذي ولّد هذا الكتاب كان هو الرغبة الشديدة لرؤية نساء يتحررن من خلال الحق، وهذه الرؤية عبَّرت عنها الأعداد الأخيرة من رسالة يعقوب:

أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنْ ضَلَّ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ عَنِ الْحَقِّ
فَرَدَّهُ أَحَدٌ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ رَدَّ خَاطِئًا عَنْ
ضَلاَلِ طَرِيقِهِ، يُخَلِّصُ نَفْسًا مِنَ الْمَوْتِ،
وَيَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا.

يعقوب ٥: ١٩-٢٠

إن فكـرة "رد الخطـاة عن ضـلال طريقهم" هي فكـرة غريبة إلى حد بعيـد في يومنا هذا. فمظهر وضجيج ثقافتنا الحديثة المتطرفة هي "التجاوز"، والذي يعني: "يمكنك أن تعيشـي كيفما تريدين أن تعيشـي، لكن لا تحاولي أن تخبريني ما هو الصواب بالنسبة لـي – ليـس من اختصاصك أنت كيف أختار أن أعيش حياتي". وبينما تغرق ثقافتنا في الكـذب والخـداع، كثير من المؤمنين يترددون في الوقـوف من أجل الحق، من الخوف أن يصنَّفوا كمتعصبين أو ضيقي الأفق.

كثيـر مـن المؤمنين يظهرون موقف "عش ودع الآخر يعيش" ليس فقط تجاه العالـم، بل أيضًا في علاقتهم مع مؤمنين آخرين لا يسـلكون في الحق. هم لا يريدون أن يسـببوا "إزعاجًـا" أو أن يعتبرهـم أحـد أنهم يحكمون بالإدانة. يبدو أنه من الأسـهل أن يدعوا الآخرين وشأنهم.

يجب أن نتذكر أنه في المسـيح وفي كلمته، لنا الحق الذي يُطلق الناس أحرارًا. هذا خبـر طيـب! خبر جوهري. ولا يوجد طريق آخر لأولئـك الذين نعرفهم ونحبهم للعتق مـن الظلمة، والضلال، والموت. إذا كنا نهتم بهم بالفعل، فبالصلاة وبالاجتهاد سـوف نطلب أن نردهم إلى طرق التفكير الإلهية.

لا بـد أن نتعلم الحق، ونصدّقه، ونخضع له، ونعيشـه – حتى إذا كان ذلك صفعة في وجه ثقافتنا. ثم يجب أن نعلن الحق بكل جرأة، واقتناع، ومحبة، طالبين أن نردّ الخطاة عن ضلال طريقهم ونسترجع الذين ضلوا عن الحق.



الفصل الحادي عشر

الحق الذي يحررنا

أثناء كتابة هذا الكتاب، كانت هناك أوقات وجدتُ فيها نفسي أصدق وأتصرف وفقًا للأكاذيب عينها التي كنت أتكلم عنها: "ليس لديَّ الوقت لأفعل كل شيء من المفروض أن أفعل!" "يمكنني أن أختصر وقت خلوتي مع الرب هذا الصباح." "لا أستطيع التحكم في عواطفي." "أنا أتصرف هكذا لأني متعَبة جدًا... ولأنني انزعجت كثيرًا... ولأن لديَّ الكثير جدًا لأعمله..." "لا أستطيع احتمال أكثر من هذا!"

مرة تلو الأخرى، في لحظات القلق، والانزعاج، والألم، وجَّه الله قلبي رجوعًا إلى الحق. وإذ أصغيت إلى الحق، وتأملت فيه وصدقته، وخضعت له، حررني روح الله - واستقر ذهني واتزنت عواطفي، وأستطعت أن أنظر إلى ظروفي من وجهة نظر الله. وكلما طال سيري مع الله، كلما ازددتُ تقديرًا لقوة الحق.

لقد فحصنا بعضًا من أكاذيب الشيطان، والحق المقابل الذي يبطل كل أكذوبة. وفي هذا الفصل الأخير، أود أن أسلِّط الضوء على اثنين وعشرين جزءًا من أجزاء الحق التي أؤمن أنها هامة جدًا بالنسبة إلى النساء في يومنا هذا لكي يؤمنَّ ويتمسكن بها. وهذه

الأجـزاء مـن الحق هي بمثابـة المفتاح الذي أجد نفسـي أرجع إليه المـرة تلو الأخرى. إنها تمثل أساسًـا صلبًا وقلعـة حامية لذهني، وإرادتي، وعواطفـي. هذا هو الحق الذي يحررني ويحررك.

بـدلاً مـن أن نأخذ هذا الفصل بصورة سـطحية، دعيني أشـجعك لكـي تأخذي وقتًا لتتذوقـي طعـم هذا الحق المحـرِّر الذي يغير الحيـاة. ردّدي كل جزء مـن أجزاء الحق بصـوت مرتفـع – مـرة تلـو الأخرى – إلـى أن يتوافـق تفكيرك مـع الطريقـة الإلهية في التفكيـر. ويمكنك أيضًـا أن تحفظي غيبًا هذه القائمة، مع النصوص الكتابية الأساسـية التي تتناسب مع الحق المقابل.

وفي الأيام المقبلة، إذا أدركت في أي وقت أنك تصدقين أكاذيب، ارجعي وراجعي هذه القائمة، وجدّدي ذهنك، وافحصي قلبك في نور الحق.

١. الله صالح (مزمور ١١٩: ٦٨؛ ١٣٦: ١).

عندما تكون الشمس مشرقة ويكون لديكِ أموال في البنك، وبصحة جيدة، والجميع يعتقـدون أنكِ إنسـانة رائعة؛ فليس مـن الصعب أن تصدقي أن اللـه صالح. لكن عندما تفقدين عملك، أو يصاب شـخص عزيز لديك بمرض فتاك، أو تمر كنيسـتك بحالة من الانقسـام البغيـض، أو إذا قال لـكِ زوجك إنه لا يريد البقاء معكِ بعد الآن؛ سـوف يبدأ العدو في التحرك وسيجعلك تتشككين في صلاح الله.

الحق هو أنه بِغضِّ النظر عن الظروف، وعما نشعر به، وما نعتقد؛ فالله صالح، وكل ما يفعله هو صالح.

٢. الله يحبني ويريد ني أن أحصل على أفضل ما عنده (رومية ٨: ٣٢، ٣٨-٣٩).

اللـه لا يحبنـا لأننا جديرون بأن نُحَبّ أو نسـتحق، بل لأنه هو محبة. لا يوجد شـيء علـى الإطـلاق يمكن أن نفعلـه لنحصل على محبته أو لكي نكون مسـتحقين لها. نحن

لا نقـدر أن نفهم أو ندرك مثل هذه المحبة غير المشـروطة، لكـن إن صدّقناها وقبلناها، فسوف تغير محبته حياتنا.

ولأن اللـه صالـح ويحبنا محبة كاملة، نسـتطيع أن نثق أنه يشـتاق أن نختبـر كل الفرح في الحياة الذي صمَّمَنا لكي نعرفه. هو يعرف أننا فقط سـوف نجد هذا الفرح والشـبع الحقيقي والدائم فيه هو. إنه يحبنا جدًّا، ويلح علينا أن نأتي إليه، حيث لديه فقط نكون مكتفين تمامًا.

٣. أنا كاملة ومقبولة في المسيح (أفسس ١: ٤-٦).

ربما تكونين قد رُفضتِ من أب أو أم، أو زوج، أو صديقة، أو ابن. لكن إذا كنت في المسـيح، فأنـت مقبولة فيـه. لا يلزمنا أن نؤدي دورًا ما لنكـون مقبولين لديه. لا نحتاج أن نقفـز داخـل جميع "الحلقات" الروحية. في الواقع، لا يوجد شـيء واحد يمكن أن نفعله لنجعل أنفسنا مقبولين لدى إله قدوس. ومع ذلك لا زلنا - نحن الخطاة الساقطين المُدانين غير المسـتحقين - نسـتطيع أن نقف أمام الله أنقياء وبلا خجل، ومقبولين في عينيـه. كيـف؟ لأن الرب يسـوع - ابـن الله القدوس، الـذي بلا خطيـة - مقبول لديه، ونحن نقف أمام الله فيه.

٤. الله يكفي (مزمور ٢٣: ١).

«الرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ». ربما عرفتِ هذه الآية منذ كنت طفلة صغيرة. لكن هـل تؤمنين بها؟ هل تؤمنيـن بالفعل أنه هو راعيكِ؟ الحق هو، إذا كان هو لنا، فلنا كل شيء نحتاج إليه من أجل سلامنا وسعادتنا في حاضرنا.

٥. يمكن الوثوق بالله (إشعياء ٢٨: ١٦).

الله يحفظ مواعيده. لقد وعد أنه لن يتركنا أو يهملنا (عبرانيين ١٣: ٥). وعد أن هؤلاء الذيـن يتكلـون عليه لن يخزوا. من وقت لآخر أحتاج أن أذكر نفسي: "الله لم يخذلني مـرة واحـدة - ولن يبدأ بفعل ذلك الآن!" بعد سـنوات من الصـراع والجهاد، كان هذا

الحق هو بمثابة المكان الذي وجدته "كووليين" لراحة قلبها:

أؤمن تمامًا، لأول مرة، أن الله يمكن الوثوق به كليةً.

تحررت من احتياجي لأن أفهم العالم ومكاني فيه.

أستطيع أن أستريح في ذاك الذي يملك العالم، وأثق أنه يقودني ويرشدني ويحميني، ويعزيني، ويغمرني بالفرح.

٦. الله لا يخطئ أبدًا (إشعياء ٤٦: ١٠).

قد يرتكب آخرون أخطاءً فادحة تؤثّر على حياتنا. لكن الله دائمًا يتمم مقاصده الأزلية، ولا يمكن لهذه المقاصد أن تحبط بسبب أي إخفاق بشري. إذا كنا في المسيح، فحياتنا في يده، ولا يمكن لشيء أن يمس حياتنا ما لم يكن قد مَرَّ أولاً من خلال "فلتر أصابع محبته".

حتى عندما كان أيوب يعاني بما يعجز عنه الكلام، وكانت كل سهام الشيطان تصوَّب نحوه، كان الله متحكمًا. كان لا بد للشيطان أن يحصل على إذن الله قبل أن يمسّ عبده. حدَّد الله كثافة الألم ومدته. هو لا يخطئ من جهة حياة أولاده. قال أحدهم، "مشيئة الله هي تمامًا ما سنختار، إذا عرفنا ما يعرفه الله". عندما نقف في الأبدية وننظر إلى الوراء إلى هذا الوجود الأرضي، فسوف نعرف بالعيان ما يمكن أن نراه الآن فقط بالإيمان: أنه فعل كل شيء حسنًا.

٧. نعمة الله تكفيني (٢كورنثوس ١٢: ٩).

كابنة لله لن أواجه ظرفًا أكبر من نعمته. حيثما كثرت الخطية، ازدادت النعمة جدًا. حينما أكون ضعيفة، هو قوي. عندما أكون فارغة، هو غني. عندما تنضب مواردي، موارده لم تبدأ بعد في النقصان.

الحق هو أنه مهما يكن ما تجتازين به الآن، نعمته تكفيكِ. مهما يكن ما ستجتازين به

في الغد – أو السنة القادمة، أو خمسين سنة من الآن – نعمته ستكفيكِ آنذاك.

نعمته تكفي لعلاج ذكريات، وجروح، وإخفاقات ماضٍ مشَّوه ومتسخ إلى أقصى حد. نعمته تكفي لحياة بطولها من العزوبة والوحدة أو لنصف قرن من الزواج بشخص لا يعرف الله. نعمته تكفي لأم وحيدة تربي أولادها الأربعة. نعمته تكفي لأم لديها ثلاثة أطفال – أو ثلاثة مراهقين. نعمته تكفي لامرأة تعتني بوالديها المسنين، لواحدة تركها أولادها، للمرأة التي تجتاز تغيرات الحياة، وللأرملة التي تعيش على الكفالة الاجتماعية التي توفرها الدولة، ولمن لا يصلح بقاؤه في دور المسنين.

نحتاج أن نتكلم الحق لأنفسنا، نحتاج أن نتكلمه بعضنا لبعض. في كل آن، في كل ظروف، نعمته تكفي. تكفيني، وتكفيكِ.

٨. دم المسيح يكفي ليغطي كل خطيتي (١ يوحنا ١: ٧).

لا توجد خطية اقترفتها، أو يمكن أن أرتكبها، لا يمكن أنها تُغفر أو يسترها دم ذبيحة المسيح التي فيها كل الكفاية. هذا لا يجب أن يجعلنا نستخف بالخطية، بل على العكس، إدراك أن خطيتنا كانت تتطلب دم الرب يسوع، من شأنه أن يتركنا في انكسار واتضاع بالروح، مصممين أن نختار سبيل الطاعة، بقوة روحه الذي يسكن فينا.

كاتب المزمور فهم كلاً من عظم خطيته وأيضًا رحمة الله الأعظم جدًا من نحو الخطاة التائبين: «إِنْ كُنْتَ تُرَاقِبُ الآثَامَ يَارَبُّ، يَا سَيِّدُ، فَمَنْ يَقِفُ؟ لأَنَّ عِنْدَكَ الْمَغْفِرَةَ. لِكَيْ يُخَافَ مِنْكَ» (مزمور ١٣٠: ٣-٤).

٩. صليب المسيح يكفي ليبطل جسد الخطية (رومية ٦: ٦-٧).

من خلال موت المسيح واتحادي معه، تحرَّرت من سلطان وقوة الخطية. لست بعد عبدًا للخطية. عندما أخطئ، ليس لأنني لم أستطع أن أضبط نفسي، بل لأنني اخترت أن أخضع للسيد القديم. الحق هو، لا يجب أن أخطئ (رومية ٦: ١٤).

١٠. لا يجب أن يزعجني ماضيَّ (١كورنثوس ٦: ٦-١١).

أحـب تلك الفقرة حيث يوضح بولس هـذه النقطة لجماعة من المؤمنين، الذين كان بعـضٌ منهـم له ماضٍ ملوَّث. كان يذكِّرهم أن الخطيـة تفصل عن الله، ثم يؤكِّد لهم أنه من خلال المسيح، يمكن لأشرّ الخطاة أن يغتسل ويصير خليقة جديدة.

أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ
لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ؟
لاَ تَضِلُّوا: لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ
وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ،
وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ
وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ.
وَهكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُمْ.
لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ
بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا.

١ كورنثوس ٦: ٩- ١١

ربمـا كنتِ في الماضي زانية، قاتلة، مدمنـة للكحوليات، أو مثلية، ربما أجهضتِ طفلاً أو كانت لكِ علاقات جنسية غير شرعية، ربما كنت مستعبدة للشهوة أو الغضب أو الطعام أو الكبرياء. لكن إذا أنت الآن في المسـيح، فأنت لسـت الشـخص ذاته. لقد تطهرَّتِ بدم المسيح، وتخصَّصتِ من أجل مقاصده المقدَّسة، وأُعلن أنكِ مبرَّرة في عيني الله.

بعد حضور مؤتمر حيث كان هذا الحق يُعلَّم، كتبت "ليسا" لتشارك معي كيف كان الحق يحرِّرها من عذاب إخفاقها في الماضي:

> ماذا يمكنني أن أقول عن الأنانية عندما أجهضت؟ كيف تغفرين لنفسك عندما تقتلين؟ لا يمكن إرجاع الأمر. كان ممكنًا أن يعاقبني الله بأن يجعلني عاقرًا – لكنه لم يفعل. كان من الممكن أن يجعل أولادي غير أصحاء أو أن يكونوا ذوي عاهات – لكنه لم يفعل. لمدة سبعة وعشرين عامًا كنت أشعر أنه بدون معاقبتي لا يمكن أن أوفي الدين الذي شعرت أنني مدينة به. وفي نهاية هذا الأسبوع سلَّمت حياتي لله وقبلت غفرانه. بدلاً من الخزي، الآن لديَّ حزن مقدس. كل هذه السنوات التي مضت، وضعتُ سدادة محكمة على قلبي، وأقسمت ألا أدع نفسي تحب مرة أخرى. والآن انتزع الله هذه السِدادة المحكمة، وأنا الآن حرة لكي أحب من جديد وأن أتمتع بمحبة الآخرين لي. الحصن تهدَّم.

الحق هو أن ماضينا – تربيتنا، الأمور التي ظُلمنا فيها، أو ظلمنا الآخرين بها – هذه الأشياء لا يجب أن تكون عوائق. في الواقع، بنعمة الله، يمكنها أن تكون وسيلة تقود إلى انتصار وإثمار أعظم.

١١. كلمة الله تَكفي لتَقودني، وتَعلمني، وتَشفيني (مزمور ١٩: ٧؛ ١٠٧: ٢٠؛ ١١٩: ١٠٥).

كثيرون من المؤمنين في جيلنا فقدوا الثقة في قوة كلمة الله، في كونها أساسية وفعالة لتغيير الحياة، وأنها تُخلِّص من العبودية، وتعلن مشيئة الله في حياتنا. البعض يرون الكتاب المقدس على أنه واحد من بين المصادر القيِّمة، أو الملاذ الأخير، بعد تجربة كل الأشياء الأخرى.

الحق هو، أن كلمة الله حية وفعالة، هي دواء للقلب المضطرب وسلام للعقل

المنزعج. هي سراج لأرجلنا ونور لسبيلنا. مهما كان احتياجنا، أو ظروفنا، كلمة الله كافية لتسديد هذا الاحتياج. وهي تكفي لتسديد احتياج هؤلاء الذين نحبهم أيضًا.

إن الناس المتألمين من حولنا وذوي الحاجة، لا يحتاجون أن يسمعوا آراءنا واقتراحاتنا. هم يحتاجون أن يعرفوا ما يقوله الله. هم يحتاجون أن يعرفوا وصاياه، ومواعيده، وطرقه. إذا كنا نريد بالفعل أن نساعد الآخرين، فلا بد أن نوجِّههم إلى الحق، وبالصلاة والمحبة نُريهم كيف يطبِّقون الحق في مواقف حياتهم المختلفة.

١٢. بقوة الروح القدس، سيمكنني الله أن أفعل كل شيء أوصاني أن أفعله (١تسالونيكي ٥: ٢٤؛ فيلبي ٢: ١٣).

الله لا يوصينا أن نفعل شيئًا دون أن يعطينا النعمة لكي نطيع، إذ نعتمد عليه. هذا يعني، على سبيل المثال، أنه:

- لا يوجد شخص لا نقدر أن نغفر له (مرقس ٢٥:١١).
- لا يوجد شخص لا نستطيع أن نحبه (متى ٥: ٤٤).
- يمكننا أن نشكر في كل شيء (١تسالونيكي ٥: ١٨).
- نستطيع أن نكون مكتفين في كل ظرف (عبرانيين ١٣: ٥).

المسألة ليست أننا لانقدر أن نطيع الله – فلا نقدر أن نغفر للأب الذي أساء إلينا إساءة عميقة، أو لا نقدر أن نحبّ تلك الزميلة في العمل، أو لا نستطيع أن نشكر في قلب العاصفة، أو لا نقدر أن نكون مكتفين بهذه الشقة الصغيرة ذات الحجرة الواحدة.

لكن المسألة الحقيقية أننا لانريد أن نغفر، ليس لدينا الرغبة أن نحب، ونرفض أن نشكر وأن نكتفي بما منحنا الله. الطاعة هي اختيار يتم بالاعتماد على قوة الله الفائقة. وبتمكين قوة الروح القدس، نستطيع أن نختار أن نغفر، ونختار أن نجعله يحب الآخرين من خلالنا، ونختار أن نشكر في كل ظرف، ونختار أن نكون مكتفين.

١٣. أنا مسؤولة أمام الله عن سلوكي، ورد فعلي، واختياراتي (حزقيال ١٨: ١٩-٢٢).

أحـد أكثر أجزاء الحق الذي يحرر والتي تعلمتها عندما كنت في سـن المراهقة، هو أن الله لا يعتبرني مسـؤولة عن تصرفات الآخرين، بل عن كيفية اسـتجابتي لها، بصرف النظر عن كيفية تعاملهم معي.

ربما لا نقدر أن نتحكم في الظروف التي تحدث في حياتنا - لم يكن لدينا اختيار من جهة البيت الذي وُلدنا فيه، وصورتنا وشكلنا الجسماني، ونشأتنا، وعوامل أخرى كثيرة أثرت فينا وشـكلّت حياتنا. لكن، بنعمة الله، لا يجب أن نكون ضحايا، بل نستطيع أن نتحكم في كيفية استجابتنا للظروف التي سمح الله أن تأتي إلى حياتنا.

عندما نتوقف عن ملامة الآخرين أو الظروف بسبب سلوكيات خاطئة أو نماذج سلبية في حياتنا، ونبدأ في أن نأخذ على عاتقنا المسؤولية الشخصية لاختياراتنا، سوف نتحرر من الشعور بأننا ضحايا لا عون لنا، وسنكون أحرارًا لنطيع الله، مهما كانت ظروفنا.

١٤. سأحصد ما زرعت (غلاطية ٦: ٧-٨).

كلما كبرت سـنًا، كلما أدركت أكثر عن مبدإ الحصاد في حياتي. كل أنماط حياتي اليـوم هـي، عمليًـا، ثمار - حسـنة أو رديئـة - لاختيـارات اتخذتها منذ سـنين مضت. وكبنـت صغيـرة، لـم أكن أدرك كـم سـتكون أهمية تلك الاختيـارات التي بـدت وقتها تافهـة - الكتـب التي قـرأت، الأصدقاء الذين أمضيـتُ الوقت معهم، كيفية اسـتجابتي للسـلطة، كيفية قضائي لوقت الفراغ، وعادات اسـتذكاري. اليـوم أعيش الحصاد لكل هذه واختيارات أخرى بلا حصر.

وبذات الطريقة، الاختيارات التي نصنعها اليوم، سـيكون لها عواقب في المسـتقبل، ليـس فقـط في حياتنا، بل في حياة آخرين أيضًا لأجيال قادمة. كل اختيار أناني، خاطئ، أو متسـاهل؛ أصنعه اليوم هو زرع لبذرة سـوف أحصدها حصادًا مضاعفًا. وكل سلوك

فـي الطاعة هو بذرة ستنتج حصادًا هائلاً من البركة في حياتـي وحياة أحبائي. الحصاد نادرًا ما يحدث فوريًا، لكنة آتٍ.

١٥. السبيل إلى الفرح الحقيقي هو أن أكف عن التحكم في حياتي (متى ١٦: ٢٥؛ لوقا ١: ٣٨؛ ١بطرس ٥: ٧).

كما رأينا، واحدة من عواقب السقوط أننا كنساء لدينا الرغبة في أن نكون نحن المتحكمين في الأمور. بآلاف الطرق الحاذقة، أو غير الحاذقة، نحن نمارس السلطة على الآخرين وعلى كل ما يحيط بنا. في الواقع، بغضّ النظر عن كم نحاول بكل قوة، فليس بإمكاننا أن نتحكم في الأمور. لكننا لا زلنا نجاهد، نتلاعب ببراعة، نقلق، ونهيمن – كل هذا في محاولات باطلة للتحكم في ما لا نقدر أن نتحكم فيه على أية حال.

الطريق الوحيدة لكي نختبر الحرية الحقيقية والسلام هو أن نترك التحكم، ونتنازل عن كل سلطة لله، مؤمنين أننا نقدر أن نثق به في شأن إدارة كل ما نهتم به. الأسبوع الماضي، وجدت نفسي أصارع مع شعور بالاستياء من صديقة كانت قد خذلتني. وكما نميل كنساء، أخذت أفكِّر طويلاً في عقلي فيما حدث – مرة ومرة ومرة. وبإدراكي أنها كانت معركة بالفعل من أجل التحكم والسيطرة، اتصلت هاتفيًا بصديقة لي وطلبت منها أن تصلي لأجلي. وعندما كنا على وشك إنهاء المكالمة، قالت لي: "نانسي، لا أعرف تمامًا كيف أقولها لك، لكن تذكري ... أنت لست الله". أواه، يا للصفعة!

لماذا يصعب علينا أن ندع الله أن يكون الله؟ لماذا يصعب أن نسلم له إدارة الكون؟ فالحق، أنه هو المتحكم. إنه يحبنا، وهو لن ينعس بينما يؤدي عمله أو يدع شيئًا يفلت دون ملاحظته. عندما نرفض أن ندع التحكم في الأمور، نحن ننافسه من جهة عمله. السبيل الوحيد للحرية هو التخلي عن كل التحكم في حياتنا، وفي عائلاتنا، وفي كل ظرف من ظروف حياتنا. وليس قبل ذلك يمكن أن نراه يفعل ما يمكنه هو وحده فعله.

١٦. الحريـة العظمـى التي يمكن أن أختبرها تكمن في الخضوع للسـلطة المقرَّرة من الله (أفسس ٥: ٢١).

عندمـا نقاوم السـلطة، نصبح أكثر عرضة لهجمات الشـيطان وللخطيـة، تمامًا نظير حـواء عندمـا أخطأت وتصرفت بالانفصال عن سـلطة زوجها. وعلى الجانب الآخر، عندمـا نأخـذ مكاننا برغبتنـا تحت السـلطة المرتَّبة من اللـه، فإننا نتمتع بغطـاء الحماية الإلهية، ونطلقه ليعمل في حياة أولئك الذين لديهم السـلطة فوقنا، ونعلن للعالم جمال الترتيب الإلهي، ونخبر عن حقه في حكم الكون، وينهزم الشـيطان في محاولاته سـلب عرش الله، ونكون متعاونين مع الله من أجل تأسيس مملكته.

١٧. وفقًا لمشـيئة الله، لا يوجد دعوة أسمى وأقدس من أن أكون زوجةً وأمًا (تيطس ٢: ٤-٥).

الإشـباع والفـرح الحقيقـي هو في اكتشـاف لماذا خلقنـا الله، ومن ثـم قبول القصد والتصميـم الـذي خلقنـا من أجله. لقـد خلق الله المـرأة لتكون مُعينـة لرجلها ولتكون حاملة وحاضنة للحياة. الزواج والأمومة هما مبدأ الله لغالبية النساء.

الله يدعو المرأة المتزوجة أن يكون محور اهتمامها هو دورها في البيت. كان بولس يطلب بإلحاح أن يتأكد تيطس أن الحدثات في كنيسته يتعلمن:

أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ وَيُحْبِبْنَ أَوْلاَدَهُنَّ، مُتَعَقِّلاَتٍ، عَفِيفَاتٍ، مُلاَزِمَاتٍ بُيُوتَهُنَّ، صَالِحَاتٍ، خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ، لِكَيْ لاَ يُجَدَّفَ عَلَى كَلِمَةِ اللهِ.

تيطس ٢: ٤-٥

بالنسبة للزوجة والأم، لا وظيفة، ولا هواية، ولا علاقة، ولا أولوية، يمكن أن تكون أكثر أهمية. قد تُقدِّم الوظيفة خارج المنزل نتائج منظورة أكثر وفورية، وقد تمنح وسائل راحة مادية لا يمكن توفرها بأية طريقة أخرى. لكن أن تكون ربة بيت، وتتحد مع رجل في تمجيد الله على هذه الأرض، وتعتني بحياة الأولاد والأحفاد وتنهض بأعبائهم، وأن تدرب وتشكِّل جيلاً تاليًا، وتنكر نفسها وتضع حياتها من أجل آخرين – فليس هناك دعوة أسمى أو فرح أعظم.

١٨. القداسة الشخصية أهم كثيرًا من السعادة الوقتية (أفسس ٥: ٢٦-٢٧).

على عكس ما يفكِّر به العالم؛ فإن السعادة هنا والآن ليست هي المصلحة العليا، وليست هي حق.

الله لم يخلِّصنا ليجعلنا سعداء بكيفية مؤقتة – لكنه خلصنا «لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ» (تيطس ٢: ١٤). أخلى الرب يسوع نفسه، ونزل إلى هذه الأرض، وبذل حياته، لا لكي نعيش حياتنا لأنفسنا ولملذاتنا، بل لكي نكون أحررًا لنحيا لذاك الذي خلقنا لمسرته.

أن نختار سبيل القداسة فسوف يتطلب هذا أحيانًا التضحية بمتعتنا وراحتنا الشخصية. لكن أية تضحية نقوم بها هي وقتية، ولا يمكن مقارنتها بالفرح والشبع الذي سيكون لنا في الأبدية. فقط عن طريق السعي من أجل حياة القداسة يمكننا أن نختبر السعادة الحقيقية.

١٩. الله يهتم أكثر بتغييري لأمجده من أن يحل مشكلاتي (رومية ٨: ٢٩).

عندما نتعرض لمشكلات، فإننا نميل بالطبيعية لطلب حل سريع. إذا لم ندرك ونقبل قصد الله ومخططه في حياتنا، فسوف تستحوذ علينا فكرة إيجاد مخرج من المشكلة، سوف نكتئب ويملأنا الغضب عندما لا "يتعاون" الله معنا لتحقيق برنامجنا.

الحق هو، أن الله غير موجود ليحل مشكلاتنا، ليس لأنه لا يهتم بما يعنينا؛ فهو يهتم. لكن كل ما يعنينا لا بد أن يخضع لما يهمه ويعنيه هو بالأكثر.

إن مـا يعنيه بالأكثر هـو أن كل كائن مخلوق يعكس مجـده. وبرنامجه في حياتنا أن يفعل كل ما هو ضروري لتشكيلنا لنشابه صورته. بعض المشكلات التي تغضبنا أكثر، هـي فـي الواقع آلات صممها هـو لكي يتمم قصـده النهائي في حياتنـا. طلب الحل أو الهـروب من رئيس العمل الذي لا يُحتمل، أو هـذا الموقف المالي، أو الحالة الصحية، أو هذا الزواج المضطرب؛ ربما يسبب لنا خسارة فائدة عظمى يقصد الله أن يستحضرها إلـى حياتنا. كـم هو من الحماقة وقصـر البصر أن نرفض أو نقاوم المشـكلات التي قد تكون هي ذات الوسيلة التي صمَّمها هو لكي يشكِّلنا لنكون مشابهين صورة ابنه.

٢٠. من المستحيل أن نكون أتقياء بدون ألم (١بطرس ٥: ١٠).

يتخـذ الألم شـكلاً مختلفًا تمامًا في مفهومـه عندما ندرك أنه أداة أساسـية في يد الله ليشـكِّلنا على صورة الرب يسـوع. إن عمليـة التقديس تبدأ عندما نقبـل الألم، بدلاً من الهروب أو الاستياء منه.

في سـفر إرميا، نجد صورة حية لما يحدث إن كنا لا نسـمح للألم أن يؤدّي عمله في تنقية حياتنا:

مُسْتَرِيحٌ مُوآبُ مُنْذُ صِبَاهُ، وَهُوَ مُسْتَقِرٌّ عَلَى دُرْدِيِّهِ، وَلَمْ يُفْرَغْ مِنْ إِنَاءٍ إِلَى إِنَاءٍ، وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى السَّبْيِ. لِذلِكَ بَقِيَ طَعْمُهُ فِيهِ، وَرَائِحَتُهُ لَمْ تَتَغَيَّرْ.

إرميا ٤٨: ١١

فـي أيـام إرميا، في عملية صنع النبيذ كان عصير العنب يُصَـبّ في زقاق ويُترك ليهدأ لبضعـة أسـابيع، إلى أن تترسـب في القاع كل التفل والحثالة المُـرّة. ثم تصب في زقاق آخـر حتـى يمكن فصل مزيد من التفل. يتـم تكرار هذه العملية مـرة تلو الأخرى، حتى يُطرد كل التفل تمامًا، ويصبح الخمر نقيًا وذا مذاق حلو.

كان لشـعب موآب تاريـخ من حياة الراحة النسـبية والرخاوة، لم يكـن قد مر بعملية "التنقيـة" مـن ألم إلـى ألم. والنتيجة، أن التفـل الثقيل المُرّ من خطيتـه بقي فيه – ولم "يتغير". الألم هو وسيلة الله ليصبّنا من إناء لإناء، ولكي يزعزع استقرارنا حتى يفصل ثقل الذات والخطية، وتبقى فقط نقاوة وحلاوة خمر روحه.

٢١. لن تستمر آلامي إلى الأبد (٢كورنثوس ٤: ١٧-١٨).

عندمـا يبدو أننا داخل النيران بصفة مسـتمرة وبطريقـة متكررة، "نُصَبّ" من إناء إلى إنـاء، تحدِّثنـا عواطفنا أن هذا سـوف يسـتمر إلى الأبـد. عندئذ نحتاج أن نذكِّر أنفسـنا بالحق: أنه ستكون نهاية لهذه العملية. ولن تستمر إلى الأبد.

كل الألــم هـو بقصد ولغـرض. للّه قصد محدَّد في فكره من جهـة آلامنا. إنه يعرف تمامًا حجم الألـم ومدته المطلوبة ليتمِّم مقاصده. لن يدع آلامنا تطول أو تشتد أكثر مما هو ضروري لتحقيق مشيئته.

لقد وعد الله أنه في يوم آت «سَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَـا بَعْـدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ...» (رؤيا ٢١: ٤). لذلك، يا بنت الله المحبوبة، عندما تمتلئ عيناك بالدموع، ويبدو أنه لا أمل؛ تشجعي. ارفعي رأسك، اشكري، كوني ثابتة، واعلمي أن الأمر لن يطول حتى يُكافَئ إيمانك برؤية العيان لذلك الشخص الذي وعد أن يكون معك حتى النهاية.

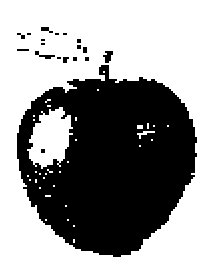
٢٢. لا شيء يتعلق بي، كل شيء يتعلق به هو (كولوسي ١: ١٦-١٨؛ رؤيا ٤: ١١)!

أحتـاج إلـى تذكِـرة من حين إلى آخـر أن هذا العالم لـم يُخلَق ليتمركـز حولي. كل الكون – بما فيه أنا وأنتِ – خُلق ليتمركز ويدور حول ذلك الشـخص العالي والمرتفع والجالس على عرشه.

مقاصد الله الأبدية وخططه هي أكثر أهمية بما لا يقاس من الأشياء التي تملأ عيوننا وتسـتهلك تفكيرنـا. رصيـدي بالبنك، تعبي وآلامي، مشـاعري المجروحـة، متطلباتي واحتياجاتـي – هـذه كلها سـوف تبهت وتصبح أمـورًا تافهة عندما أتذكر أن "لا شـيء يتعلق بي، كل شيء يتعلق به هو."

قبل أن نستجيب بطريقة صحيحة لظروف الحياة، لا بد أن ننهي هذه المسألة الأساسية: مـا هـو غرضي في الحياة؟ إذا كان هدفنا أن نكون سـعداء ومقبولين ومحبوبين، إذًا فإن أي شيء يهدد سعادتنا وراحتنا سيكون عدوًا لنا، وعائقًا لتحقيق هدفنا.

ومـن الناحيـة الأخرى، حالما نتفق مـع الله أن وجودنا هو من أجل مسـرته ومجده، نستطيع أن نقبل ما يحدث في حياتنا كجزء من مشيئته وقصده المطلق. لن نستاء، ولن نقـاوم، ولـن نرفض "الأمور الصعبة"، لكننا سـنعانقها كأصدقاء لنا، صُمِّمت بسـلطان الله المطلق لتجعلنا نظير الرب يسوع، ولكي تمجده. سوف نستطيع أن ننظر إلى وجهه ونقول: "ليس الأمر متعلقًا بي. كل شيء يتعلق بك. إذا كان يرضيك، فسيرضيني. كل ما يهم هو أنك تتمجد".



خاتمة

مذكراتي العزيزة،

أحــــد أولاد أحفادنا، مَرَّ بنا اليوم مع زوجتـــه واثنين من بناتهما ليُحضروا لنا بعضًا من الفواكة والخضروات الطازجة من حديقتهم. إن عائلتنا رائعة من نحونا دائمًا، خاصة الآن وقد أصبحنا متقدمين في السن ونمر ببعض الصعوبات الجسمانية.

بصري مســـتمر في التلف التدريجي، ولكن بطرق كثيـــرة، أؤمن أنني فقط الآن بدأت أرى بالفعل. في الواقع، منذ سنوات مضت، عندما كانت عيناي نضرتين وقويتين، كنت عمياء جدًا. لم أرَ كيف كنتُ حمقاء لأصدق الحية. لم أرَ التعب والغم الذي كان سيحدث لحياتنا بسبب اختيار واحد خاطيء. لم أرَ الألم الذي كان سيجنيه أولادنا. برغم أنني أعرف أن الله يُحمِّل آدم المســـؤولية كاملة عن خطيتنا الأولى و اللعنة التي نتجت عنها، لكنني ما زلت أشعر بثقل استنسلامي لأكاذيب الحية.

كل ما اســـتطعت أن أراه في ذلك الوقت كان شيئًا أردته بطريقة مُلِحة - شيئًا اعتقدت إننـــي احتاج إليه. حصلت على ما أردت، لكن لم يكن يخطر ببالي على الإطلاق أن كل هذا سوف يأتي مصاحبًا له. تلك اللحظة من التساهل استحضرت هذا الكم من الألم والندم.

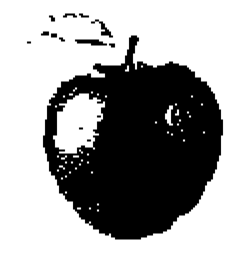
الآن فقط، بعد سنوات من الهروب، والاختباء، والألم، هل يمكن أن أرى كم يحبنا الله وكم يحب الأفضل لنا دائمًا. إنني أرى بكل وضوح الآن كم أن طرقه مستقيمة، وكيف أنه من الضروري جدًا أن نصغي إليه ونفعل كل شيء حسبما يريد. أتمنى لو لم أكن قد أضعت سنين كثيرة وأنا أصدق أشياء ليست حقيقية.

عندما أفكر في الماضي، يدهشني كم كان الله رحيمًا بنا. بعد هذا اليوم الرهيب، كان من الممكن أنه يقضي علينا إلى الأبد. لكنه لم يتوقف عن السعي من أجل علاقة معنا. وبعد أن فقدنا ابنينا، أعطانا الله شيئًا – ثم أربعة من الأولاد والبنات. شيث بصفة خاصة كان بمثابة رد للنفس والفرح الذي أحضره الله لحياتنا.

وعد الله أيضًا، أنه في يوم ما، سيأتي ابنٌ آخر. والحية سوف تهاجمه وتجرحه كما فعلت بنا. ثم سيرد الابن الضربة وسيتعامل بضربة أخيرة، قاضية مع الحية.

كنت أنا، كامرأة، مع زوجي اللذين جلبنا حالة السقوط على أنفسنا كل تلك السنوات الماضية. لا يمكنني أبدًا أن أعيد إصلاح الخراب الذي فعلته -لكن، يا للنعمة! - قال الله إنه سيستخدم امرأة لتحضر هذا الابن إلى العالم. وبه، سوف تبطل كل تأثيرات الخطية حتى برغم أنني قاومت مشيئة الله، لكنه لم يرفضني، لقد سبق وأعد لأمر خلاصي. ولم يزل لديه خطة ليستخدم حياتي وليجعلني مثمرة. إنه بالفعل إله يُخلِّص.

لا أعرف متى أو كيف ستتم كل وعوده. لكنني أعرف أنني أصدق كلمته. كيفما كانت الأيام الباقية لي على هذه الأرض أريد أن أقضيها سالكةً في الحق، طائعة له، مؤثرة في أولئك الذين أحبهم كي يفعلوا الأمر ذاته. تصديق الأكذوبة مرةً أفسد حياتي وعائلتي. أما الآن، فبقوة حقه، قد تحررتُ!



الهوامش

1. *Smooth Stones Taken from Ancient Brooks. comp. Charles H. Spurgeon. (Morgan. Pa.: Soli Deo Gloria. 1996). 93.*
2. *From the introduction of The Unselfishness of God; quoted in Safe Within Your Love: A Forty-Day Journey in the Company of Hannah W. Smith. Devotional Readings Arranged and Paraphrased by David Hazard (Minneapolis: Bethany. 1992). 147*
3. *Hannah Whitall Smith. God Is Enough. ed. Melvin E. Dieter and Hallie A. Dieter (Grand Rapids: Francis Asbury. Zondervan. 1986). 240–41.*
4. *Hannah Whitall Smith. quoted in Daily Strength for Daily Needs. comp. Mary W. Tileston (Boston: Little. Brown. 1899). 333.*
5. *Smith. God Is Enough. 21. 26.*
6. *"Meg Ryan: What She Really Thinks of Herself." Ladies' Home Journal. July 1999. 98.*
7. *W. E. Vine. The Expanded Vine's Expository Dictionary of New Testament Words. ed. John R. Kohlenberger III with James A. Swanson (Minneapolis: Bethany. 1984). 751*
8. *The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers and Devotions. ed. Arthur Bennett (Carlisle. Pa.: Banner of Truth. 1975). 70. 79.*

9. Robert Lowry. "Nothing but the Blood."

10. John Alexander. "And That's That: Sin. Salvation. and Woody Allen.The Other Side. January–February 1993. 55.

11. The Valley of Vision. 76.

12. Dorothy Patterson. "The High Calling of Wife and Mother in Biblical Perspective."Recovering Biblical Manhood and Womanhood: A Response to Evangelical Feminishm. ed. John Piper and Wayne Grudem (Wheaton. Ill.: Crossway. 1991). 365.

13. "An Interview with Kate Hepburn."Ladies' Home Journal. March 1977. 54.

14. "Joanne and Paul: Their Lives Together and Apart."Ladies Home Journal. July 1975. 62.

15. Patterson. "The High Calling of Wife and Mother in Biblical Perspective."375.

16. Mary A. Kassian. The Feminist Gospel: The Movement to Unite Feminism with the Church (Wheaton. Ill.: Crossway. 1992). 82.

17. Nancy Leigh DeMoss. "Devotion to Family."in A Mother's Legacy: Wisdom from Mothers to Daughters. compiled and written by Barbara Rainey and Ashley Rainey Escue (Nashville: Thomas Nelson. 2000). 106–7.

18. Southern Baptist Convention. "Baptist Faith and Message."revised June 1998. Article XVIII.

19. Susan Hunt. The True Woman: The Beauty and Strength of a Godly Woman (Wheaton. Ill.: Crossway. 1997). 218. 223.

20. For a fuller treatment of the consequences of the Fall as it relates to male/female roles. see Raymond C. Ortlund Jr.. "Male-Female Equality and Male Headship: Genesis 1–3."in Recovering Biblical Manhood and Womanhood: A Response to Evangelical Feminism. ed. John Piper and Wayne Grudem (Wheaton. Ill.: Crossway. 1991). 95–112.

21. Elizabeth Rice Handford. Me? Obey Him? The Obedient Wife and God's Way of Happiness and Blessing in the Home (Murfreesboro. Tenn.: Sword of the Lord. 1994). 75–76.

22. Shulamith Firestone. The Dialectic of Sex: The Case for Feminist Revolution (New York: William Morrow. 1970). 81.

23. Mary Pride. The Way Home: Beyond Feminism. Back to Reality (Westchester. Ill.: Crossway. 1985). 77. 75.

24. *The Works of Jonathan Edwards, with a memoir by Sereno E. Dwight; rev. and corrected by Edward Hickman, 2 vols. (Carlisle, Pa.: The Banner of Truth Trust, 1976), z: 1:xiv*

25. *Hannah Whitall Smith, God Is Enough, ed. Melvin E. Dieter and Hallie A. Dieter (Grand Rapids: Francis Asbury, Zondervan, 1986), 52–53.*

26. *Francis de Sales, Daily Strength for Daily Needs, ed. Mary W. Tileston (Boston: Little, Brown, 1899), 29.*

27. *D. Martyn Lloyd-Jones, Spiritual Depression: Its Causes and Cure (Grand Rapids: Eerdmans, 1986), 21.*

28. *Judith Viorst, Alexander and the Terrible, Horrible, No Good, Very Bad Day (New York: Atheneum; Simon & Schuster, 1972).*

29. *Ibid.*

30. *Ibid.*

31. *George Lewis Prentiss, More Love to Thee: The Life and Letters of Elizabeth Prentiss (Amityville, N.Y.: Calvary, 1994), 374.*

32. *Harry C. Green and Mary W. Green, "The Pioneer Mothers of America," 1912, cited in The Christian History of the American Revolution: Consider and Ponder, comp. Verna M. Hall (San Francisco: Foundation of American Christian Education, 1988), 76.*

33. *R. Arthur Mathews, Ready for Battle: 31 Studies in Christian Discipleship (Wheaton, Ill.: Harold Shaw, 1993), 123, 71.*

34. *William Law, cited in Daily Strength for Daily Needs, ed. Mary W. Tileston (Boston: Little, Brown, 1899), 17.*

35. *Hannah Whitall Smith, God Is Enough, ed. Melvin E. Dieter and Hallie A. Dieter (Grand Rapids: Francis Asbury, Zondervan, 1986), 132.*

36. *Larry Crabb, Finding God (Grand Rapids: Zondervan, 1993), 17–18.*

37. *Frances R. Havergal, "Like a River Glorious."*

38. *Susan Hunt, The True Woman (Wheaton, Ill.: Crossway, 1997), 75.*

قالوا عن هذا الكتاب

المرأة اليوم مستهدَفة بأكاذيب كثيرة تشوِّشها. قد يرجع ذلك إلى خبرات الطفولة المؤلمة، أو وسائل الإعلام، أو ربما يرجع إلى ثقافة أو تربية. فى هذا الكتاب، نانسي لي دي موس تكشف الشيطان كمصدر هذه الاكاذيب، وتوجِّه النساء للعودة إلى الحق الذى يوجد فقط فى كلمة الله. فمهما كانت المشكلة التى قد تواجهها المرأة اليوم - شعور بالذنب، إدمان، زواج غير سعيد، رغبة فى العمل بدلاً من تربية أولادها، أبناء مزعجين، والقائمة تستمر - فهى تذكِّرنا أنه يوجد حل، ولنا أن نجده فى الله. وهو يكفي.

تيم وبيفيرلي لاهاي

لمدة ربع قرن، استَمَعَتْ نانسي لي دي موس بكل تعاطف إلى روايات تُمزِّق القلب عن الطرق التي تبحث بها النساء فى عالم اليوم عن معنىً للحياة فى كل الأماكن الخاطئة. قارئات كثيرات سوف يجدن أنفسهن داخل هذه الروايات. هذا الكتاب، اللازم جدًا، كتبته واحدة تعرف وتحب الكتاب المقدس، وقراءته بدقة سوف تساعد النساء أن يتعرَّفن على القيود الكثيرة - عاطفية، وجسدية، وروحية - التي يقعن فى شراكها، وكيفية الهروب منها. هذا الكتاب المُحرِّر سوف يكون بركة حقيقية لكِ.

جورج وكينجسلى جالوب

هل تمنيتِ يومًا أن تكون لكِ صديقة تثقين بها، ومشيرة حكيمة يمكنك اللجوء إليها من أجل نصيحه كتابية صادقة وعميقة تساعدك فى مواجهه معضلات الحياة الشائكة. قد لا تكون نانسي لي دي موس الصديقة الأكثر قربًا منكِ، لكنها تُقدِّم لكِ المشورة [illegible] إليها نفسكِ من كلمة الله الراسخة؛ فهي امرأة تقية، ولها قلب من نحو شع[illegible] وتهتم بالآخرين. اقتني نسختين من هذا الكتاب: نسخة لنفسك، والأخرى لص[illegible] لكِ.

ديني[illegible]


دار الإخوة للنشر


9 789773 212308